جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام
في العصر العباسي الثاني
(247-334هـ/861-945م)

إعداد الطالب
أيمن عمر عبد الله البطوش

بإشراف
الأستاذ الدكتور حسين الكساسبة

رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الدكتوراة في التاريخ، قسم التاريخ

جامعة مؤتة، 2015 م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تعبر

بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
College of Graduate Studies

جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب ايمن عمر البطوش الموسومة بـ:

الحياه العلمية و الثقافية في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في **التاريخ**.

القسم: التاريخ.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. حسين فلاح الكساسبه		06/05/2015	مشرفاً ورئيسا
أ.د. محمود محمد الرويضي		06/05/2015	عضواً
أ.د. محمد نايف العمايره		06/05/2015	عضواً
د. مروان عاطف الضلاعين		06/05/2015	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. علي الضمور

جامعة مؤتة ★ كلية الدراسات العليا ★

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي : ٦١٧١٠
تلفون : ٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩
فرعي 5328-5330
فاكس 375694 ٠٣/٢
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى جنة الله في الأرض............والدتي

إلى معلمي الأول.....................والدي

إلى رفيقة الدرب...................زوجتي

إلى زينة الحياة الدنيا....... هديـ ـل والريان

إلى الإخوة والأخوات الأعزاء..............

إلى كل من كان له علي فضل............

أيمن عمر البطوش

الشكر والتقدير

الشكر والحمد والمنة في الأولى والآخرة لله عز وجل، ثم لمن كانوا لي الناصحين الأمناء، وفي بدايتهم الأستاذ الدكتور حسين الكساسبة الذي قبل الإشراف على رسالتي وما قدم لي من نصح وإرشاد في هذه الرسالة؛ فأتقدم له بجزيل الشكر والعرفان.

وأتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من قدم لي يد العون في انجاز هذه الرسالة، وجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

أيمن عمر البطوش

فهرس المحتويات

الملخص

الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام
في العصر العباسي الثاني
(247-334هـ/861-945م)

أيمن عمر البطوش

جامعة مؤتة، 2015م

تسلط هذه الدراسة الضوء على الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني (247-334هـ/861-945م)، وهي الفترة الممتدة بين بداية العصر العباسي الثاني إلى بداية سيطرة البويهيين على الخلافة، وقد جاءت الدراسة في مقدمة وعرض لأهم مصادر ومراجع الدراسة وخمسة فصول .

تناولت هذه الفصول الحديث عن المؤسسات التعليمية في بلاد الشام، إضافة إلى العلوم التي ازدهرت في بلاد الشام في فترة الدراسة وعلى رأسها العلوم الدينية بما انطوت عليه من فروع عدة لعل أهمها: علوم القرآن الكريم وعلوم الحديث النبوي الشريف، كذلك علوم اللغة العربية، إضافة إلى الحديث عن العلوم الاجتماعية كعلم التاريخ وعلم الجغرافيا، كذلك الحديث عن العلوم التطبيقية كعلم الطب والصيدلة وعلم الفلك، تلي هذه الفصول خاتمة لخصت فيها نتائج الدراسة.

Abstract
Scientific and cultural life in the Belad Asham
In the second Abbasid period
(247-334H/861-945Ac)

Ayman Omar Batoush
Mu'tah University2015Ac

This study highlights the scientific and cultural life in the Belad Asham area in the second Abbasid period (247-334H/861-945Ac), This period presents the era from the beginning of the second Abbasid age untill the beginning of the control of the Alboeheen. The study contained introduction and presentation as well as the main recources and references of the study. Also it consists of five chapters .

These chapters investing a feel the teaching institutions in Belad Asham as well as the science that evolved in this area at the studied period and mainly the religious sciences whith its varied branches such as Quranic science, hadith sciences and the Arabic language. Also it investigates the social sciences such as history and geography. In addition to the pure science such as medicine and pharmacology, astronomy. The study ends with aconclusion for the results of the study.

المقدمة

كانت بلاد الشام مقر الخلافة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية، وقد كان للأمويين دور بارز في التمهيد للازدهار الذي برز في عهد الخلافة العباسية والتهيئة له، فقد أرسوا أسس التراث العلمي الذي بنى عليه العباسيون وقد كان من أهم هذه الأسس التي هيأت للنهضة العلمية العباسية حركة التعريب في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان حكم من (65-86هـ/685-705م)، الذي جعل من اللغة العربية لغة رسمية للدولة فأصبحت تستخدم في كل أصقاعها من المشرق إلى المغرب.

وساهم الخليفة الوليد بن عبد الملك حكم من (86-96هـ/705-715م) كثيراً بإنشائه المؤسسات التعليمية والمستشفيات تحت رعاية الدولة والتي ساهمت هي الأخرى في النهضة العلمية والثقافية اللاحقة، إضافة إلى تدوين العلوم وتعريبها للمرّة الأولى، وهو ما أتاح لعلماء العرب والمسلمين الاطلاع عليها بسهولة، كما أتاح اتساع الدولة ودخول شعوب جديدة في الإسلام التعرف على حضارتها والإفادة من تلك المعارف في تطور الحضارة الإسلامية، كل هذه الأمور مثلت الأسس التي قامت عليها الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام في الخلافة العباسية فيما بعد.

وقد شهدت بلاد الشام في العصر العباسي الثاني ازدهارا حضاريا شمل عدة اتجاهات كان من أهمها الاتجاه العلمي والثقافي فعدت بلاد الشام مركزا مهما من بلدان الخلافة الإسلامية.

فقد شكلت مركزا حضاريا ساهم في تنمية ورفد الحضارة العربية الإسلامية الأمر الذي كان له الأثر الكبير في حياة سكانها في العصر العباسي الثاني، إضافة إلى رغبة الخليفة المتوكل حكم من (232-247هـ/847-861م) نقل مقره من العراق إلى بلاد الشام سنة 243هـ/857 م حيث أنشئت له القصور والمساكن في أطراف المدينة في قرية داريا فمكث هناك ثمان وثلاثين يوما ثم بلغه عن بعض الأتراك أمر كرهه فعاد إلى العراق وتكمن أهمية انتقاله إلى دمشق، بما رافقه من حاشية ضمت ممثلي لجميع الاتجاهات العقائدية والاهتمامات الفكرية والعلمية والذين

استقر بعضهم في بلاد الشام الأمر الذي كان له الأثر فـي إثـراء الحيـاة العلميـة والثقافية فيها.

وكان لتناول بلاد الشام بالبحث في العصر العباسي الثاني ورصد تاريخهـا العلمي والثقافي الأمر الهام، إضافة إلى التطورات في هذا الجانـب، ممـا يعطـي للدراسة أهمية كونه يسلط الضوء على التطورات في المجال العلمي والثقافي اللـذان يقاس من خلالهما مدى التطور الحضاري في المجتمعات .

وكان من الدوافع وراء تناول هذا الموضوع في البحث عدم وجود دراسـة متخصصة تفصيلية متكاملة، فجاءت هذه الدراسة لتبرز مكانة بلاد الـشام العلميـة والثقافية في تلك الفترة وإبراز دور علمائها من أصحاب المكانة المرموقـة والـذين كان لهم إسهامات كبيرة وكثيرة في الإرث الحضاري عامة، كمـا وتكمـن أهميـة الدراسة فيما يلي: أن معظم المؤرخين القدماء الذين أرخـوا لـذلك العـصر كـان تركيزهم على الحياة السياسية، أما الجوانب الحضارية فقد جاءت في ثنايا مؤلفاتهم، وسيقوم الباحث بدوره بإبراز التطور في هذه الجوانب، وعلاوة على ذلك فإن الفترة التي تناولتها الدراسة في بلاد الشام لم تلقى الاهتمام بشكل عام لانتقال مركز الخلافة إلى العراق وتوجه الأنظار إلى العراق ومصر .

جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وعرضا لـبعض مـصادرها ومراجعهـا، وخمسة فصول تناول الفصل الأول الحديث عن المؤسسات التعليمية في بلاد الشام متمثلة في المساجد والكتاتيب العامة والخاصة، وأساليب التعليم التي انتشرت فـي تلك الفترة واشتمل الفصل الثاني على العلوم الدينية وفي مقدمتها علـوم القـرآن الكريم: (القراءات والتفسير) وعلم الحديث النبوي الشريف وعلم الفقه وعلم الكـلام وتناول الفصل الثالث علوم اللغة العربية وآدابها بما في ذلك علم اللغة وعلم النحو، والأدب بفرعيه النثر والشعر.

وعالج الفصل الرابع العلوم الاجتماعية ليـشمل تطـور علـوم: التـاريخ والجغرافيا والفلسفة، وعالج الفصل الخامس العلوم التطبيقيـة (الطـب والـصيدلة والفلك والحساب والجبر) وحركة الترجمة.

وختمت الدراسة بالنتائج التي توصلت لها في الجوانـب العلميـة والثقافيـة وإبراز انجازات علماء بلاد الشام في وما رفدوا به المكتبة الإسلامية من مصنفات في مختلف نواحي المعرفة.

راجيا أن أكون - بتوفيق من الله وتسديده - قد وفقت في تحقيق الهدف مـن هذه الدراسة بتسليط الضوء على الحياة العلمية والثقافية لبلاد الشام لفترة عانت مـن تهميش الباحثين، ورفد المكتبة الإسلامية العربية بما هو جديد وذو فائدة، فان أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والحمد لله رب العالمين.

عرض لبعض مصادر الدراسة ومراجعها

تنوعت مصادر هذه الدراسة بين مصادر تاريخية وجغرافية وفقهية ومؤلفات في الحديث ومصادر لغوية وأدبية مما يضفي عليها نوعا من الشمول، وقد كانـت الإفادة من مختلف المصادر وإن اختلف مقدار الإفادة بين مصدر وأخر، وسنتناول هنا عرض لأهم هذه المصادر.

أما المصادر التاريخية وتشتمل على كتـب التـاريخ والطبقـات والتـراجم والأنساب ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب "تاريخ مدينة دمشق" لابن عـساكر (ت 571هـ/1175 م)، وهو الحافظ ثقة الدين أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر ويقع كتابه في ثمانين مجلد، أفادت الدراسة من هذا الكتاب في كل فصولها فقد حـوى تـراجم لعلماء دمشق فقد ذكر معظم من عاش أو مر بدمشق من العلماء حيث تردد معظم العلماء بين دمشق ومصر والعراق، فقد ترجم في كتابه هذا للعديد مـن المحـدثين والفقهاء والنحاة واللغويين والشعراء مستعرضا حياتهم العلمية وأهـم انجـازاتهم، وتأتي أهمية كتاب ابن عساكر كونه اختص في الحديث عن علماء بلاد الشام، فقـد أمدنا بمعلومات هامة عن مشاهير العلماء والأدباء وغيرهم من رجالات بلاد الشام في تلك الفترة.

ومـن المـصادر التاريخيـة كتـاب "وفيـات الأعيـان" لابـن خلكـان (ت681هـ/1282 م)، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كون ابن خلكان اعتمد علـى مصادر سابقة عديدة، وقد ترجم لعدد كبير من علماء وأدباء بلاد الشام في العـصر العباسي الثاني والذين كان لهم دور فاعل في رفد الحياة العلمية والثقافية فـي بـلاد الشام، وقد أفادت الدراسة كثيراً من هذه التراجم في معرفة العلوم التي ازدهرت في تلك الفترة والعلماء ومجالسهم وحلقاتهم وتعاملهم مع طلاب العلم.

وأفاد كتاب "الفهرست" لابن النديم (ت 483هـ/ 1090 م) الدراسـة مـن خلال ذكر أسماء العديد من العلماء ومصنفاتهم في مختلف أصناف المعرفة، وانفرد

بذكر بعض الكتب التي ترجمت من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، وذكر ابـرز العلماء الذين كانت لهم انجازات واضحة في الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام.

كذلك أفادت الدراسة من كتب التاريخ العام مثل كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبـر " لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405 م) حيث تناول الحديث عن عدة علوم مبينا المقصود فيها ومواضيع الدراسة التي تتناولها، فقد اسـتمدت الدراسـة منـه تعريف العلوم وموضوعاتها.

ومن المصادر التاريخية التي أفادت الدراسة كتب الحوليات ككتاب "البدايـة والنهاية" لابن كثير(ت 774هـ/ 1372م) وهو أبو الفداء إسماعيل بن عمر، فقـد أفادت مثل هذه الكتب الدراسة بمعلومات هامة عن ابرز العلماء والمجالس العلميـة والأدبية ومدى اهتمام الأمراء بالعلماء والأدباء وتشجيعهم، كذلك العلماء وترجماتهم ومشايخهم وطلابهم ومجالسهم ومصنفاتهم.

كذلك أفادت الدراسة من كتب الطبقات المتنوعة التـي اهتمـت بالمحـدثين والفقهاء والأطبـاء والأدبـاء والـشعراء والتـي كـان منهـا كتـاب الـسيوطي (ت911هـ/1505م) "طبقات المفسرين العشرين" والذي يمكن تصنيفه من ضـمن كتب علوم القرآن أيضا حيث تناول الحديث عن المفسرين في بلاد الشام ومجالـسهم ومصنفاتهم في تفسير القرآن الكريم.

وأفادت الدراسة في الحديث عن القراء في بلاد الشام من كتاب ابن الجزري (ت833هـ/1429م)، شمس الدين أبو الخير "غاية النهاية في طبقات القراء" فقـد تناول أيضا الحديث عن القراء في بلاد الشام ومجالسهم ومصنفاتهم، وكـذلك فـي التعريف بالقراء وشيوخهم وتلاميذهم والقراءات التي اشتهرت أفادت الدراسة مـن كتاب ابن مجاهد (324هـ/935م) "السبعة في القراءات".

وفي الحديث عن الصوفية ودروهم في علم الحديث كـان كتـاب الـسلمي (ت412هـ/1021م)"طبقات الصوفية"، في حديثه عن الصوفية وحيـاتهم والثقافـة الدينية التي انتشرت بينهم وسعوا إلى نشرها بين الناس ودورهم فـي الـوعظ فـي

المجتمع الشامي، وفي هذا الجانب أيضا أفادت الدراسة من كتـاب ابـن الجـوزي (ت579هـ/1183م)، أبي الفرج عبد الرحمن، "تلبيس إبليس" .

وأما كتب الجغرافية فقد كان منها كتـاب "مـسالك الأبـصار فـي ممالـك الأمصار" لابن فضل الله العمري (ت749هـ/1348م) والذي أورد ترجمة للعديـد من الشعراء والنحاة واللغويين والكتّاب موردا عدة نصوص من إبداعاتهم ومهارتهم في استعمال فنون اللغة العربية وإجادتهم.

أمـا كتـب اللغـة والأدب فكـان مـن أبرزهـا كتـاب الفيروزآبـادى (ت817هـ/1414م) "البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة"، والذي أفاد الدراسة فـي الحديث عن النحاة واللغويين فهو بمثابة معجم شامل لتراجم علمـاء اللغـة والنحـو الأدب.

وفي كتاب السيوطي (ت911هـ/1505م)، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" فقد أفاد الدراسة في الحـديث عـن العديد من النحاة وابرز مؤلفاتهم.

وفي كتاب ابن المعتز (ت296هـ/908م) "طبقات الـشعراء" فقـد أفـادت الدراسة منه في ترجمته للعديد من الشعراء الذين عاشوا أو مروا في بـلاد الـشام، موردا الشواهد من أشعارهم والمساجلات الشعرية بينهم ونقد بعضهم لبعض، وقـد أفادت الدراسة في إيراد الشواهد الشعرية لأبرز شعراء بلاد الشام وهـو المتنبـي (ت354هـ/965م) من خلال "ديوان المتنبي"، والذي كان من ابرز الـشعراء فـي بلاد الشام في العصر العباسي الثاني.

ومن المصادر التي أفادت الدراسة في الحديث عن العلوم التطبيقية وخاصـة الطب والصيدلة كتاب ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/1269م) "عيون الأنبـاء فـي طبقات الأطباء" حيث ترجم لعدة أطباء مستعرضا أهم انجازاتهم الطبية ومؤلفـاتهم وما ترجموه من اللغات الأخرى، وفي هذا الجانب من المصادر التي أفـادت منهـا الدراسة كتاب ابن جلجل (384هـ/994م) "طبقات الأطباء والحكماء" إضافة إلـى كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي (ت387هـ/997م) فقد أفادت منه الدراسـة فـي الحديث عن العديد من العلوم التي ازدهرت في ظل الحضارة العربية الإسلامية.

وفي الحديث عن المؤسسات التعليمية فقد أفادت الدراسة من كتاب المقدسي (ت643هـ/1245م) "فضائل بيت المقدس" في الحديث عن المسجد الأقصى ودوره في الحياة العلمية من خلال مجالس العلم التي كانت تعقد فيه، كذلك كتاب ابن سحنون، "آداب المعلمين" وحديثه عن الكتاتيب وطرق التدريس.

والى جانب الاعتماد على المصادر والتي تستقى منها المادة الأولية ولا يتسع المجال لذكرها كان الاعتماد أيضا على العديد من المراجع المتنوعة التي تناولت تاريخ العالم الإسلامي في تلك الفترة للاسترشاد بها في استخلاص المادة التي تخص فترة الدراسة، منها كتاب للباحثة ملكة الأبيض وهو بعنوان "التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة بالاستناد إلى تاريخ دمشق لابن عساكر" والذي هدفت الباحثة من خلاله إلى التعرف على الوضع الثقافي والتربوي في بلاد الشام والجزيرة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة منذ الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام وحتى بداية القرن الرابع الهجري.

وقد أفاد الدراسة من خلال النتائج التي توصلت إليها الباحثة بالإضافة إلى حديثها عن أساس ازدهار الثقافة العربية الإسلامية خلال العصر العباسي .

كذلك ومن أهم المراجع التي أفادت منها الدراسة كتاب جرجي زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية" فقد تناول الحديث عن ابرز الشعراء والنحاة واللغويين في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني، وسلط الضوء على أهم ميزات ذلك العصر.

كذلك كتاب حسين الكساسبة "المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين)"، فقد أفادت منه الدراسة في الحديث عن الكتاب ومؤهلاتهم وبروز الشعراء منهم.

ومن المراجع التي أفادت الدراسة "تاريخ البيمارستانات في الإسلام" لعيسى بك فقد أورد معلومات عن الأطباء والبيمارستانات في العصر العباسي الثاني واهم انجازاتهم العلمية والطبية، وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع التي أفادت منها الدراسة والتي لا يتسع المجال لذكرها ولكنها موجودة في قائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول: المؤسسات التعليمية في بلاد الشام.

تمهيد

كانت أول آيات القرآن الكريم التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ 1 ﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ 2 ﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿ 3 ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿ 4 ﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ 5 ﴾ " [1] وفي ذلك إشارة إلى أهمية العلم والتعلم وقال الله عز وجل أيضاً مرغباً في العلم وحاثاً على طلبه: " وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا " [2] وقال تعالى مبينا فضل أهل العلم على غيرهم: " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ 11 ﴾ " [3] وقال الله عز وجل أيضا: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ " [4] وقال تعالى مبينا أن اهل العلم اكثر العباد خشية لله تعالى لعلمهم ولما توصلوا له من درجات المعرفة: " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ " [5].

وقد بينت السنة النبوية أيضا أهمية العلم ومن ذلك ما يرويه أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات ابن أدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " [6] وبين صلى الله عليه وسلم فضل الرحلة في طلب العلم بقوله: " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " [7] وبين صلى الله عليه وسلم فضل أهل العلم: "

---

[1] سورة العلق، آية 1 – 5.

[2] سورة طه، آية 114.

[3] سورة المجادلة، آية 11.

[4] سورة الزمر، آية 9.

[5] سورة فاطر، آية 28.

[6] النووي، رياض، ص 344 .

[7] النووي، رياض، ص 344.

...إن العلماء ورثة الانبياء، وإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثـوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[8]

ويعد التعليم ضروري وطبيعي في البشر، لحاجة الإنسان لمعارفه المختلفة، حتى لا يتحير بالفهم والوعي فقط، بل بملكة خاصة، والحصول على هذه الملكة في العلم والفن يكون بالتعليم [9].

وقد كانت هنالك العديد من المؤسسات في الحضارة الإسلامية التـي عنيـت بالتعليم وتطويره، وقد وجدت هذه المؤسسات في بلاد الشام في العـصر العباسـي الثاني ومن هذه المؤسسات:

1.1 المساجد:

كان المسجد المعبد والبرلمان والنادي والمدرسة والمحكمة، فهو المعبد مـن حيث وقوف جميع الناس صفا واحدا خاضعين لشرع الله، وهو البرلمان فقـد كـان يعين فيه الخليفة وتبحث فيه القوانين وهو النادي الذي يعلن الأمير فيه سياسته وتعقد منه الرايات، وهو المدرسة التي وضعت من خلاله أسس الثقافة الإسـلامية وكـان يدرس فيه كل علم ينفع الناس من علوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية وعلـوم الشريعة عامة وعلوم اللسان وكل علم تحتاج إليه الأمة الإسلامية يكون تعلمه فرض كفاية في نظر الإسلام حتى الكيمياء والفيزياء والرياضيات، وهو المحكمـة التـي صدرت فيها اعدل الأحكام واجرؤها [10].

وقد كان من أبرز المساجد في بلاد الشام المسجد الأقصى، فقد بين القـرآن الكريم المكانة الدينية للمسجد الأقصى؛ حينما جعل الله تعالى المسجد الأقصى آيـة من آياته الكريمة تتلى إلى يوم القيامة، فهو آية مسطورة في القرآن الكريم، محفوظة في صدور الحفاظ لكتاب الله تعالى، وهو آية مشاهدة بذلك العمران العظيم للمـسجد الأقصى الذي يؤمه المسلمون للصلاة والعبادة فيه؛ تقربا إلى الله تعالى كما أنه منارة

---

[8] النووي، رياض، ص 344.

[9] الاهواني، التربية، ص 248.

[10] الطنطاوي، الجامع، ص 5؛ السباعي، من روائع، ص 205.

للعلم يرتاده العلماء ليبلغوا دعوة الله تعالى إلى الناس[11]، وقد قال الله عـز وجـل: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" [12]. فقد كان المسجد الأقصى أولى القبلتـين، وثالـث الحـرمين فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى" [13]، كمـا أن المسجد الأقصى كان ثاني مسجد وضع في الأرض، فعن أبي ذر قال: " قلـت: يـا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ فقال: المسجد الحرام ، قلت: ثم أي ؟ قال: المسجد الأقصى يعني بيت المقدس" [14]، وهو أيضا المكان الذي نجى الله عز وجل إليه إبراهيم ولوط عليهما السلام، وقد كان مقر الأنبيـاء إبـراهيم وإسـحاق ويعقوب وداوود وسليمان وغيرهم من الأنبياء على مدار التاريخ[15].

وهناك العديد من الفضائل للمسجد الأقصى ففيه قبة الصخرة المشرفة التـي عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء منها، كذلك وردت العديد من الأحاديث في فضائل المسجد الأقصى ففي أكنافه سكنى الطائفة المنصورة [16].

كما حظي المسجد الأقصى بمكانة عظيمة في حياة الصحابة والتابعين، يمكن لنا أن نلحظ تلك المكانة فيما ورد على ألسنتهم الطاهرة من أقوال منها على سـبيل المثال لا الحصر: ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: " أنه أتى بيت المقدس فأقام فيها ثلاثة أيام ولياليها يصوم ويصلى، فلما خرج منها وكان على الشرف ثـم أقبل على أصحابه فقال: أما ما مضى من ذنوبكم فقد غفر الله تعالى لكم فانظروا ما أنتم صانعون فيما بقي من أعماركم"[17]، كذلك ما روي عن عطاء بن أبي رباح حيث

---

[11] الحولي، المكانة، ص 3.

[12] سورة الإسراء، آية رقم 1.

[13] البخاري، صحيح، ج4، ص 376؛ المقدسي، فضائل، ص 40.

[14] المقدسي، فضائل، ص 47.

[15] جمال وجمعة، ذرية، ص 317.

[16] المقدسي، فضائل، ص 72؛ الحولي، المكانة، ص 7 – 15.

[17] الحولي، المكانة ص 5.

قال: " لا تقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده إلى بيت المقدس فيسكنهم الله إياها" [18].

كذلك اهتم العباسيون بالمسجد الأقصى فقد أمرت أم الخليفة المقتدر حكم من(295-320هـ/908-932م) في سنة 301هـ/914م بترميم قبة الصخرة وإصلاحها وتزويد كل باب من الأبواب بمدخل خشبي فخم، كذلك فقد زار عدد كبير من العلماء وأهل الفضل المسجد الأقصى خلال العصر العباسي الثاني وكانت لهم حلقات العلم فيه وكان منهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/820م)[19].

وقد زخر المسجد الأقصى بحلقات العلم، ومن حلقات العلم والوعظ في المسجد الأقصى حلقة محمد بن كرام، وقد حضر مجلسه عدد كبير من طلبة العلم ثم تبين لهم أنه يقول أن الأيمان قول بلا عمل فتركه أهلها ونفاه متوليها إلى غور زغر[20] فمات بها ونقل إلى بيت المقدس، وقيل مات في بيت المقدس ليلا ودفن بباب أريحا عند قبور الأنبياء عليهم السلام وكان له ببيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفا[21]، واحدث أصحابه بعد موت معلمهم محمد بن كرام رباطا لهم ببيت المقدس يسكنون به وكانوا يروون أن الأيمان قول، مما يتعارض مع فعلهم في الزهد والتنسك [22].

ومن مساجد بلاد الشام الجامع الأموي الذي بني في عهد الوليد بن عبد الملك حكم من (86-96هـ/705-715م) ويروى أنهم عند بناء المسجد رأوا مغارة فنزل الوليد والشموع بين يديه فوجد كنيسة صغيرة ثلاثة اذرع في ثلاثة اذرع فيها

---

[18] الحولي، المكانة ص 5.

[19] الزبدة، القدس، ص 99.

[20] زغر أو صوغر: تعود أصل تسميته إلى زغر أو صوغر وهي إحدى بنات نبي الله لوط عليه السلام وسميت عين الماء القريبة من الكهف الذي لجا إليه سيدنا لوط بعين زغر ويعرف اليوم بغور الصافي(موقع الكتروني، البحر الميت)

[21] ابن كثير، البداية، ج11، ص 18.

[22] ابيض، التربية، ص 325.

صندوق فيه رأس سليم الجلدة والشعر، مكتوب عليه انه رأس يحيى بن زكريا(عليه السلام) فأمر بتركه على حاله وجعل للعمود القائم على المغارة علامة مميـزة ثـم وضع فوقه تابوت عليه اسم يحيى عليه السلام[23].

ولما أراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق احتاج إلى كثير من الصناع، فكتب إلى ملك الروم بأن يوجه إليه بأربع مئة صانع من صنّاع الروم، مخاطبا له: " فإنّي أريد أن أبني مسجدا لم يبن من مضى قبلي ولا من يكون بعدي مثله، فإن أنت لم تفعل غزوتك بالجيوش، وأخربت الكنائس في بلادي، وكنيسة بيت المقدس، وكنيسة الرها، وسائر آثار الروم في بلادي، فأراد الطاغية أن يفضه عن بنائـه، ويـضعف عزمه، فكتب إليه: لئن كان أبوك فهمها، وغفل منها إنها لوصمة عليك، وإن كنـت فهمتها وغيبت عن أبيك إنها لوصمة عليه، وأنا موجه إليك ما سألت، فأراد أن يعمل له جوابا، فحشر له عقلاء من الرجال في خطة المسجد، يتفكرون في ذلك، فـدخل الفرزدق، فقال: ما بال الناس مجتمعين؟ فقيل له: السبب كيت وكيت، فقال: أنا أجيبه من كتاب الله، قال الله تبارك الله من قائل: " فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا[24] " فسري عنه"[25].

ويذكر ابن جبير الجامع الأموي في رحلته: " هو من أشهر جوامع الإسلام حسناً، وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة فـي ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه، انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك رحمـه الله، ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإحضار اثني عشر ألفاً من الصناع مـن بلاده، وتقدم إليه بالوعيد في ذلك أن توقف عنه، فأمتثل لأمره مذعناً بعد مراسـلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التاريخ، فشرع فـي بنائـه، وبلغـت الغايات في التأنق فيه، وأنزلت جدره كلهـا بفـصوص مـن الـذهب المعـروف بالفسيفساء، وخلطت أنواع من الأصبغة الغريبة، قد مثلت أشجاراً وفرعت أغـصانا

---

[23] ابن عساكر، تاريخ، ج2، ص 241؛ الطنطاوي، الجامع، ص 32.

[24] سورة الأنبياء، آية 79.

[25] ابن عساكر، تاريخ، ج 74، ص 47؛ سالم، تاريخ، ص 445.

منظومة، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف، فجاء يغشي العيون وميضاً وبصيصاً، وكان مبلغ النفقة فيه"[26]، وفي الركن الشرقي مـن المقـصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمـان رضـي الله عنه، وهو المصحف الذي وجه به الشام وتفتح الخزانة كل يوم إثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه"[27].

وقد كان الجامع الأموي بدمشق منارة يقصده العلماء مـن خـارج وداخـل دمشق للاستفادة والإفادة حتى عد مفخرة ذلك الزمان ومازال حتى الآن، فقـد قـال عنه الوليد بن عبد الملك مخاطبا أهل دمشق بعد أن بناه: " إنكم تفخرون على الناس بأربع: بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببت أن أزيد خامسة وهـي هـذا الجامع"[28].

وقد كان للعديد من العلماء والفقهاء مجالس في الجامع الأموي في العـصر العباسي الثاني وكانت مجالسهم تسمى بالحلقات لأنهم كانوا يتحلقون حول العالم في الجامع ومن هذه الحلقات حلقة كنيز بن عبدالله أبو علي الخادم الفقيه الشافعي مولى المنتصر بالله بن جعفر المتوكل على الله حكم من (232-247هـ ـ/847-861م) كان من أهل بغداد ثم خرج إلى مصر وأقام بها مدة وسكن دمشق ومات بها[29].

وكان من مساجد بلاد الشام أيضا والتي كان يـدرس فيهـا الفقـه المـسجد الغضائري وهو أول مسجد اختطه المسلمون عند فتح حلب بأمر من الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك حكم من (96-99هـ/715-717م) وأصبح يعرف فيما بعد بمسجد شعيب، وينسب إلى الغضائري وهو أبو الحسن علي بن عبد الحميـد احـد الأولياء يقال أنه حج من حلب ماشيا أربعين حجة، وأما شعيب هو ابن أبي الحـسن بن حسين بن احمد الأندلسي الفقيه وكان من فقهاء هذا المسجد[30]، وقـد كـان هـذا

---

[26] ابن جبير، رحلة، ص 211.

[27] ابن جبير، رحلة، ص 217.

[28] الوافي، التعليم، ص13.

[29] ابن عساكر، تاريخ، ج50، ص261.

[30] ابن العديم، بغية، ج1، ص 460.

الجامع يضاهي جامع دمشق في الزخرفة والرخام والفسيفساء وباهى سليمان بن عبد الملك في بنائه ليضاهي ما عمل أخوه الوليد بـن عبـد الملـك حكـم مـن (86-96هـ/705-715م) في جامع دمشق[31].

ومن المساجد فيها جامع المنصور وكان مـن فقهائـه احمـد بـن سـلمان المعروف بالنجاد كان فقيها مفتيا، وكان له في جامع المنصور في حلـب حلقتـان: أحداهما للفتوى في الفقه على مذهب الإمام احمد بـن حنبـل والأخـرى لإمـلاء الحديث[32]، ومن مساجد بلاد الشام أيضا مسجد الجابية، وقد كان الحسن بن حبيـب الحصائري الشافعي ت 338هـ/950م إماما له وكان له فيه مجلسا للحديث والفقه يدرس فيه كتاب " الأم " للشافعي [33]، ومنها مسجد إبراهيم (عليه السلام)، وقد كان شيوخ الشام يقصدونه ويصلون فيه، ويذكرون انه أقيم في الموضع الذي رأى فيـه إبراهيم عليه السلام الكوكب[34].

2.1 الكتاتيب:

بالرغم من أن المسجد كان المؤسسة الدينية والتعليمية الأولى في الإسلام إلا أن المسجد لم يعد يستوعب جميع طلبة العلم بمختلف أعمارهم, ولأن الطفل لا يدرك إدراكاً تاماً آداب المسجد وحرماته, أنشئ إلى جانبه مؤسسة علمية لا تقل أهمية عن باقي المؤسسات الأخرى ذات الاختصاص, وهذه المؤسسة هي الكتّاب الذي كان له إسهاماً فعالاً في إنشاء الطفل وتربيته خلقياً وعلمياً، والتي كانت أشـبه بالمدرسـة الابتدائية[35].

---

31 سبط ابن العجمي، كنوز، ج1، ص 207.

32 ابن العديم، بغية، ج2، ص 766.

33 ابن عساكر، تاريخ، ج13، ص 49.

34 عبد الهادي، ثمار، ج3، ص 163.

35 السباعي، من روائع، ص 206.

وقد اشتق اسم الكتّاب من التكتيب أي تعليم الكتابة، ويعتبر الكتّاب أو المكتب مؤسسة للتعليم الأولي وهي عبارة عن مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابـة وتحفيظهم القرآن الكريم[36].

فقد كان الكتّاب أشبه بالمدرسة الأولية أو الابتدائية، ولم تكن الدولة التي تدبر أمر خطة التعليم فيها، بل ظلت الكتاتيب منذ أنشئت قديما مع ظهور الإسلام نظامـا حرا يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعلـيم، وكـان الغـرض الأساسي من الكتّاب هو تعليم الصبيان القرآن الكريم والقراءة والكتابة وبعض النحو والعربية والحساب، وكان الصبيان يذهبون مع الصباح إلى الكتّاب يحملون الألـواح التي يكتبون فيها الآيات القرآنية التي يحفظونها وقد جرت العادة على أن يكون معلم الكتّاب من الذين يحفظون القرآن والعلوم الدينية والفقهية، فهو فقيه أتم تعليمه علـى شيخه واخذ منه إجازة التعليم [37].

وقد عرفت الكتاتيب العامة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والعـصر الراشدي وزاد الاهتمام بها في العصر الأموي نظرا لتطور وازدهار العلوم الدينيـة والأدبية، لذلك زاد الاهتمام بالكتاتيب والمعلمين واستمرت الكتاتيـب فـي العـصر العباسي بأداء دورها التعليمي[38].

انتشرت في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني الكتاتيب العامة وفي بعض الأحيان كان الولاة يبعثون بالمعلمين إلى المناطق مقابل التكفل بنفقـتهم وكـل مـا يلزمهم لتعليم الصبيان وقد كان المعلمين في الغالب يأخذون الأجر من أهالي التلاميذ الذين يعلمونهم[39]، وقد كان الأهالي في حال عجزهم عن ذلك يطلبون من الـسلطان ما يؤدونه للمعلم [40].

---

[36] التخاينة، الحركة، ص 9.

[37] الاهواني، التربية، ص 11.

[38] التخاينة، الحركة، ص9.

[39] ابن عساكر، تاريخ، ج9، ص 218.

[40] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 121.

ويقوم بالتعليم في هذا الكتّاب معلم وهو الذي يستأجره ويتخذه مكانا للتعليم وقد يشترك معلمان أو أكثر في التعليم في الكتّاب الواحد إذا كان عدد الصبيان كثيرا، وفي الغالب كان الكتّاب لمعلم واحد، ولم يكن للحاكم أو السلطان على هذه الكتاتيب سلطة فهو لا ينشئها ولا يشرف على سير التعليم فيها ولا شأن له بها وإنما يفتتح المعلمون الكتاتيب من تلقاء أنفسهم ويدفع إليهم الآباء بأبنائهم حسب رغبتهم ويتلقى الصبيان التعليم فيها نظير اجر يدفعونه إلى المعلم [41].

وقد كان الآباء يتحرون جهدهم في انتخاب من يتولى تعليم صبيانهم فلا يختارون إلى هذه المهمة إلا من تقرر عندهم حسن أخلاقه وتوفرت فيه خصال رشيدة جمة منها: الاشتهار بالاستقامة والعفاف والعدالة مع الخبرة التامة بالقرآن الكريم وعلومه، قال الإمام القابسي: " ينبغي أن يكون المعلم مهيبا لا في عنف ولا يكون عبوسا مغضبا، ولا مبسطا، مرفقا بالصبيان دون لين وينبغي أن يخلص أدب الصبيان"[42].

وكانوا يشترطون على المعلم أن يتخلى عن كل شيء للتعليم، وان لا يشتغل بغير صناعته، وان يعم أوقات فراغه بالنظر فيما يعود على تلاميذه بالنفع والفائدة في تعليمهم، ومراقبة غدوهم ورواحهم، وإعلام أوليائهم عن مغيبهم دون عذر، وفرضوا عليه المساواة التامة في تعليم أبناء الأشراف والفقراء لا فرق بينهما[43]، فنجد أن الشروط العامة لمعلم الصبيان تنص على أن يكون من أهل الصلاح والفقه والأمانة وحافظا للقرآن الكريم والسنة النبوية مشهورا بالدين وعمل الخير[44].

أما أوقات الدراسة فقد كانت في الفترة الصباحية أي من بعد صلاة الصبح مباشرة حتى شروق الشمس وهي فترة نشاط وحيوية وبركة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " اغدوا في طلب العلم فإني سألت ربي أن يبارك لأمتي بكورها "، وقيل للشعبي من أين لك هذا العلم فقال: " السير في البلاد وبكور بكور الغراب"، وكان

---

[41] الاهواني، التربية، ص 64.

[42] ابن سحنون، آداب، ص 47.

[43] ابن سحنون، آداب، ص 49.

[44] التخاينة، الحركة، ص 10.

بعضهم يجلس في حلقته بعد شروق الشمس، وكان بعضها بعد صلاة العصر حتى غروب الشمس، وبعضها بعد صلاة الظهر إلى العصر، ولكن معظم الدروس وأهمها كانت في الفترة الصباحية [45].

أما عن سن التعليم التي يبدأ عندها الصبي بتلقي العلم فلم تكن هناك سن محددة لذلك، إنما كان متروكا لآباء الصبيان، لكن يبدو أن مرحلة ما بين الخامسة والسابعة هي السن التي كان يرسل فيها الصبي إلى الكتّاب، أما السن التي ينهي الصبي تعليمه في الكتّاب إذا بلغ الحلم وهي سن متأخرة لحفظ القرآن الكريم وهي تتراوح بين الثانية عشرة والرابعة عشرة، وإذا ما أتم الصبي مرحلة التعليم في الكتّاب كان عليه اجتياز امتحان لما حفظه وعليه حفظ القرآن الكريم ويسمى ذلك بالختمة[46].

وفي بعض الاحيان تعتمد المدة الزمنية التي يقضيها الصبي في الكتّاب على تقدمه في الفهم والتميز وعلى مدى قابليته واستعداده للتعلم فإذا ختم القرآن يكون قد أنهى دراسته وهو ما يسمى كما ذكر سابقا بالختمة أي أن الصبي يختم القران الكريم وكانت تعتبر مناسبة سعيدة قد تشهد في كثير من الاحيان احتفالا مهما وغالبا ما كان يتم الاحتفال بالختمة [47].

أما أثاث الكتّاب فقد كان يفرش بالحصر غالبا وكان يجلس عليها الصبيان متربعين حول معلمهم وكانت أدوات الدراسة لا تتجاوز المصحف الشريف وعدة من الألواح يكتب عليها الصبيان وكذلك عدد من الدوى والأقلام [48].

ومن معلمي الكتاتيب في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد التميمي المعروف بالغباغبي (ت 325هـ/937م) وكان معلما بدمشق على باب الجابية[49].

---

45 أبو رحمة، الحياة، ص 126.

46 التخاينة، الحركة، ص 11.

47 الضمور، هناء، الحياة، ص 41.

48 عبد العال، التربية، ص 186.

49 ابن عساكر، تاريخ، ج27، ص 46.

ومن المعلمين أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد بن إسماعيل بن علي أبو هاشم السلمي(ت 364هـ/975م) وكان مؤدبا أيضا، قرأ القرآن على أحمد بن ذكوان، وهارون بن موسى الأخفش، ورحل وسمع القاسم بن عيسى العصار وعبد الله بن محمد البغوي بمكة وجعفر بن أحمد بن عاصم وأبا جعفر محمد بن عبد الحميد الفرغاني الهروي وأحمد بن أبي عبد الملك محمد بن عبد الواحد الحمصي وغيرهم، وقرأ عليه أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد وعبد الظاهر بن عبد العزيز الصايغ، وروى عنه أبو القاسم تمام بن محمد وعبد الوهاب الميداني وأبو نصر بن الجبان وأبو الحسن بن عوف ومكي بن محمد بن الغمر وعبد الرحمن بن عمر بن نصر وغيرهم، جمع من المصنفات شيئا كثيرا وكان ثقة مأمونا[50].

ومن المعلمين أيضا محمد بن أحمد بن سيد حمدويه أبو بكر التميمي ويقال مولى بني هاشم الزاهد صاحب الكرامات، ومما يروى عن كراماته: انه مات تلميذ له فيقول الراوي: "فخرجنا فصلينا عليه ودفناه ورجعنا فقرأ رجل في المسجد فزعق بعض أصحاب المعلم فمات فأعجب القارئ بذلك وقال للمعلم: مات الرجل، فقال المعلم: إنما مات من القرآن لا منك، فقال له المعلم: الله حسبي الله، فمات الرجل، فقال: خذوا في أمرهما واحدة بواحدة "[51].

وفي بعض الأحيان يكون المعلم مؤدبا أيضا فقد كان محمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن ذكوان أبو طاهر البعلبكي (ت 354هـ/965م) معلما ومؤدبا وقد سكن صيدا وقرأ القرآن على هارون بن موسى الأخفش وسمع أبا عبد الملك أحمد بن إبراهيم بن محمد القرشي وغيرهم، وذكر عبد الباقي بن الحسن بن السقا المقرئ قال: " لم يكن أبو طاهر من نفسه في أخذ القرآن من أحد فلما كان قبل موته بيسير احتاج إلى تعليم الصبيان فكان يعلم بباب الجامع بصيدا فقرأت عليه وختمت القرآن بعد مداراتي له ولولا ما لحقه من الإقلال لكان على الامتناع من الأخذ" [52].

---

[50] ابن عساكر، تاريخ، ج 34، ص 27.

[51] ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 52.

[52] ابن عساكر، تاريخ، ج53، ص 114.

وقد وصف أهل بلاد الشام من حيث أساليب التعليم التي كانت دارجـة فـي عندهم ومنهج التعليم بأنهم: " كانوا يخاطون في التعليم كذلك على مـا يبلغنـا، ولا أدري بهم عنايتهم منها، والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصـحف العلـم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطونه بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عنـدهم قـانون ومعلمون له على انفراده، كما تتعلم سائر الـصنائع ولا يتـداولونها فـي مكاتـب الصبيان، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة، ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسمح له بعد ذلك من الهمة في طلبه، ويبتغيه من أهل صنعته" [53].

وأما فيما يتعلق بأخذ الأجر على التعليم فقد أجاز الفقهاء ذلك وسـبب ذلـك اهتمام الفقهاء بالتعليم ليشب العامة على معرفة الدين علما وعملا لأن معرفة الـدين لا تتم إلا بنوع من التعليم سواء أكان هذا التعليم صادرا من الوالد إلى أبنائه بالتلقين أو أخذا عن شيخ بعينه يتطوع لتعليم الصبيان شؤون دينهم، وفي كلتـا الحـالتين لا يتحقق نشر الدين بين جميع الناس لانصراف الآباء إلى أعمالهم وقلة من يتطوعون للتعليم لهذا أجاز الفقهاء اخذ الأجر على التعليم[54].

ولهذا السبب لم تخلو نظرة العامة لهم من النقد والاسـتهانة ذلـك لأن رزق هؤلاء المعلمين يرتبط بأهل الصبي المتعلم ونقل المبرد عن الجاحظ قولـه: " خبـز المعلم يأتي مختلفا ألوانه لأنه من صبيان مختلفي الأحوال"، وكذلك لأنهم يتعـاملون مع صبيان عقولهم محدودة التفكير مما جعل المجتمع لا يرفع من مكـانتهم مقارنـة بغيرهم[55].

كان اهتمام المسلمين بأمر عقوبة الصبيان واضحا فقد رأى بعضهم انه لابـد من العقوبة على أن تبدأ بالإنذار مع التأكيد على أن لا يؤخذ الطفل بالعنف أولا إنما بالتلاطف وقد يكون المديح والتشجيع أجدى من التأنيـب ولكـن إذا أصـبح مـن

---

[53] ابن سحنون، آداب، ص 145.

[54] الاهواني، التربية، ص 95.

[55] الضمور، هناء، الحياة، ص 36.

الضروري الالتجاء إلى الضرب ينبغي ألا يتردد المعلم في ذلـك علـى أن يكـون الضرب غير مبرح [56].

وإذا أخطأ الطالب في الكتابة والهجاء والحفظ أو أهمل أو انصرف إلى اللعب والعبث دون الدرس والعلم أو هرب من الكتّاب عاقبه المعلم بالنصح تارة، والعـزل والتهديد تارة أخرى، والضرب تارة أخرى، إن لم تفلح النصائح، ولم يجد التهديد[57].

وكان بعض المعلمين يقوم بعقاب بعض التلاميذ بحبسه في الكتّاب ومنعه من الانصراف إلى أهله ومنها ما رواه احدهم: " أن أبا عبد الله بن محمد سأل الجهم بن بدر - معلم علي بن الجهم - أن يحبسه في المكتب لشيء وجد عليه، فحبسه إلـى الظهر، وضاق صدره فأخذ شق لوح وكتب فيه إلى أمه، وبعـث بـه مـع بعـض الصبيان إليها من حيث لا يعلم أبوه:

يـا أمتـا أفـديك مـن أم | أشـكو إليـك فظاظـة الجهـم
قـد سـرح الـصبيان كلهـم | وبقيـت محـصوراً بـلا جـرم

فلما قرأت الأم البيتين وثبت إلى لحية أبيه الجهم فنتفت أكثرها، فذهب الجهم بنفسه حتى أطلقه [58].

ويصف ابوبكر ابن العربي طريقة التعليم في الكتّاب مما شـاهده بالمـشرق الإسلامي من أساليب التعليم، ومما أخذ به واصفا حال الآباء في تعليم أبنائهم بـأن لهم في التعليم سيرة بديعة وهي أن الصغير منهم – إذا عقل- بعثوه إلى الكتّاب، فإذا عبر الكتّاب، أخذه بتعلم الخط والحساب والعربية؛ فإذا حذقه كله، أو حذق منه مـا قدر له؛ خرج إلى المقرئ، فلقنه كتاب الله، فحفظ منه كل يوم ربع حزب، أو نصفه، أو حزبا؛ حتى إذا حفظ القرآن، خرج إلى ما شاء الله من تعلم العلم أو تركه؛ ومنهم – وهم الأكثر- من يؤخر حفظ القرآن، ويتعلم الفقه والحديث، وما شاء الله؛ فربمـا

[56] الضمور, طالب, التربية, ص 70.

[57] الاهواني، التربية، ص 65.

[58] ابن المعتز، طبقات، ص 319.

كان إماما- وهو لا يحفظ القرآن، ويقول ابن العربي: "وما رأيت بعيني إماماً منهم حفظ القرآن ولا رأيت فقيها يحفظه إلا اثنين؛ ذلك لتعلموا أن المقصود حدوده لا حروفه، وعلقت القلوب اليوم – بالحروف، وضيعوا الحدود" [59].

وقد فضل هذا النوع من الكتاتيب على المؤدب الخاص لان انفراد الصبي الواحد بالمؤدب اجلب لضجرهم ولان الصبي عن الصبي القن وهو عنه آخذ وبه آنس، فوجود الصبي مع غيره من الصبيان ادعى إلى التعلم والتخرج فانه يباهي الصبيان مرة ويغبطهم مرة ويأنف عن القصور عن شأوهم مرة، ثم أنهم يترافقون ويتعاوضون الزيارة ويتكارمون ويعاوضون الحقوق وكل ذلك من أسباب المباراة والتنافس والمباهاة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم [60].

أما المادة التي كانت تعلم في الكتّاب فقد كانت تقوم في البداية على تعليم القراءة والكتابة فقد اقسم الله عز وجل بالكتابة وأدواتها في قوله تعالى: " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ" [61]، وكانت أول آيات القرآن الكريم نزولا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿2﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿4﴾ " [62]، فنبه الله عز وجل على فضل الكتابة والقراءة لما فيهما من منافع عظيمة ولولا الكتابة ما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، وما استقامت أمور الدين.

وقد شجع النبي عليه السلام على تعلم الكتابة بافتداء أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين، فوضع بذلك الأساس الحضاري للتربية الإسلامية [63].

---

[59] ابن سحنون، آداب، ص 140.

[60] الاهواني، التربية، ص 237.

[61] سورة القلم، آية رقم 1.

[62] سورة العلق، آية 1 – 4.

[63] الاهواني، التربية، ص 20.

وقد انتشرت كتاتيب تعليم القراءة والكتابة وعمت بلاد الـشام فـي العـصر العباسي الثاني فقد وجدت في بيت لهيا (غوطة دمشق) وفي دمشق نفـسها[64]، وقـد كان من أساليب التدريس فيها أن يقرأ التلميذ فيها على شيخ الكتّاب والشيخ يـصحح له من حيث اللغة والنحو[65].

وقد كانت الكتاتيب تعلم الخط في الأشعار وغيرها, تنزيها لكتـاب الله عـز وجل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو وقد يكون في أكثر البلاد الملقن علـى حدة والمكتب على حدة, فينفصل من التلقين إلى التكتيب, لهم في ذلك سيرة حـسنة ولذلك ما يتأت لهم من حسن الخط, لأن المعلم له لا يشتغل بغيره فهو يستفرغ جهده في التعليم والصبي في التعلم كذلك ويسهل عليه لأنه بالتصوير يحذو حذوه[66].

وبعد إجادة التلميذ للقراءة والكتابة ينتقل ليتعلم القرآن الكريم، فقد كان القرآن الكريم أصل التعليم الذي تدور حوله الدراسة في الكتّاب وقد أشار إلى ذلـك ابـن خلدون بقوله: " اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين اخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه القول من رسوخ الإيمان وعقائده من آيـات القرآن وبعض متون الأحاديث, وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنـى عليـه مـا يحصل بعد من الملكات بسبب ذلك أن التعليم في الصغر اشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأنه السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حساب الأسـاس وأسـاليبه يكون حال من بنى عليه "[67].

لقد كان حفظ القرآن الكريم أو حفظ ذلك القدر غير الكبير منه كافيا في طبع الأبناء على التربية الإسلامية الصحيحة فالقرآن ديوان المسلمين، فيه جوهر العقيدة، وفيه تفصيل العبادات، وفيه إرشاد للسلوك الفاضل والطريق المستقيم، وخاصـة أن

---

64 ابيض، التربية، ص 260.

65 ابن عساكر، تاريخ، ج13 ، ص 101.

66 ابيض، التربية، ص 261.

67 الضمور, هناء, الحياة, ص 39 .

العقيدة الإسلامية ليست من التعقيد بحيث يحتاج المرء إلى إجهاد الفكر لاكتشاف سرها، واصدق صفة يوصف بها الإسلام أنه دين الفطرة [68].

وقد كان القائم على الكتّاب القرآني يسمى في البداية مقرياً لتمييزه عن معلم الكتّاب العادي وقد كان يعلم اللغة والنحو إلى جانب القرآن كمواد مساعدة على حفظ القرآن وهذه المواد تعد جزءا مما كان يسمى آنذاك الأدب أو بأن تدريس القرآن على مستويين: مستوى أولي للصبيان ومستوى عال للكبار, جعل من الضروري التمييز بينهما بإطلاق اسم التأديب على المستوى الأولي والإقراء على المستوى العالي ومن شواهد ذلك أن عبيد الله بن محمد الكلاي كان مقريا ومؤدبا وكان يسكن قنطرة سنان بدمشق [69]، وفي هذا الكتّاب كان يتعلم التلميذ التفسير ومعاني القراءات ومن اللغة العربية في وجوه القرآن [70].

أما فيما يتعلق بمكان وجود هذه الكتاتيب القرآنية فقد كان يفضل أن تكون خارج المساجد لان دخول الصبيان للمساجد يمكن أن يسيء إلى نظافة المسجد ويخل بالهدوء الضروري لإقامة الشعائر الدينية [71]، وقد وردت إشارات قليلة عن تعليم الصبيان في المسجد[72].

وكان الصبيان يتعلمون الآيات القرآنية على الألواح، ويقوم بعدها الصبي بمس اللوح بوضعه في إناء به ماء طاهر ثم يجففه, وعلى المعلم أن يمنع الصبية من مسح الألواح ببصاقه وفي هذا يقول ابن الحاج: "ويتعين على المعلم أن يمنع الصبيان مما اعتاده بعضهم من أنهم يمسحون الألواح أو بعضها ببصاقهم وذلك لايجوز لان البصاق مستقذر وفيه امتهان, والموضع موضع ترفع وتعظيم وتبجيل فيجل عن ذلك وينزه " [73].

---

[68] الاهواني، التربية، ص 13.

[69] ابيض، التربية، ص 262.

[70] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 121.

[71] ابيض، التربية، ص 264.

[72] الضمور, طالب, التربية, ص 44.

[73] الضمور, طالب, التربية, ص 79.

وفي هذه الكتاتيب قرأ علي بن يعقوب بن إبراهيم بن شاكر بن زامـل أبـو القاسم الهمداني على شيخه أحمد بن نصر بن شاكر وقرأ عليه القرآن بحرف عاصم عن الحسين بن علي العجلي عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم[74].

وفي هذه المجالس وفي حال وفاة المعلم كان يجلس مكانه أحد تلاميذه فلمـا توفي الأخفش جلس مكانه في الإقراء تلميذه أبو بكر بن أبي حمزة فأخذ الناس عنه ثم ابن أبي داود، ثم تلميذه أبو الحسن بن الأخرم (ت 341هـ/952م) فرجع الناس إليه في قراءة التأمين وارتحلوا إليه من سائر النواحي وكان فاضلا متقنا [75].

أما فيما يتعلق بأبناء الأغنياء فقد جرى العرف في أن ينتدبوا معلمين خاصين لأبنائهم، بدلا من إرسالهم إلى الكتاتيب، وكانوا يقومون بما يقوم بـه المعلـم فـي الكتّاب من تحفيظ القرآن ومبادئ الدين والعربية والحساب[76].

وقد ظهرت وظيفة المؤدبين أول ما ظهرت في العصر الأموي، واسـتمرت قائمة في العصر العباسي، فقد كان الخلفاء العباسيون شديدي الاهتمام بتعليم أبنائهم العلم والأخلاق، والسلوك الحسن وتهذيبهم، لكي يكونوا قادرين ومـؤهلين لتحمـل أعباء الخلافة عندما سينهضون بها من بعدهم وقد أشار الجاحظ في كتابـه "البيـان والتبيين" إلى ووجود مؤدبين لأولاد الخلفاء المرشحين للخلافة [77].

ويبدو أن هنالك طبقتين من المؤدبين في العصر العباسي فيما ورد: " مـنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة, ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملـوك المرشـحين للخلافـة ", وكـانوا لايختارون لهذه المهمة إلا من توافرت به بعض الشروط والصفات الخاصة التـي تتفق والمهمات التي أوكل بها هذا المؤدب من إعداد يتناسب مـع الأعبـاء التـي

---

[74] ابن عساكر، تاريخ، ج43، ص 287.

[75] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 121.

[76] الاهواني، التربية، ص 12.

[77] الضمور، طالب، التربية، ص 84 .

سينهض بها بالمستقبل فلا يختارون إلا من كان على درجة عالية من الثقافة العلمية .[78]

كما أن شهرت هؤلاء المؤدبين العلمية في حلقـات الـدرس بالمـساجد أو الكتاتيب كانت تسبقهم إلى أسماع المسؤولين قبل أن يقع عليهم الاختيـار لتأديـب أبنائهم وقد كان الخلفاء والأمراء يختارون مؤدبي أبنائهم بأنفسهم أو يوكلـون هـذا الاختيار إلى أشخاص من ذوي المعرفة العلمية بعد إخضاعهم لاختبار[79] .

ومن مؤدبي أبناء الخلفاء أحمد بن سعيد بن عبد الله أبـو الحـسن المـؤدب الدمشقي من أهل دمشق، كان مؤدبا لعبد الله بن المعتز بـالله حكـم مـن (252-255هـ/866-869م) وكان من أصحاب الحديث حدث عن جماعة، وروى عـن الزبير بن بكار "الأخبار الموفقيات" وغير ذلك من مصنفاته[80].

ومن المؤدبين علي بن سليمان بن الفضل الأخفش الصغير ويورد ابن عساكر أن : " إبراهيم بن المدبر طلب من أبي العباس المبرد جليسا يجمع مع مجالسته تعليم ولده فندب علي بن سليمان وبعثه إلى مصر فكتب معه: قد أنفذت إليـك أعـزك الله فلانا وجملة أمره كما قال الشاعر:

إذا زرت الملـوك فـإن حـسبي ... شـفيعا عنـدهم أن يخبرونـي

فكان قدومه إلى مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وخرج عنها سنة ثلاثمائـة إلى حلب مع علي بن بسطام أقام بها مدة ثم سار إلى العراق وتوفي ببغـداد سـنة خمس عشرة وثلاثمائة "[81].

وقد كان ابن خالويه مؤدبا لولدي سيف الدولة الحمداني حكـم مـن (334-356هـ/ 945-967م): أبي المكارم وأبي المعالي وكان المنهاج الـذي يدرسـه

---

[78] الضمور, هناء, الحياة, ص 42.

[79] التخاينة, الحركة, ص12.

[80] ابن عساكر، تاريخ، ج 71، ص 143.

[81] ابن عساكر، تاريخ، ج41، ص 519.

يشتمل على أنواع الفقه والأدب وأشعار العرب[82]، ومن الكتب التي كانت تدرس كتاب "الجمهرة" [83].

وكان منهم المؤدب العباس بن عثمان[84]، وأبو هاشم المؤدب[85]، وهو عبد الجبار بن عبد الصمد بن إسماعيل بن علي أبو هاشم السلمي المؤدب، قرأ القرآن على أحمد بن ذكوان، وقد كان معلما أيضا وقد سبق ذكره في الكتاتيب العامة [86].

ومن المؤدبين أيضا محمد بن شقيق بن ضبارة بن مسعود بن حميد بن نصير بن الشماخ بن ضبارة بن فهيرة بن شقيق أبو الأسد اللخمي المؤدب، وكان أبو الأسد رجلا يؤدب بني أبي زنبور وكان من أهل اللغة والنحو (ت326هـ/938م) [87].

أما فيما يتعلق بأجور المؤدبين فيبدو أن الوضع المالي للمؤدبين كان على درجة عالية من الرخاء والغنى، ولعل المستوى المالي والرخاء الذي عاشه الخلفاء والأمراء والخاصة انعكس انعكاسا مباشرا على المؤدبين، فقد عنوا برفع المستوى المالي والمعاشي لمؤدبي أولادهم فكان تعيين شخص ما مؤدب يعتبر فاتحة خير عليه وعلى أهله فقد كان المؤدب يتقاضى راتب كبير سوى ما يوهب له من الهدايا والخلع والهبات مما يضمن للمؤدب غنا سريعا وشاملا وتضمن له كذلك تسوية لأية مشكلات مالية يعانيها في الوقت الذي لم يتردد بعضهم عن دفع مبالغ كبيرة لجذب أحد المؤدبين ممن اشتهروا بالعلم والثقافة [88].

وقد كان أهالي الطلبة من غير أصحاب الأموال يطلبون من السلطان ما يؤدونه للمؤدب من المال لقاء تعليم أولادهم فيروي ابن الأخرم انه قرأ على الأخفش وكان يأخذ عليه في منزله، وكان أبوه يطلب للأخفش رزقه من السلطان في كل

---

[82] ابن العديم، بغية، ج2، ص 639.

[83] ابن العديم، بغية، ج2، ص971.

[84] ابن عساكر، تاريخ، ج5، ص72.

[85] ابن عساكر، تاريخ، ج6، ص55.

[86] ابن عساكر، تاريخ، ج 34، ص 27.

[87] ابن عساكر، تاريخ، ج 53، ص 255.

[88] الضمور، طالب، التربية، ص 97.

سنة، كذلك يلاحظ من خلال مايرويه ابن الأخرم أن المؤدب كان يحضر إلى منزل الصبي ولربما حضر الصبي إلى منزل المؤدب أو المسجد، فقد كان ابـن الأخـرم يقصد الأخفش إلى منزله وهو صبي وربما مضى إليه إلى مسجده يقرأ عليه[89].

ومن المؤدبين أيضا أحمد بن أحمد بن يزيد بن وركشين ويقال بركشين بـن بركزان، البلخي(ت331هـ/943م) المؤدب المعروف بأخي الرز، وكـان محـدثا سمع أبا جعفر حماد بن المؤمل الكلبي البصري، وأبا علي الحسن بن عرفة العبدي، سكن دمشق وحدث بها، روى عن الحسن بن عرفة، كان يؤذّن في مـسجد جـامع دمشق [90]، ومنهم أيضا الحسن بن علي الشعراني المؤدب [91].

3.1 مجالس الخلفاء والأمراء:

ظهرت مجالس الخلفاء والأمراء كمركز للتعليم في وقت مبكر وذلك بـسبب حرص الخلفاء على تربية أبنائهم والاستفادة من العلمـاء وعلـومهم حيـث كـانوا يجمعون في قصورهم مشاهير العلماء في كافة فروع العلم والأدب، فقـد تعـددت الموضوعات من دينية وأدبية وعلمية من خلال مجالس المنـاظرات والتـي كـان الهدف العام منها العلم وإظهار الحق [92].

وبما أن الخلفاء كانوا يعدون أنفسهم حماة للعلم، ويرون أن قصورهم مركزا تشع منه الثقافة والفنون، فقد اتخذوا من قصورهم مجالس للأدب والعلـم وعقـدوا الندوات والمناقشات والمناظرات فالخلفاء والأمراء كغيرهم من الناس حيـث كـان الكثير منهم تتوق نفسه إلى حضور مجالس العلم وسماع المواعظ، غيـر أن هنـاك بعض الموانع منعتهم من تحقيق هذه الرغبة، الأمر الذي دفع كثير منهم إلى استدعاء

---

[89] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 121.

[90] ابن عساكر، تاريخ، ج 71، ص 5.

[91] ابن عساكر، تاريخ، ج 23، ص 316.

[92] التخاينة, الحركة, ص 18 - 19.

العلماء إلى القصور وإكرامهم والطلب إليهم أن يقيموا مجالس علم ووعظ لمن فـي القصر[93].

ومن هذه المجالس مجلس أحمد بن طولون حكم من (254-270هـ/868-884م) فقد اجتمع في مجلس هـذا الأميـر العلمـاء والـشعراء والأدبـاء ودارت المناظرات بينهم وتنافسوا في التقرب من الأمير ونيل إعجابه،[94]، ومن الأمراء فـي بلاد الشام والذين كانت مجالسهم مكانا لاجتماع العلماء مجلس أمير حلـب سـيف الدولة الحمداني حكم من (334-356هـ/ 945-967م)، والذي كان راعياً للفنون والعلماء، وكان قصره موسم الأدباء وحلبة الشعراء ويقال: "إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر فإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها"، وكان سيف الدولة أديبا شاعرا محبا لجيـد الـشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به[95].

فقد كانت هذه المجالس يجتمع فيها العلماء في شتى العلوم، وكان مـن هـذه المجالس أيضا مجلس الأمير أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بـن أحمـد السامانى، ومن العلماء الذين حضروا مجلسه أبو نعيم الاستراباذي، فيروى أنه لمـا ورد أبو نعيم الأسترابادي الحضرة عقد له الأمير الشهيد مجلسا فـي دار الخاصـة وأجلس جمع بين يديه حتى سمعوا منه جملة من الحديث، وقـد كـان أبـو نعـيم الجرجاني أحد الأئمة كان يحفظ الموقوفات والمراسيل كما يحفظ العلماء المسانيد[96].

وكانت تتم المناظرات بين العلماء في هذه المجالس والتي كانت في قـصور الخلفاء والسلاطين فقد ناظر الحسين بن احمد بن رستم ابن الفـرات فـي مجلـس الخليفة المقتدر حكم من (296-320هـ/ 908-932م)[97].

---

[93] الوافي، التعليم، ص 81.

[94] ابن خلكان، وفيات، ج1، ص 173.

[95] ابن عساكر، تاريخ، ج 43، ص 21 – 22.

[96] ابن عساكر، تاريخ، ج 37، ص100.

[97] ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 15.

ولابد للحاضر لهذه المجالس أن يتحلى بالأدب والاحترام والتقدير فقد قيـل: "اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لأنهم إنما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبـة وإن طال أنسك بهم تزده غما " ويجب على الحاضر لهذه المجالس أن يتقيد بوقت معين يحدده الخليفة، فلم يكن الحاضرون فيها أحرارا في اختيار موعـد حـضورهم أو انصرافهم، وقد كان لكل خليفة إشارة معينة تدل على انقضاء وانتهاء مجلسه [98].

4.1 منازل العلماء:

اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانا يعلم فيه المسلمين تعاليم ومبادئ الدين الجديد، ويقرئهم ما نزل من آيات الذكر الكريم، فقـد كان المنزل ملتقى الذين يختارون الإسلام دينا ويتلقون تعاليمه[99].

وفي بلاد الشام وخلال العصر العباسي الثاني اتخذ بعض العلماء من منازلهم أماكن للتعليم واستقبلوا فيها تلاميذهم وعقدوا حلقات العلم فيهـا، فقـد أدت منـازل العلماء دورا كبيرا في نشر العلم حيث كانت ملتقى رجالات العلـم والأدب، ومـن مجالس هؤلاء العلماء كان مجلس عبـد الله بـن محمـد بـن جعفـر القزوينـي (ت315هـ/927م) ويكنى أبا القاسم كان فقيها على مذهب الشافعي وكانت له حلقة وكان قد تولى قضاء الرملة وكان محمودا فيما يتولى، وكان يظهر عبـادة وورعـا وكان قد ثقل سمعه ثقلا شديدا وكان يفهم الحديث ويحفظه، وكان له مجلس إملاء في داره وكان يجتمع إليه حفاظ الحديث وكان مجلسه وقيرا ويجتمع فيه جمع كثير، لكنه خلط في آخر عمره ووضع أحاديث على متون محفوظة معروفة وزاد فـي نـسخ معروفة مشهورة فافتضح وحرقت الكتب في وجهه وسقط عند الناس وترك مجلسه فلم يكن يجئ إليه أحد[100].

وقد كان لبعض العلماء في مجالسهم كتبة يختصون بالكتابة عنهم حتى ينسب لهم الكاتب ويعرف بهم ومنهم الاوزاعي فقد كان عبد الحميد بن حبيـب بـن أبـي

---

[98] الوافي، التعليم، ص 89.

[99] الوافي، التعليم، ص 91.

[100] ابن عساكر، تاريخ، ج 32، ص174.

العشرين أبو سعيد الدمشقي ثم البيروتي كاتبا للأوزاعي روى عن الأوزاعي وروى عنه هشام بن عمار وغيرهم [101].

ولم يكن يجلس للتدريس إلا من شهد له الشيوخ بالكفاءة، وقد كـان يـسمح للتلميذ بالانفصال عن حلقة العالم أو مجلسه وإنشاء حلقة خاصة أو أن يعهد إليه بعد وفاته، وإن فعل غير ذلك كان محل النقد[102].

ولم تقتصر مجالس العلم في منازل العلماء على علم معين بل شملت معظـم العلوم الدينية وعلوم اللغة والأدب والعلوم التطبيقية كالطب وغيرها من العلـوم[103]، وكانت تدور بين العلماء فيها المناقشات والمحاورات حول مختلـف الموضـوعات [104].

5.1 دكاكين الوراقين:

لقد تعددت المؤسسات التعليمية ولم تنحصر فيما سبق ذكره من المؤسـسات بل أن هناك مؤسسات أخرى لها أهميتها في الحركة العلمية والثقافية وهي دكـاكين الوراقين، فقد كانت مجالس علم إضافة إلى أن وظيفة الوراقين النـسخ والتـصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، وفي الغالب كان الاعتماد علـى الرقـوق المهيأة من الجلد[105].

وكان من وظائف الوراقين نسخ الكتب[106] وكانوا يأخـذون الأجـرة علـى نسخها[107]، وكان يشترط في الوراق أن يكون صاحب خط جميل ومقـروء وممـن

---

[101] ابن عساكر، تاريخ، ج 34، ص 48- 49.

[102] السباعي، من روائع، ص 210.

[103] التخاينة, الحركة, ص 30.

[104] عبد العال، التربية، ص 195.

[105] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 421.

[106] ابن العديم، بغية، ج2، ص732

[107] ابن العديم، بغية، ج 2، ص 964.

اشتهر بجمال خطه من الوراقين أبو بكر القرشي الذي اشتهر بذلك وبكتابة الحديث [108].

فلم تقتصر دكاكين الوراقين على بيع الكتب والاتجار فيها وإنما أسهمت فـي حركة التعليم حيث كان العلماء يجلسون وحولهم الطلاب يكتبون عنهم فلم يكن بائعو الكتب تجارا ينشدون الربح وإنما كانوا في اغلب الاحيان أدباء ذوي ثقافة يـسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة التي كانت تتيح لهم القـراءة والاطـلاع وتجـذب لدكاكينهم العلماء والأدباء[109]، فقد كانت دكاكين الوراقين مجلس من مجالس العلماء يتبادلون فيها العلوم المختلفة، كل في العلم الذي تخصص فيه، وكان بائعو الكتب في الكثير الغالب أدباء ذوي ثقافة، فقد كان ابن النديم صـاحب "الفهرسـت" ويـاقوت الحموي صاحب "معجم الأدباء" و"معجم البلدان" كانا وراقين (أي بائعي كتب) [110].

ونظرا لطبيعة عمل الوراقين فقد كان معظمهم من أصحاب العلم فيما يتولون نسخه فقد كان أبو سعيد عمرو بن محمـد الـدينوري (ت 341هـ ـ/952م) وراق محمد بن جرير الطبري قد حدث عن جرير بكتاب "التعبير" وغيره وحـدث عـن غيره، توفي بدمشق [111].

وقد كان أبو موسى عيسى بن جعفر الوراق من كبار المحدثين ووصف بأنه من أفاضل الناس وشجعان المجاهدين مع ورع وعقل ومعرفة وحديث كثير عـال وصدق وفضل[112].

وقد كان بعض الوراقين يرافق العلماء للكتابة عنهم فقد رافـق أبـو جعفـر محمد بن عثمان من علماء الحديث عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد أبو محمـد

---

108 ابن عساكر، تاريخ، ج5، ص359.

109 عبد العال، التربية، ص 192.

110 السباعي، من روائع، ص 265.

111 ابن عساكر، تاريخ، ج46، ص 327.

112 ابن عساكر، تاريخ، ج47، ص 295.

الجواليقي، حتى اشتهر بوراق عبدان الجواليقي[113]، ومنهم أبو عبد الله محمـد بـن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل الغنجار الوراق[114].

6.1 أساليب التعليم:

1.6.1 الاستماع والتلقين:

وقد كان هذا الأسلوب يقوم على قيام الشيخ بالتلقين لطلابه مـن حفظـه أو الكتب وسماع الطلبة له دون الكتابة مباشرة عنه بل الاعتماد على الحفظ، وقد بـين الجاحظ فضل السماع: " فالإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ولابد من أن تكون كتبه أكثر من سماعه" [115]، وقد سمع أبو الفضل الكرخي بدمشق أبـا جعفـر الدمـشقي وبمصر منصور بن إسماعيل الفقيه وبمكة علي بن عبد العزيز البغوي[116].

وقد كان علماء الحديث يلقنون كتبهم لتلاميذهم فقد قرأ الربيع كتابه "المبسوط" على تلاميذه، وكان من تلاميذه إسحاق بن أبي عمران الشافعي الاسفرايني، احد أئمة الشافعيين والرحالة في طلب الحديث[117]، وسمع يحيى بن منصور من عبد الله ابـن علوية الفقيه "مختصر المزني" سماعا من المزني [118].

---

[113] ابن عساكر، تاريخ، ج27، ص 54.

[114] ابن عساكر، تاريخ، ج27، ص414.

[115] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 55.

[116] ابن عساكر، تاريخ، ج 23، ص382.

[117] ابن عساكر، تاريخ، ج8، ص 293.

[118] ابن عساكر، تاريخ، ج 54، ص377.

وقد كان بعض الناس يرحلون بأبنائهم إلى مناطق أخرى للسماع من العلماء ومن ذلك ما يرويه أبو القاسم التنوخي أن والده أراد أن يخرجه إلى عكبرا ليـسمع من ابن بطة كتاب " معجم الصحابة " لأبي القاسم البغوي[119].

2.6.1 الإملاء:

وتكون بالقراءة من الشيخ للتلاميذ والكتابة على الألواح مباشرة، لذلك فـان هذا الأسلوب يجمع بين محاسن التدوين ومحاسن الرواية الشفوية (الاستماع) وكـان العلماء يعقدون لها مجالس خاصة تسمى مجالس الإملاء [120]، ومن مزايا الإملاء أنه إذا أملى الشيخ على التلميذ وكتب من لفظه فلا يتطرق إليه نوع مـن الفـساد لأن الشيخ يعرف ما يملي والتلميذ يسمع ويفهم ما يكتب[121]،

وقد كان بعض العلماء يضعون المصنفات في أسماء من كتبوا عـنهم فقـد صنف أبو الحسين الرازي (ت 347هـ/958م) كتابا في تسمية مـن كتـب عنـه بدمشق، وقد كان منهم أبو محمد عبد الله بن الحسين بن محمد بن جمعة السلمي[122]، وأبو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن راشد البجلي وكان شيخا جلـيلا من معدلي دمشق [123].

---

[119] ابن عساكر، تاريخ، ج 38، ص 111.

[120] أبو رحمة، غزة، ص 131.

[121] السمعاني، أدب، ص 10.

[122] ابن عساكر، تاريخ، ج 27، ص 409.

[123] ابن عساكر، تاريخ، ج 35، ص 59.

ويلاحظ أن طلبة العلم كانوا يكتبون عن العالم الواحد في العديد من العلوم فقد كتب أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو النصري عن عبد الرحمن بن عبـد الله بـن عمر بن راشد البجلي كتاب "التاريخ" وكتاب "البيان والعلل" وغيرها[124].

وقد ارتحل طلاب الحديث لبلاد الشام للكتابة عن علمائها ومن طلاب الحديث عبيد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي الشافعي من أهل بغداد يقال له عبيد ويكنى أبا القاسم قدم الشام وكتب بحلب عن ابن رويط وغيره وكتب بدمـشق عن أبي الدحداح التميمي وأحمد بن محمد بن ملاس ومحمد بن يوسـف الهـروي وكتب بالرملة عن أبي نعيم الفضل بن محمد البغدادي وعلي بـن الحـسن النجـاد المستملي وأبي الحسن شاذان الفضل وجماعة سواهم[125].

ومن طلاب الحديث الذين ارتحلوا للعلماء ليكتبوا عنهم محمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس بن علي بن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبـو عبد الله العبدوي النيسابوري المعروف بكثرة السماع والرحلة في طلـب الحـديث والتصنيف وإفادة الناس في الحضر والسفر كان يـستملي علـى أبـي بكـر بـن خزيمة[126]، وقد أملى أبو الحسين الرازي على تلميذه أبو علي الحـسن بـن محمـد الهاشمي[127]، وقد كان لأبي علي النيسابوري مجلس يملي فيه على مجموعـة مـن الطلبة في كل يوم ثلاثين حديثا [128].

وفي مجلس الإملاء كان الشيخ يتفقد تلاميذه فلا يملي إلا باكتمال حضورهم، يروي أحمد بن بندار بن إسحاق: " دخلت العسكر في دمشق سـنة ثمـان وثمـانين ومائتين وحضرت مجلس عبدان وخرج ليملي فجعل المستملي يقول له: إن رأيت أن تملي فيقول: حتى يحضر الطبراني فإذا أبو القاسم سليمان بـن أحمـد بـن أيـوب الطبراني قد أقبل بعد ساعة متزر بإزار مرتدي بآخر وتحت إبطه من الكتب أجزاء

---

[124] ابن عساكر، تاريخ، ج 35، ص 59.

[125] ابن عساكر، تاريخ، ج38، ص 55.

[126] ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 220.

[127] ابن عساكر، تاريخ، ج 13، ص 387.

[128] ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 275.

وقد تبعه نحو عشرين أو أكثر من الغرباء يعني يفيدهم الحديث من بلدان شتى فلما أقبل قيل لعبدان قد حضر الطبراني فأخذ يملي عليهم الحديث" [129].

وقد كانت تعقد حلقات لإملاء الحديث النبوي ومنها حلقة إملاء احمد بن سلمان المعروف بالنجاد كان فقيها مفتيا، وكان له في جامع المنصور في حلب حلقة لإملاء الحديث، فقد جمع المسند وصنف في السنن كتابا كبيرا وروى عنه الدارقطني وابن شاهين[130] ، ومنها أيضا حلقة محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن الفياض أبو عبد الله البغدادي الكاتب حدث بدمشق إملاء سنة 329هـ/941م[131].

3.6.1 القراءة والشرح:

وكان هذا الأسلوب يقوم على قراءة العالم أو الشيخ من كتبه أو كتب غيره من العلماء وشرحها للطلاب، أو أن يقوم احد الطلبة بالقراءة من كتاب معين على الشيخ والذي بدوره يقوم بشرح وتبيان ما قرء عليه، ويروي الحسن بن علي الشعراني انه قرأ الأحاديث على أبو الفضل القرشي الازدي عندما قدم عليهم في سنة 325هـ/937م[132] .

وقد تعددت الكتب التي كان يقرأها العلماء على تلاميذهم لتشمل التفسير والفقه والحديث وغيرها من العلوم فيلاحظ أن أبو العباس الأصم في مسجد خشيش قد قرأ على تلاميذه كتاب "المعاني" للفراء وكتاب "المبسوط" و كتاب "الرسالة" للشافعي [133].

وقد كان بعض العلماء يحددون لتلاميذهم عدد الأحاديث التي سيقرأونها عليهم في كل يوم لشرحها، فقد حدد عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد أبو محمد

---

[129] ابن عساكر، تاريخ، ج 22، ص 166.

[130] ابن العديم، بغية،ج 2، ص 766.

[131] ابن عساكر، تاريخ، ج 54، ص 378.

[132] ابن عساكر، تاريخ، ج 23، ص 316.

[133] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 292.

الجواليقي عدد الأحاديث التي أراد قرأتها على أبي بكر بن أبي غالب، حيث قـال: "فأخرجت إليه حديث أهل البصرة وقاطعته كل يوم على مائة حديث أقـرأه عليـه" .[134]

وكان البعض الأخر من طلبة الحديث ينتخب من الحديث ويقرأ على العلماء لشرحها وبيانها لفهم المعنى والمراد منها فقد كان احمد بن عمير ينتخب من الحديث ويقرأ على أبي علي النيسابوري[135].

ومن محاسن هذا الأسلوب أن العلماء كانوا يهتمون بتقويم اللغة عند الطلبـة وعدم اللحن فيها عندما يقوم طلبتهم بالقراءة عليهم، فيروي عبد الغني بن سعيد أنـه قرأ على القاضي أبي الطاهر كتاب "العلم" ليوسف بن يعقوب لأبي الفضل الوزير: "وكان من مذهبه رحمه الله إذا قرئ له الحديث فانتهت القراءة يقرر الحديث فيقول: كما قرئ عليك قلت له: لما فرغت من القراءة كما قرئ عليك فقال: نعم إلا اللحنـة بعد اللحنة فقلت: أيها القاضي سمعت معربا قال: لا، قلت: هذه بهذه وقمت من ليلتي فجلست عند اليتيم النحوي "[136].

4.6.1 العرض:

وهو قراءة الطالب أمام المعلم أو مراجعة المعلم للنصوص التي كتبها الطالب للتأكد من صحتها[137]، وفي الغالب كانت طريقة العرض فردية ويكون الطالب فيهـا حرا في اختيار الموضوع الذي يريد قراءته على المعلم[138]، وهناك بعـض الآداب التي يجب أن يراعيها من أراد أن يعرض كتابه كأن يصطحب معه نسخته حتـى يتمكن من معارضتها مع شيخه أو مع زملائه وأن يحضر معه قلما يضبط به كتابه ويصلح ما به من أخطاء إن وجدت، وعلى المعلـم أن يتخيـر للقـراءة أفـصح

---

[134] ابن عساكر، تاريخ، ج 27، ص 54.

[135] ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 276.

[136] ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 64.

[137] ابيض، التربية، ص 186.

[138] عبد العال، التربية، ص 154.

الحاضرين لساناً، وأوضحهم بياناً، ومن ذلك أن إسحاق بن منصور (ت251هـ/865م) عندما سمع أن الإمام احمد رجع عن بعض المسائل، جمع إسحاق تلك المسائل في جراب وحملها على ظهره وخرج راحلا إلى بغداد وعرض خطوط احمد عليه في كل مسألة استفتاه فيها من قبل فاقر له بها ثانيا[139].

الفصل الثاني: العلوم الدينية.

1.2 علوم القرآن الكريم:

ويقصد بعلوم القرآن الكريم بحث كل ما يتعلق بكتاب الله تعالى من حيث النزول والجمع والترتيب والتدوين ومعرفة سوره مكية أو مدنية وناسخه ومنسوخه وغير ذلك من الأبحاث المتعلقة به بغرض فهم كلام الله تعالى، وتتضمن كذلك التعرف على أشهر القراءات وتاريخها ومعرفة المفسرين[140]، ومن علوم القرآن الكريم العلوم الآتية:

1.1.2 علم القراءات:

نزل القران الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم منجما في ثلاث وعشرين سنة، وتخفيفا على القبائل ومراعاة للهجاتهم المختلفة كان الرسول عليه السلام يتلو كلمات القرآن الكريم بلهجات مختلفة تيسيرا على أهل تلك القبائل في

---

139 ابن عساكر، تاريخ، ج 8، ص 285.

140 التخاينة، الحركة، ص 31.

تلاوته، وقد تلى بعض الصحابة آيات بلهجة سمعها من الرسول عليه السلام شفاها، في حين قد سمع نفس الآيات- وربما كانت سورة – بعض الصحابة الآخرين بلهجة أخرى تغاير اللهجة الأولى على نحو ما روي عن عمر بن الخطاب: " أنـه سـمع هشام بن حكيم بن حزام القرشي يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأها له الرسول عليه السلام فاخذ بتلابيبه حتى وقف بين يدي الرسول عليه الـسلام وقـص عليـه الخبر، فلم ينكر على هشام"، ولما كثر من الصحابة ذلك، قال عليه السلام: " إن هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه" [141].

وقد روى الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم عن الرسـول صـلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتنوقـل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تـواتر نقلهـا أيـضا بأدائهـا واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لم تقوى قوتها في النقل[142].

أما المقصود بعلم القراءات فهو العلم بكيفية أداء كلمات القرآن من تخفيـف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي للحروف، وهو العلم الذي يبحث عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث الاختلافات المتواترة وله أيضا استمداد مـن العلـوم العربيـة والغرض منه تحصيل ملكية ضبط الاختلافات المتواترة وفائدته صـون كـلام الله تعالى من التحريف والتغيير[143].

ولتعليم القراءات كان يجلس المقرئين في المساجد ليعقدوا حلقات القراءة لمن يقرؤون عليهم، فكان بعضهم يزدحم عليه القراء وربما لم تتح الفرصـة لبعـضهم للقراءة، قال السلمي: " قمت ليلة للأذان الأكبر لآخذ النوبة على المقرئ ابن الأخرم فخرجت إلى مسجد معاوية فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئا فلم تلحقني النوبـة إلـى

---

[141] ابن مجاهد، السبعة، ص 5 – 6.

[142] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 437.

[143] التخاينة، الحركة، ص 31.

العصر وقال: كان ابن الأخرم والديبلي يعقدان الإقراء من الأذان الأكبر، وكان يقرأ عليه قبل الصلاة حول العشرة" [144].

1.1.1.2 القراءات المنتشرة في بلاد الشام:

لقد استقرت مع مطلع القرن الثاني الهجري سبع قراءات تختلف عن بعضها في قراءة بعض الحروف ونسبت كل منها إلى من اشتهر بروايتها من كبار القراء، الذين كانوا حجة في علم القـراءات وهـم: نـافع بـن عبـد الـرحمن المـدني (ت169هـ/785م) وعبد الله بن كثير المكي (ت120هـ/738م) وأبو عمـر بـن العلاء البصري (ت 154هـ/771م) وعبـد الله بـن عـامر اليحـصبي الـشامي (ت118هـ/736م) وعاصم بن أبي النجود (ت127هـ/745م) وحمزة بن حبيـب الزيات (ت 156هـ/773م) وعلي بن حمزة الكسائي(ت 189هـ/805م) [145].

وقد وجدت معظم القراءات في بلاد الشام وكان ممن الم بها كاملة هارون بن موسى بن شريك الأخفش (ت292هـ/905م)، النحوي القارئ الدمشقي أبو عبد الله أخذ القراءات عن عبد الله بن ذكوان، وغلبت عليه قراءة ابن ذكوان[146].

على أن القراءة التي كان عليها معظم قرّاء بلاد الشام كانت قراءة عبد الله بن عامر اليحصبي وكان عبد الله قد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وأخذها المغيرة عن عثمان بن عفان (رضي الله تعالى عنه)، فقد روى يحيـى بـن الحارث الذماري قال: " قرأت على عبد الله بن عامر اليحصبي وقرأ عبدالله علـى المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان بن عفـان رضـي الله تعالى عنه، وعلى قراءة ابن عامر معظم قراء أهل الشام وبلاد الجزيرة"[147].

2.1.1.2 المقرئون:

---

[144] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 123.

[145] التخاينة، الحركة، ص 32.

[146] ابن عساكر، تاريخ، ج 73، ص 333.

[147] ابن مجاهد، السبعة، ص 86.

وقد اهتم مجموعة من العلماء في بلاد الشام في القراءات وتعليمهـا لطلبـة العلم وكان يطلق على هؤلاء العلماء اسم المقرئين، ومن أشهر المقرئين فـي بـلاد الشام هارون بن موسى بن شريك الأخفش (ت292هـ/905م)، النحوي، القـارئ، الدمشقي، أبو عبد الله، أخذ القراءات عن عبد الله بن ذكوان، وبه اقتدى أهل الـشام في القراءة، روى القراءة عنه خلق كثير[148] ومن تلاميذه الذين تولوا الإقـراء مـن بعده المظفر بن عبد الله أبو القاسم المقرئ المعروف بزعزاع وقد قرأ القرآن الكريم أيضا على أبي الحسن بن الأخرم وأبي الفضل جعفر بن أبي داود وأبي حمامة بلال النوبي وقرأوا كلهم على أبي عبد الله هارون بن موسى بن شريك الأخفش، وقد قرأ على أبي القاسم أبو الخير سلامة بن الربيع بن سليمان المقرئ الدمشقي [149].

ومن طلاب هارون الذين تصدروا الإقراء في بلاد الشام محمد بن أحمد بـن مرشد أبو بكر المعروف بابن الزرز المقرئ، قرأ على هارون بن موسى الأخفش، وقرأ عليه عبد الباقي بن الحسن بن السقا الخراساني ذكره أبو عمرو عثمـان بـن سعيد بن عثمان فيما قرأه في كتابه في طبقات القراء حيث قرأ عليه عبد الباقي بـن الحسن ثلاث ختمات متواليات وكان من خيار المسلمين صابرا على صـيام الـدهر ولزوم الجماعة[150]، ومن طلابه المتصدرين للإقراء أيضا أبو الحسن الربعي المقرئ المعروف بابن الأخرم الدمشقي (ت342هـ/952م)، قرأ القرآن بحرف ابن عـامر على أبي عبد الله هارون بن موسى بن شريك الأخفش وأبي الفضل جعفر بن أحمد بن كراز وانتهى إليه الإقراء في وقته قرأ عليه أبو الحسن علي بن داود الـداراني وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الجبني وأبو الحسين سـلامة بـن الربيع بن سليمان المطرزي وأبو محمد عبد الله بن عطية بن حبيب المفـسر وأبـو الفتح المظفر ابن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن برهان وأبو الحسن علي بن زهير بن عبد الله بن عبد الصمد البغدادي وغيرهم[151]، وكان ابن الأخـرم مـن طـلاب

---

[148] الفيروزآبادى، البلغة، ص 307.

[149] ابن عساكر، تاريخ، ج 58، ص 379.

[150] ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 155.

[151] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 120.

هارون والذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بدمشق وكان عارفا بعلل القراءات بـصيرا بالتفسير والعربية متواضعا حسن الأخلاق كبير الشأن طال عمره وارتحل إليه الناس وأخذ عنه عبد الله ابن عطية المفسر وأبو بكر أحمـد بـن الحـسين بـن مهـران وخلائق[152].

كذلك من طلاب هارون الحسن بن حبيب بن عبد الملك الحصائري أبو علي الكردي الدمشقي الشافعي (ت338هـ/949م) شيخ فقيه مقرئ ثقة، روى القـراءة عن هارون بن موسى الأخفش وسمع منه كتابه الذي ألفه في قراءة ابن عامر بالعلل قال الداني: "ولا نعلم أحدا من الشاميين يروي هذا الكتاب إلا عن أبي علي"، وروى أيضا "الحروف" عن أحمد المعلي عن هشام وعن محمد بن الجهم عن الوليد صاحب يعقوب، وروى القراءة عنه صالح بن إدريس وعبد الله بن عطية وعبد المنعم بـن عبيد الله بن غلبو، وأبو العباس المطوعي وكان روى كتاب "الأم" للشافعي اشـتغل فيه وعرفه، وكان إمام مسجد باب الجابية[153].

ومن المقرئين في بلاد الشام أبو عبد الله القرشي[154]، ومنهم أيضا محمد بـن علي بن طرخان بن عبد الله بن جباش أبو بكر البلخي ثم البيكندي أحد القراء، سمع بدمشق وغيرها محمد بن الخليل البلاطي الخشني ومحمد بن الفضل وقتيبة بن سعيد ومحمد بن سليمان لوينا وهشام بن عمار وغيرهم، روى عنه أبو علي الحسن بـن علي بن نصر بن منصور الطوسي وأبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بـن الحـسن الفارسي وابنه أبو بكر عبد الله بن محمد بن علي وأبو المفضل أحمد بن محمد بـن محمود بن نور البلخي وغيرهم[155].

---

[152] الادنه وي، طبقات، ص 73.

[153] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 209.

[154] ابن عساكر، تاريخ، ج 6، ص 46.

[155] ابن عساكر، تاريخ، ج 54، ص 359.

واشتهر من القراء الحفاظ للقرآن الكريم في طرسوس عبدالله بن احمد بـن حنبل ومحمد بن إبراهيم مربع وأبو الأذان وكيلجة[156]، وهو أبـو بكـر الـصوفي ويسمى أيضا محمد[157].

ومن المقرئين أيضا أبي القاسم زيد بن علي بن أحمد بن عثمان بن أبي بلال المقرئ العجلي، قرأ القرآن على عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان وعبد الرزاق بن الحسن الدمشقيين صاحبي أيوب بن تميم، قرأ عليه أبو بكر محمد بن أحمد بـن عمر الداجوني ويقال أبو بكر محمد بن محمد الرملي [158]، ومنهم في بـلاد الـشام أحمد بن نصر بن شاكر بن أبي رجاء عمار أبو الحسن الدمشقي(ت292هـ/905م) مقرئ مشهور، قرأ على ابن ذكوان وعرض أيضا على الوليـد بـن عتبـة، روى القراءة عنه عرضا عبد الله بن عبد الله الفتوى وأبو الحسن بن شنبوذ وأبو الحـسن بن الأخرم وروى النسائي عنه [159].

ومنهم جعفر بن سليمان أبو أحمد وقيل أبو الحسين المشحلائي بكسر المـيم وسكون الشين المعجمة وحاء مهملة وقيل بالعين ينسب إلى قرية مشحلايا من عمل حلب معمر شهير، روى القراءة عن أبي شعيب السوسي وله عنه نسخة، روى عنه القراءة عبد الله بن المبارك وعبد المنعم بن غلبون وهو الذي روى "الإدغام الكبير" منصوصا، قال الذهبي: "توفي بعد الثلاثين وثلاثمائة" [160].

ومنهم أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر أبو عبد الرحمن النـسائي (ت 303هـ/916م)الحافظ الكبير، روى القراءة عن أبي شعيب السوسي وأحمد بن نصر النيسابوري، روى الحروف عنه محمد بن أحمد بن قطن الطحاوي والحـسن بـن رشـيق المعـدل، تـوفي بالرملـة [161]، ومـنهم الإنطـاكي أحمـد بـن

---

[156] ابن العديم، بغية، ج 2، ص784.

[157] ابن العديم، بغية، ج 2، ص789.

[158] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 77.

[159] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 144.

[160] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 192.

[161] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 61.

يعقوب(ت320هـ/932م)، الشيخ الإمام المقرئ المحقق أبو الطيب الدمشقي، له مصنفات في علم القراءات[162].

ومن المقرئين أيضا أحمد بن سليمان بن إسماعيل بن زبان وقيل أحمد بن سليمان بن إسحاق بن زبان بن يحيى الكندي(ت337هـ/948م) من ولد عبد الرحمن الأشعث، أبو الطيب الدمشقي، روى القراءة عن أحمد بن يزيد الحلواني و محمد بن محمد الباغندي عن هشام، وروى القراءة عنه أحمد بن عمر بن محفوظ شيخ الداني وعلي بن عبد الله بن زريق[163]، وكذلك من المقرئين جعفر بن حمدان بن سليمان أبو الفضل بن أبي داود النيسابوري (ت339هـ/950م)المؤدب نزيل دمشق ضابط، قرأ على هارون الأخفش وهو من حذاق أصحابه، قرأ عليه عبد الله بن عطية وأبو بكر محمد بن أحمد الجبني ومحمد بن الحسين الذبيلي و محمد بن عبيد بن الخليل وروى عنه أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني [164].

ومنهم أحمد بن صالح بن عمر بن إسحاق أبو بكر البغدادي (ت350هـ/961م) نزيل الرملة مقرئ ثقة ضابط، قرأ على الحسن بن الحباب والحسن بن الحسين الصواف ومحمد بن هارون التمار وأبي بكر بن مجاهد وأبي الحسن أحمد بن جعفر بن المنادي و أبو الحسن بن شنبوذ، قرأ عليه عبد الباقي بن الحسن وعبد المنعم بن غلبون وعلي بن بشر الأنطاكي وخلف بن قاسم بن سهل الأندلسي، وقرأ الرهاوي عليه بحمص، وقد توفي بالرملة [165].

ومنهم أحمد بن أنس بن مالك، أبو الحسن الدمشقي المقرئ روى عن جماعة، وروى عنه جماعة، قرأ القرآن بحرف ابن عامر على ابن ذكوان، وكان ثقة[166]، ومنهم أيضا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان، أبو عبيدة المقرئ قرأ القرآن وقرئ عليه، أخذ عن أبيه، روى عنه أحمد بن يزيد الحلواني، وأبو

---

[162] أبو المعالي، ديوان، ج 1، ص 152.

[163] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 59.

[164] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 191.

[165] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 62؛ أبو المعالي، ديوان، ج 1، ص 164.

[166] ابن عساكر، تاريخ، ج 71، ص 40.

سليمان محمد بن عبد الله بن سليمان بن الطيب بن يوسف السعدي الدمـشقي شـيخ إبراهيم بن أحمد الطبري، قرأ عليه محمد بن عبد الله بن القاسـم الخرقـي شـيخ الأهوازي[167].

3.1.1.2 المصنفون في علم القراءات:

برز في بلاد الشام العديد من العلماء الذي صنفوا في علم القراءات، ومـنهم أبو الحسن المنبجي، كان رجلا صالحا عارفا بوجوه القراءات وعللها وله مـصنف في القراءات سماه " الحجة " ذكر فيه القراءات السبع وبين وجوهها وعللهـا، قـرأ القرآن على أبي القاسم المقرئ وأبي طاهر وغيرهما مـن مقرئـي الـشام واخـذ القراءات عنهم دراية ورواية[168]، وكان من هؤلاء العلماء الذين صنفوا في هذا العلم من علماء العصر العباسي الثاني في بلاد الشام احمد بن جعفر البغدادي وله كتاب " أفواج القراء" وكتاب "خط المصحف" [169].

وقد اختلاف عدد القراءات بين المصنفين فنجدها عند إبراهيم بن عبد الرازق المعروف بأبو إسحاق الازدي (ت 339هـ/950م) ثمان والذي صنف كتابا شمل هذه القراءات [170]، وهو أستاذ مشهور ثقة كبير، قرأ على أبيه ومحمد بن العباس بن شعبة ومحمد بن علان وشهاب بن طالب وغيـرهم، وروى الحـروف عـن عبـد الرحمن بن عبد الله الطرسوسي وعبد الله بن حسين وغيرهم، قرأ عليه ابنـه أبـو الحسن علي ومحمد بن الحسن بن علي وعلي بن محمد بن بشر وغيرهم[171]، وفـي العودة للحديث عن عدد القراءات فيلاحظ أنها كانت بين السبع إلى عشر قراءات.

ومن القراء المصنفين في علم القراءات حسين بن أحمد بـن حمـدان بـن خالويه(ت 370هـ/981م)، أبو عبد الله الهمداني الشافعي، إمام في اللغة والعربية

---

[167] ابن عساكر، تاريخ، ج 71، ص 229.

[168] ابن العديم، بغية، ج 2، ص 801.

[169] ابن العديم، بغية، ج 2، ص 595-598.

[170] ابن عساكر، تاريخ، ج 7، ص 40.

[171] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 16.

وغيرهما من العلوم الأدبية، رحل إلى بغداد وأخذ عن أبي بكر الأنبـاري وغيـره، وصحب سيف الدولة ابن حمدان، وصنف في اللغة، وصنف كتـاب "البـديع فـي القراءات"، وكتاب "غريب القرآن"، قال ابن الصلاح: "حكى في كتابه إعراب ثلاثين سورة"[172].

ومنهم أحمد بن الحسين بن مهران الأستاذ أبو بكر الأصبهاني ثم النيسابوري ألف كتاب " الغاية في العشر ومذهب حمزة في الهمز في الوقف" وكتاب "طبقـات القراء" وكتاب " المدات" وكتاب "الاسـتعاذة بحججهـا" وكتـاب "الـشامل"، ويعـد النيسابوري ضابط محقق ثقة صالح، قرأ بدمشق على ابن الأخرم وببغداد على أبي الحسين أحمد بن بويان وحماد بن أحمد وأبي بكر النقاش وأبي عيسى بكار وعلـي بن محمد بن خليع وهبة الله بن جعفر والحسن بن داود النقار ومحمد بن الحسن بن مقسم وإسماعيل بن شعيب وقرأ على أحمد بن محمد المؤدب وعلى أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار وأبي القاسم زيد بن علي وأبي جعفر عبد الله بـن عبـد الصمد بن المهتدي بالله ويحيى بن أحمد القضباني ومحمد بن إبـراهيم الأصـبهاني ومحمد بن جعفر بن الدورقي ومحمد بن محمد بن أحمد بن مرثد البخاري وسـمع القرآن من لفظه بقراءة ابن كثير وأحمد بن كامل بن خلف ومحمد بن عبد الله بـن محمد بن مرة، قرأ عليه مهدي بن طراره شيخ الهذلي وعلي بن أحمد البستي شـيخ الوادي و منصور بن أحمد العراقي وسعيد بن محمد الحيري وطـاهر بـن علـي الصيرفي شيخ البغوي وأحمد بن محمد بن أحمد الحدادي وعلي بن عبد الله الفارسي وأبو بكر محمد بن أحمد الكرابيسي وعلي بن محمد الفارسي وروى عنه الحـروف سماعا أحمد بن إبراهيم المقرئ من كتابه "الغاية" وعبيد الله بن محمد الطوسي وعبد الله بن الحسين النيسابوري والحاكم أبو عبد الله الحافظ من كتابه "الشامل"[173].

ومن ابرز القراء أصحاب المصنفات ممن زاروا بلاد الشام أبو بكر أحمد بن موسى، المعروف بابن مجاهد (ت324هـ/936م)المولود في بغداد، وأقبل علـى حفظ القرآن وطلب العلوم بفضل ذكائه المتوقد وحافظته الواعية، ثم انكـب علـى

---

[172] الادنه وي، طبقات، ص 82.

[173] ابن الجزري، غاية، ج 1، ص 49.

قراءات القرآن ورواياته وتفسيره، حتى برع في تعلمها، وتنقل بين شيوخ القراءات في عصره يقرأ عليهم ويتعلم منهم حتى صار أكبر علماء عصره في القراءات، وإمام القراء في بغداد دون منازع، رحل إلى بلاد الشام وسمع من شيوخها، واشتهر أمره وبعد صيته فأقبل عليه الطلاب من كل مكان، واتسعت حلقته اتساعا ظاهرا، ولم تعد تنافسها حلقة من حلقات شيوخ الإقراء، وظل على هذا النحو حتى وفاته[174].

وقد كان القراء على دراية ودرجة عالية من الدقة والحزم في التعامل مع من حاول الدس في القراءات مثال ذلك ما ظهر من محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبو الحسن البغدادي المقرئ المعروف بابن شنبوذ (ت328هـ/940م)، فقد كان أحد القراء المشهورين (سمع بدمشق الخطاب بن سعد الخير وقرأ بها على أبي الحسن أحمد بن نصر بن شاكر بحرف عبد الله بن عامر وهارون بن موسى بن شريك الأخفش وغيرهم، قرأ عليه أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الحسين بن إسماعيل وأبو الحسن علي بن الحسن بن عثمان بن سعيد الغضائري وأبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذي)، فقد كان قد تخير لنفسه حروفا من شواذ القراءات تخالف الإجماع فقرأ بها فصنف أبو بكر بن الأنباري وغيره كتبا في الرد عليه، وكان ابن شنبوذ يقرئ الناس ويقرأ في الصلاة بحروف يخالف فيها المصحف مما يروي عن عبد الله بن مسعود وأبي ابن كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل جمع المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان يتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس فقبض عليه في ربيع الأول سنة 323هـ/935م وحمل إلى دار الوزير محمد بن علي(ابن مقلة) وأحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظره الوزير بحضرتهم فأقام على ما ذكر عنه ونصره واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه أو يرجع عما يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف وتخالفه فأنكر ذلك جميع من حضر المجلس وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره إلى الرجوع فأمر بتجريده وإقامته بين الهنبازين وضربه بالدرة على قفاه فضرب

[174] ابن مجاهد، السبعة، ص 13.

نحو العشرة ضربا شديدا فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة فخلي عنه وأعيدت عليه ثيابه واستتيب وكتب عليه كتاب بتوبته وأخذ فيه خطه بالتوبة[175].

وقد تصدى علماء القراءات للرد على مثيري الشبهات حول القرآن الكريم فقد كان الحسين بن احمد يحدث من كتاب جده في الرد على من زعم من أن بعض القرآن قد ذهب[176].

2.1.2 علم التفسير:

يعد علم التفسير من علوم القرآن الكريم، وقد اهتم به المسلمون لتوضيح معاني آيات القرآن الكريم، ولبيان الأحكام الشرعية، ويبحث علم التفسير عن أحوال كلام الله من حيث أنه يدل على المراد بحسب الطاقة البشرية.

ولم يكن الصحابة بحاجة إلى تفسير القرآن الكريم في بداية الأمر لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم بالإضافة إلى أنه نزل منجما، ففهموا مراده مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ظهرت الحاجة الماسة لهذا العلم بعد الفتوحات الإسلامية، ودخول عناصر غير عربية في الإسلام وينقسم علم التفسير إلى صنفين: الأول التفسير بالمأثور وهو تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة. والصنف الثاني من التفسير هو التفسير بالرأي وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف لا ينفصل عن الأول [177].

ويقسم المفسرين إلى أنواع: الأول: المفسرون من السلف والصحابة والتابعين وأتباع التابعين. والثاني: المفسرون من المحدثين وهم الذين صنفوا التفاسير مسندةً موردين فيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد، وهذان النوعان تراجمهم مذكورة في طبقات الفقهاء. والثالث: بقية المفسرين من علماء أهل السنة الذين ضموا إلى

---

175 ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 16.

176 ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 33.

177 أبو رحمة، الحياة، ص 83.

التفسير التأويل والكلام على معاني القرآن وأحكامه وإعرابه وغير ذلك. والرابع: من صنف تفسيراً من المبتدعة، كالمعتزلة والشيعة وأضرابهم[178].

وقد حفلت بلاد الشام بعدد من المفسرين المشهورين الذين صنفوا في هذا العلم ومنهم على سبيل المثال محمد بن حماد الطهران من عسقلان صاحب كتاب "تفسير عبد الرزاق بن همام" وهو شيخ محمد بن حماد الطهراني حيث قام الطهراني بتدوين ما تعلمه من شيخه في تفسير القرآن الكريم مع إضافات خاصة له وتقديراً لشيخه أسماه باسمه، وتصدر الطهراني لتدريس هذا التفسير بمدينة عسقلان فأخذ عنه أبو الحسن بن أبي عياش الغزي، الذي تصدر لتدريسه في مدينة غزة فسمعه منه اثنان من أهل الأندلس هما: تمام بن عبد الله المعافري الطليطلي وأبو الوليد البطليوسي وقد قام هذان العالمان بنقل تفسير عبد الرازق إلى الأندلس[179].

ومن المفسرين المصنفين عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس أبو محمد التميمي الحنظلي (ت 327هـ/939م)، الإمام ابن الإمام، حافظ الري وابن حافظها، سمع من أبيه، وابن وارة، وأبى زرعة، والحسن بن عرفة، وأبي سعيد الأشج، وروى عنه أبو الشيخ بن حيان، ويوسف الميانجي وغيرهم، وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال، صنف في الفقه، وإختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، ومن تصانيفه: "التفسير المسند" إثنا عشر مجلداً، وقد لخصه السيوطي في تفسيره، وكان له عدة تصانيف منها: كتاب "الجرح والتعديل" وكتاب "الرد على الجهمية" وكتاب "الزهد" وكتاب "الكني" وغير ذلك [180].

ومنهم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخِرقَي الفقيه الحنبلي (ت334هـ/946م) وهو أبو القاسم الشيخ الدمشقي، من كبار فقهاء الحنابلة، صنف

[178] السيوطي، طبقات، ص 21.

[179] أبو رحمة، الحياة، ص 84.

[180] السيوطي، طبقات، ص 62؛ الادنه وي، طبقات، ص 65.

كتباً كثيرة في مذهبه، والتفسير المشهور "بتفسير الخرقـي"، وكانـت وفاتـه فـي دمشق[181].

ومن العلماء المفسرين المصنفين أيضا حسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه، أبو عبد الله الهمداني الشافعي، إمام في اللغة والعربية وغيرهما من العلوم الأدبيـة، رحل إلى بغداد وأخذ عن أبي بكر الأنباري وغيره، وصحب سـيف الدولـة ابـن حمدان، وصنف في اللغة وصنف كتاب "البديع في القـراءات"، وكتـاب "غريـب القرآن"، قال ابن الصلاح: "حكى في كتابه إعراب ثلاثين سورة"[182]، وممن صـنف في علم التفسير أيضا أبو سعيد النيسابوري وكان له كتاب "التفسير الكبير"[183]، كذلك سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني (ت360هـ/971م) وكان من علماء بلاد الشام في عسقلان[184].

وقد اشتهر في بلاد الشام العديد من المفسرين الذين قاموا بتفـسير القـرآن الكريم دون التصنيف في هذا العلم أو ربما أننا لم نعثر على مصنفاتهم أو أسـمائها، ومنهم عبد الله بـن عبـد الـرحمن بـن بهـرام الـدارمي الحـافظ الـسمرقندي (ت255هـ/869م) كنيته أبو محمد وكان على غاية من العقل والديانة ممن يضرب به المثل في الحلم والدراية والحفظ والعبادة والزهادة، أظهر علم الحـديث والآثـار بسمرقند وذب عنها الكذب وكان مفسرا كاملا وفقيها عالما[185].

ومن هؤلاء المفـسرين محمـد بـن موسـى أبـو علـي الواسـطي (ت 320هـ/932م)، قاضي الرملة، كان عالما بالفقه والتفسير، تفقه على مذهب أهـل الظاهر[186].

---

181 الادنه وي، طبقات، ص 70.

182 الادنه وي، طبقات، ص 82.

183 ابن عساكر، تاريخ، ج 5، ص 362.

184 أبو رحمة، الحياة، ص 84.

185 ابن عساكر، تاريخ، ج 29، ص 314.

186 السيوطي، طبقات، ص 117.

ومنهم أحمد بن موسى بن أبي عطاء أبو بكر القرشي الدمشقي المفسر، روى عن بكار بن قتيبة، وعبد الله بن الحسين المصيصي (ت 325هـ ـ /937م)، وروى عنه أبو هاشم المؤدب، وعبد الوهاب الكلابي وغيرهما[187]، كذلك مـن المفـسرين محمد بن النضر بن مر بن الحر أبـو الحـسن بـن الأخـرم الربعـي الدمـشقي (ت342هـ /953م)، أخذ القراءة عن هارون بن موسى الأخفـش، وانتهـت إليـه رئاسة الإقراء بدمشق وكان عارفا بعلل القراءات بصيرا بالتفسير والعربية متواضعا حسن الأخلاق كبير الشأن طال عمره وارتحل إليه الناس وأخذ عنه عبـد الله بـن عطية المفسر وأبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران وخلائق[188].

ومنهم عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب أبو محمد(ت383هـ /993م) المقرئ المفسر الدمشقي، قرأ على أبي الحسن ابن الأخرم وحدث عن ابن جوصـا وغيره وكان ثقة ويحفظ خمسين ألف بيت من الشعر في الاستشهاد علـى معـاني القرآن وكان مؤلفا في التفسير روى عنه عبد الله بن سوار العنسي وغيره [189].

وممن زار بلاد الشام من المفسرين واخذ عن علمائها بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي (ت276هـ ـ /889م) الحـافظ أحـد الأعـلام، وصاحب التفسير والمسند، رحل إلى المشرق، ولقى العلماء فسمع بدمشق هشام بن عمار، وصف بأنه كان : "إماماً زاهداً صواماً صادقاً، كثير النذر، مجاب الـدعوة، قليل المثل، بحراً في العلم، مجتهداً، لا يقلد أحداً، بل يفتي بالأثر"،[190].

وممن زار بلاد الشام من المفسرين محمد بن علي بن إسماعيل الإمـام أبـو بكر الشاشي الفقيه الشافعي(ت365هـ /976م) المعروف بالقفال الكبير، كان إمـام عصره، بما وراء النهر، مفسراً وأصولياً ولغوياً، رحل إلى الـشام وسـار ذكـره واشتهر أسمه، صنف في التفسير والأصول والفقه، ومن مصنفاته: "دلائـل النبـوة"

---

187 السيوطي، طبقات، ص 33.

188 الادنه وي، طبقات، ص 73.

189 الادنه وي، طبقات، ص 86.

190 السيوطي، طبقات، ص 40.

و"محاسن الشريعة" ، نقل عنه الإمام الرازي في تفسيره كثيرا مما يوافـق مـذهب المعتزلة ونقل عنه السيوطي بعض مناسبات في كتابه "أسرار التنزيل"[191].

2.2 الحديث النبوي الشريف وعلومه :

الحديث لغة الخبر وما يحدث به المحدث ويعرف الحديث النبـوي الـشريف اصطلاحا بأنه: "علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها"، ويعرف أيضا بـ: "الحديث من عـرف الـشرع: "مـا يضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم"، والحديث بشموليته: كل ما روي عن النبـي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ولم يقتصر على الأقوال والأفعـال، بل تعداه إلى ما هو جائز وغير جائز[192].

أما علم الحديث فهو العلم الذي يبحث في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لان العمل إنما وجب بمـا يغلـب على الظن صدقه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون ذلـك بمعرفـة الرواة بالعدالة والضبط [193].

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان الصحابة أهـم مـصدر لمعرفـة الحديث فهم قد عاشروه وسمعوا قوله وشاهدوا فعله، ثم كان من بعدهم التابعين وهم الجيل الأول بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخذوا الحديث عن الصحابة، واطمأنت نفوس المسلمين في الأجيال اللاحقة إلى الوثوق بروايات تابعي التـابعين أيضا وهم من أهل الجيل الثاني بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم [194].

1.2.2 منهج علماء الحديث النبوي:

لقد اعتبر علماء الحديث أن الحديث الصحيح لابد من تتابع سلسلة الإسناد له من غير انقطاع وكانت تتألف من أفراد يوثق برواياتهم, ولم يكتفوا بتحقيـق أسـماء

---

[191] السيوطي، طبقات، ص 109.

[192] التخاينة، الحركة، ص 40.

[193] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 441.

[194] دائرة المعارف، ج11، ص 3496.

الرجال وأحوالهم بل فحصوا قيمة المحدث صدقا وكذبا وعن مقدار تحريـه للدقـة والأمانة في نقل المتون ليحكموا أي الرواة كان ثقة في روايته ويسمى هذا العلم علم "الجرح والتعديل "[195].

ومن الممكن تحديد منهج علماء الحديث في بلاد الشام في العصر العباسـي الثاني من خلال الشروط التي كانوا يضعونها ويتقيدون بها سواء لطالب الحديث أو في من يؤخذ عنه الحديث، فلابد لطالب الحديث من أن يتمتع بعدة صـفات تؤهلـه لطلب الحديث ومن ذلك ما حدده عثمان بن خرزاذ وهو احد علماء الحديث في بلاد الشام بقوله: "يحتاج صاحب الحديث إلى خمس فإن عدمت واحدة فهي نقص يحتاج إلى: عقل جيد ودين وضبط لما يقول وحذاقة بالصناعة مع أمانة تعرف منه" [196].

وقد كان منهج علماء الحديث في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني الأخذ بما صح من الأحاديث النبوية، وكان يقع الخلاف بينهم وبين بعض من أهل الـرأي فيروي أحد علماء الحديث وهو عبد الصمد بن محمد البخاري : "سمعت أبا بكر بن حرب شيخ أهل الرأي في بلدنا يقول: كثيرا ما أرى أصـحابنا فـي مـدينتنا هـذه يظلمون أهل الحديث كنت عند حاتم العتكي فدخل عليه شيخ من أصحابنا من أهـل الرأي فقال: أنت الذي تروى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمـر بقـراءة فاتحـة الكتاب خلف الإمام، فقال: قد صح الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك يعنى، قوله: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)، فقال له: كذبت إن فاتحة الكتاب لم تكـن في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما نزلت في عهد عمر بن الخطاب"[197].

وقد كان بعض علماء الحديث لا يحدث إلا العدد القليل من الطلبة فقـد روي أن عبد الله بن إبراهيم الآبندوني وقد كان أحد أركان الحديث في بلاد الشام ومصر ذكر بأنه كان محدثا وسافر في الحديث إلى خراسان وفـارس والبـصرة والـشام ومصر وكان زاهدا متقللا فقد كان لا يحدث غير واحد منفرد فقيل له في ذلك فقال:

---

[195] دائرة المعارف، ج11, ص3500.

[196] ابن عساكر، تاريخ، ج 38، ص 425.

[197] ابن عساكر، تاريخ، ج 36، ص 257.

"أصحاب الحديث فيهم سوء أدب فإذا اجتمعوا للسماع تحدثوا وانا لا أصبر على ذلك"[198].

وقد كان علماء الحديث يحذرون الناس من بعض المحدثين غير الثقات، فقد كان أبي الحسن الدارقطني يحذر من احدهم ويدعى محمد بن إبراهيم بن زياد، حيث قال عنه: "متروك وفي موضع آخر ضعيف"، وكان محمد بن إبراهيم قد حدث بدمشق وحاب عن محمد بن مهران الحمال وأبي مصعب الزهري وذكر بأن محمد بن إبراهيم: "دجال يضع الأحاديث"[199].

وقد كان العلماء يعتنون بأبنائهم بأنفسهم منذ الصغر حتى أن بعضهم كانوا يأخذون أبناءهم معهم في رحلة طلب الحديث، فقد كان عبد الرحمن الرازي يذكر أن من منة الله عليه انه ولد بين قماطر العلم والروايات وتربى بالمذكرات مع أبيه وأبي زرعة فكانا يزقانه كما يزق الفرخ الصغير ويعنيان به فاجتمع له مع جوهر نفسه كثرة عنايتهما ثم تمت النعمة برحلته مع أبيه فأدرك الإسناد وثقات الشيوخ بالحجاز والعراق والشام والثغور وسمع بانتخابه حين عرف الصحيح من السقيم فترعرع في ذلك ثم كانت رحلته الثانية بنفسه بعد تمكن معرفته يعرف له ذلك وتقدم بحسن فهمه وديانته وقديم سلفه، وقد وعد أبيه بالاجتهاد في تحصيل العلم، ولما دخل مصر ومشايخ مصر متوافرون وقد كان منهم يونس بن عبد الأعلى وبحر بن نصر وابن عبد الحكم والمزني والربيع وغيرهم ومشايخ إسكندرية محمد بن عبد الله بن ميمون وغيرهم فأجهد نفسه في السماع ليلحق وعد أبيه لا يخلفه فرزق السماع الكثير مثل كتب ابن وهب بأسرها وكتب الشافعي وحديث سائر الشيوخ وفوائدهم ثم خرج من مصر، وقد اتفق لعبد الرحمن في رحلته من السماع في مدة يسيرة ما يعجز عن جمعه غيره أن يكتب في سنين[200].

وقد كانت تسود مجالس الحديث المناقشات الحادة أحيانا طلبا للدقة والضبط في رواية الحديث ففي مجالس الشيخ أبي بكر بن إسحاق حضر أبو عبد الله محمد بن

---

[198] ابن عساكر، تاريخ، ج 27، ص 69.

[199] ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 202.

[200] ابن عساكر، تاريخ، ج 35، ص 360- 362.

يعقوب الأخرم وأبو علي النيسابوري، ويقول الراوي: "فأملى علينا الشيخ أبو بكـر عن إبراهيم بن يوسف الهسنجاني عن أبي طاهر عن ابن وهب عـن يـونس عـن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " مـن أدرك من الصلاة ركعة فقد أدركها كلها " فقال أبو عبد الله: يا أبا علي من قال عن يونس: فقد أدركها كلها فقال أبو علي: هذا لا نحفظه إلا من حديث عبيد الله بن عمر عن الزهري فقال أبو عبد الله: بلى في حديث حرملة عن ابن وهب عن يونس فقـد أدركها كلها فقال أبو علي: حدثناه ابن قتيبة عن حرملة ولم يقل فيه كلها فقال أبـو عبد الله: حدث به مسلم بن الحجاج عن حرملة وقال فيه: كلها وجرى بينهما كـلام كثير وقام أبو عبد الله وكان أبوعلي يهابه هيبة الولد لأبيه فلما كان المجلس الثـاني عند الشيخ حضرا جميعا وقعد أبو عبد الله عن يمينه وأبو علي عن يساره فـأخرج أبو عبد الله كتاب مسلم بن الحجاج بخط مسلم عن حرملة وفيه كلها، فقال أبو علي: من لا يحفظ الشيء فإنه يعذر فقال أبو عبد الله: من ينكر مثل هذا تعرك أذنه وتنك أسنانه فامتلأ أبو علي من ذلك غيظا وهم أبو عبد الله بالقيام فقال أبو علي: اقعد فإن بيننا حساب آخر قال: وما هو، قال: حديث عن كشمرد عن حفص عن إبراهيم بـن طهمان بالحديثين، وقد تفرد بهما أحمد بن حفص عن أبيه فقال أبـو عبـد الله: لـم أحدث، قال: بلى أبو القاسم وأبو حفص ابنا عمر ثقتان وقد سمعناه منك، فقال أبـو عبد الله: إن كنت حدثت به فقد رجعت عنه، فقال: لك غير هذا، قال: مثل ما هـذا، قال: حدثت في تخريجك القديم على كتاب مسلم عن أحمد بن سلمة بن محمـد بـن المثنى عن محمد بن جهضم عن إسماعيل بن جعفر عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم): " إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر " والآن فقد حدثت به عن علي بن الحسن عن محمد بن جهـضم، فقال أبو عبد الله: كلاهما عندي وقد حدثت بهما وهذا حديثي إن شئت حديث بالنزول وإن شئت حديث بالعلو فقال أبو علي لا ترتق من النزول إلى العلو وأنـت تحفـظ حديثك"[201].

[201] ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 278 – 279.

وطلبا للدقة والضبط أيضا كان بعض طلبة الحديث يقيدون أسماء من سمع الحديث في المجلس للرجوع إليهم عند الحاجة [202]، وقد كان علماء الحديث على درجة عالية من الدقة والحفظ للأحاديث النبوية فيروي الدارقطني: "دخلت على أبي محمد بن زبر - وهو من طلاب الحديث في الشام في تلك الفترة - وأنا إذ ذاك حدث وبين يديه كاتب له وهو يملي عليه الحديث من جزء والمتن من آخر وظن أني لا أتنبه على هذا أو كما قال، وقال لي عبد الغني: كنت لا أكتب حديثه عن أبيه إذا جاء منفردا إلا أن يكون مقرونا بغيره فكان يقول لي: يا أبا محمد ما ذنب أبي إليك لا تكتب حديثه إلا أن يكون مقترنا بغيره" [203].

2.2.2 المصنفون في الحديث النبوي وعلومه:

صنف علماء الحديث مجموعات للأحاديث اكتسب بعضها أهمية كبيرة وقد صنف بعضها بحسب الرجال وسميت هذه المجموعات بالمسند قياسا على ما تضمنته من أحاديث كاملة الإسناد كمسند ابن حنبل, واتبع في مجموعات أخرى للأحاديث تصنيف معظمها حسب الموضوع وعد أهل السنة ستة من هذه المصنفات هي الصحيحة وقد ألفت كلها في القرن الثالث للهجرة وأصحاب هذه المصنفات هم : البخاري (ت 256هـ/870م), ومسلم (ت 261هـ/875م), وأبو داود (ت 275هـ/888م), والترمذي (ت279هـ/892م), والنسائي (ت303هـ/916م), وابن ماجه (ت 273هـ/886م), وتسمى كتبهم بـ" الصحاح الستة" ويحظى كتابا البخاري ومسلم على وجه خاص بتقدير عظيم وهما لايشتملان إلا على الأحاديث المتفق على صحتها[204] .

وقد ظهرت مؤلفات في علوم الحديث النبوي في العصر العباسي الثاني ومن أهمها الجرح والتعديل وممن صنف فيه عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد

---

[202] ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 34.

[203] ابن عساكر، تاريخ، ج 27، ص 26.

[204] دائرة المعارف, ج11, ص 35.6.

بن أبي حاتم الرازي، وهو أحد الحفاظ صنف كتاب "الجرح والتعديل" فأكثر فائدته، وكان قد رحل في طلب الحديث[205].

ومن اجل معرفة وضبط من يؤخذ عنهم من رواة الحديث فقد صنف علماؤه المؤلفات في ذلك فكان منهم أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الحافظ يعرف بابن القطان كتب الحديث بجرجان عن أحمد بن حفص السعدي وغيـره ثـم رحل إلى العراق والشام ومصر وروى عن أهل مصر أبي عبد الـرحمن النـسائي وعلي بن سعيد الرازي والقاسم بن عبد الله الإخميمي وغيرهم وصنف في معرفـة ضعفاء المحدثين كتابا مقدار ستين جزء وأسماه كتـاب " الكامـل "، ويقـول ابـن عساكر: "سألت أبا الحسن الدارقطني رحمه الله أن يصنف كتابا في ضعفاء المحدثين فقال لي: أليس عندك كتاب ابن عدي قلت: نعم، قال: فيه كفاية لا يزاد عليـه"[206]، وكان ابن عدي جمع أحاديث مالك بن انس والأوزاعي وسـفيان الثـوري وشـعبة وإسماعيل بن أبي خالد وجماعة من المقلين وصنف على كتاب المزني كتابا سـماه "الانتصار" وكان أبو أحمد بن عدي (ت365هـ/976م) حافظا متقنا لم يكـن فـي زمانه مثله تفرد بأحاديث وكان قد وهب أحاديث له يتفرد بها لبنيه عدي وأبي زرعة ومنصور تفردوا برواياتها عن أبيهم وابنه عدي سكن سجستان وحدث بها[207].

وممن ألف في علم الحديث محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق القاضي أبـو أحمد الحافظ إمام عصره في الصنعة وكان من الصالحين الثابتين على سنن السلف المعتصمين بسنن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) والمنصفين فيما يعتقده في أهـل بيته وصحابته لقي في نيسابور أبو عمرو الحيري ولم يزل من المقبولين إلى أن قلد القضاء في مدن كثيرة بخراسان ثم قدم بلاد الشام، سمع الحديث أول ما سمع وهـو ابن نيف وعشرين سنة فسمع بنيسابور ثم رحل إلى طبرستان ثم الري وسمع ببغداد وسمع بالحجاز وسمع بالجزيرة وبلاد الشام وألف على كتاب البخاري ومـسلم فـي الصحيح وعلى كتاب أبي عيسى الترمذي وألف كتاب " الأسامي والكنـى والعلـل

---

[205] ابن عساكر، تاريخ، ج 35، ص357.

[206] ابن عساكر، تاريخ، ج31، ص 7.

[207] ابن عساكر، تاريخ، ج31، ص 7.

والمخرج " على كتاب المزني وكتاب "الشروط" وكان عارفا بـه وألـف "الـشيوخ والأبواب" [208].

ومنهم محمد بن محمد بن رجـاء بـن الـسندي أبـو بكـر النيـسابوري (ت286هـ/899م) من أهل إسفراين من أعلمهم بالحديث وأحفظهم له وكان ثبتـا دينا مقدما في عصره أخذ عن جده وإسحاق بن إبراهيم وعمرو بن زرارة وأقرانهم بخراسان، ألف "المسند الصحيح على شرط مسلم" وكان في أكثره قـد جهـد أن لا يخالف شرطه وهو يشاركه في أكثر شيوخه روى عنه أبـو حامـد بـن الـشرقي والمؤمل بن الحسن[209].

كذلك ألف يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد أبـو عوانـة النّيـسابوري الحافظ صنف "المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج"، وهـو أحـد الحفاظ الجوالين، والمحدثين المكثرين، دخل دمشق غير مرة، وطاف ببلاد الـشام، ومصر، والبصرة، والكوفة، والحجاز، وواسط، والجزيـرة، والـيمن، وأصـبهان، وفارس، والري، سمع بدمشق يزيد بن محمد بن عبد الصمد، وإسماعيل بن محمـد بن قيراط[210].

3.2.2 الرحلة في طلب الحديث النبوي:

لقد كان الرأي الغالب عند المسلمين هو أن المعرفة بالعلوم الدينية لا سـبيل إليها إلا بتلقين معلم يكون قد تلقاها بالطريقة نفسها، وطبق هذا الأمـر علـى علـم الحديث واعتبروا أن الحديث يجب أن يسمع وكان الطلاب يقطعون البيادى والقفـار ليحضروا دروس العلماء الذين كانوا حجة في هذا العلم، وقد كان الحـديث يـروى بالسماع من العلماء والذين لابد من الارتحال إليهم [211].

---

208 ابن عساكر، تاريخ، ج 55، ص 156.

209 ابن عساكر، تاريخ، ج 55، ص 163.

210 ابن عساكر، تاريخ، ج 74، ص 145.

211 دائرة المعارف، ج11، ص 3510.

وقد كان من الشائع عند المسلمين الترغيب في الرحلة لطلب العلم عامة وفضل الارتحال، فنجد أن العالم يطوف ببلاد كثيرة فيشاهد أحوال الشعوب وتقاليد الناس وعاداتهم، واختلاف طبائعهم، ثم يتصل بشيوخهم ويأخذ عنهم ويتلقى العلم عليهم مما يؤدي إلى كثرة الاطلاع ووفرة الثقافة واتساع دائرة الفكر وآفاق الذهن [212]، حيث يخرج الطلاب فرادى وجماعات يسعون في صبر لتحصيل العلم لفائدة الرحلة فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها، وقد رأى المسلمون أن العلم الذي يكسبه الطالب مشافهة من الشيخ أجدر بالاعتماد من العلم الذي يؤخذ من الدفاتر والكتب لذا كانوا يثنون على المشايخ الذين لم يستملوا الكتب أثناء تدريسهم ولذا كان العلماء يحذرون الطلاب من اخذ علومهم من بطون الكتب وينصحونهم بالقراءة على الشيوخ لأن من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام[213].

وقد كانت رحلة المحدثين تطول من حيث الزمان فتراهم يرتحلون من بلد إلى بلد في سبيل طلب الحديث، فقد ارتحل أبو جعفر الأصبهاني (ت272هـ/885م) من دمشق إلى حمص ثم إلى حلب وسمع فيها حجاج بن أبي منيع ثم إلى مصر وسمع بها عبد الله بن صالح وغيره من علماء الحديث ثم إلى الكوفة وسمع من علمائها ثم إلى البصرة ثم إلى بغداد ثم إلى أصفهان وكان له العديد من المصنفات من الكتب والأصول والصحاح انفق عليها نحوا من ثلاثمائة ألف درهم[214].

وقد طاف الحسين بن علي النيسابوري الصايغ البلاد وجمع وصنف في علم الحديث وقد سمع بدمشق أبا الحسن بن جوصا وإسماعيل بن محمد وغيرهم وقد كتب عنه أبو الحسن بن جوصا وأبو محمد بن صاعد وأبو العباس بن عقدة وغيرهم[215].

وقد ارتحل طلاب الحديث لبلاد الشام للكتابة عن علمائها ومن طلاب الحديث عبيد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي الشافعي من أهل بغداد يقال له

---

212 الاهواني، التربية، ص 63.

213 عبد العال، التربية، ص 156.

214 ابن عساكر، تاريخ، ج 6، 40.

215 ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 271.

عبيد ويكنى أبا القاسم قدم بلاد الشام وكتب بحلب عن ابن رويـط وغيـره وكتـب بدمشق عن أبي الدحداح التميمي وأحمد بن محمد بن ملاس ومحمـد بـن يوسـف الهروي وكتب بالرملة عن أبي نعيم الفضل بن محمد البغدادي وعلي بـن الحـسن النجاد المستملي وأبي الحسن شاذان الفضل وغيرهم[216].

ويتضح صبر طلبة الحديث على العناء والجوع الذي كان يلحـق بهـم فـي رحلاتهم من خلال ما يرويه أبو حاتم الرازي في احد رحلاته: " كان في نفـسي أن أقيم سنة في البصرة لطلب الحديث فانقطعت نفقتي فجعلت أبيع ثيابي شيئا بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع مـنهم إلـى المساء فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خالي فجعلت أشرب الماء من الجوع ثـم أصبحت من الغد وغدا علي رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد فانصرف عني وانصرفت جائعا فلما كان الغد غدا علي فقال: مـر بنـا إلـى المشايخ فقلت: أنا ضعيف لا يمكنني، قال: ما ضعفك، قلت: لا أكتمك أمـري قـد مضى يومان ما طعمت فيهما، فقال: لي رفيقي معي دينار فأنـا أواسـيك بنـصفه ونجعل النصف الآخر في الكراء فخرجنا من البـصرة وقبـضت منـه النـصف الدينار"[217].

ويلاحظ أن كثير من علماء بلاد الشام كانوا يرحلـون إلـى أقطـار العـالم الإسلامي لطلب الحديث والتحديث، وقد كانوا يتحملون العناء في طلب الحديث فنجد أن الحسن بن سفيان النسوي بعد أن اجتمع لديه طائفة من أهل الفضل ارتحلوا إليـه من أطباق الأرض والبلاد البعيدة مختلفين إلى مجلسه لاقتباس العلم وكتابة الحديث، فخرج يوما إلى مجلسه الذي كان يملي فيه الحديث وقال: " قد علمنا أنكم طائفة من أبناء النعم وأهل الفضل هجرتم أوطانكم وفارقتم ديـاركم وأصـحابكم فـي طلـب الحديث" ثم حثهم على الصبر على طلب الحديث مبينا لهم معاناته في طلب الحديث حيث الرحلة البعيدة وقلة النفقة والجوع[218].

---

[216] ابن عساكر، تاريخ، ج 38، ص 55.

[217] ابن عساكر، تاريخ، ج 52، ص 11.

[218] ابن عساكر، تاريخ، ج 13، ص 103.

وقد أدرك علماء الحديث في الشام الأجر العظيم المترتب على جمع الحديث والرحلة في طلبه حتى روي عن الحاكم أبو عبد الله قوله: " رأيت أبـا الأصـبغ - وهو من علماء الحديث في الشام- في المنام وهو يمشى بزي أحسن ما يكون فقلت له: أنت أبو الأصبغ، قال: نعم، قلت: ادع الله أن يجمعني وإياك في الجنة، فقال: ثم رفع يديه، فقال: اللهم اجمعه معي في الجنة بعد عمر طويل، ويقول: ورأيـت أبـا الأصبغ مرة أخرى في بستان فيه خضرة ومياه جارية وفرش كثيرة وكـأني أقـول الهالة، فقلت: يا أبا الأصبغ بماذا وصلت إليه أبالحديث، فقال: أي والله وهل نجوت إلا بالحديث"[219].

وقد كان العلماء يتواصون فيما بينهم بضرورة الرفق بطلبة العلم والحديث لما يجدونه من عناء السفر وهجرهم الأوطان وقلة المؤنة فقد كتب الصاحب إسـماعيل بن عباد إلى أبي سعيد بن الفرخان بسبب أبي الربيع الأسترابادي مستملي أبي بكـر بن المقرئ رحمه الله كتابا نسخته:

" ....وكان في كتابك اليوم أن جماعة من حملة الآثار حاطهم الله حـضروا يشكون المعروف بأبي الربيع في تصييره حجابا وحجازا بينهم وبين السماع من أبي بكر بن المقرئ أعزه الله تصرفا مع الطمع واخلادا إلى الشرة فاستعظمت ما يجري إليه ذلك الغبي إذ من المفروض على أهل البصائر حسن التعاون على نقل الـسنن والرفق بمن هجر الأوطان وامتطى الأقدام وصبر على لأواء السفر وشـق الـنفس وضنك العيش ومفارقة الأهل والولد كل ذلك حرصا على أن يتحمل صالح ما نقـل عن سيد المرسلين وخير الأنبياء أجمعين (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله الطاهرين فمن أعنت وافدهم وجفا واردهم ورد طالبهم وخيب واعيهم كان على خسر وضلال وجهل وخبال فقد كتبنا في الأثر المسموع والمسند المعـروف أن الملائكـة تـضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وسبيل هذا المشكو أن يمنع مـن الاسـتملاء ليتولاه من هو لين يحنو على الغريب ويرفق بالضعيف ويقرب الأمد على الـسامع ويلاطف للشيخ أعزه الله فيتحين أوقات نشاطه ويرفهه عند ضجره وانقباضه ويطلب

[219] ابن عساكر، تاريخ، ج 36، ص 315.

وجه الله بفعله ويتوخى الأجر بحسن هديه فأحسن أدام الله عـز ك الاهتمـام بـذلك لتجري أمور هذه العصبة على سداد واستقامة واستمداد واستفادة..."[220].

ويلاحظ استئذان العلماء لبعضهم البعض للخروج لطلـب الحـديث إجـلالا لبعضهم يروي أبو علي النيسابوري انه استأذن أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في الخروج إلى العراق فرد عليه: " توحشنا مفارقتك يا أبـى علـي وقـد رحلـت وأدركت الأسانيد العالية وتقدمت في حفظ الأحاديث ولنا فيك فائدة وأنس فلو أقمت؟" ويقول أبو علي: " فما زالت به حتى أذن لي فخرجت إلى الري"[221].

وحرصا من علماء الحديث على نشر الحديث الشريف فقد تنقلوا في منـاطق بلاد الشام لتحديث الناس فكان ممن ارتحل إلى صور وحدث الناس بها عبيد الله بن إبراهيم بن مهدي أبو القاسم البغدادي ثم الدمشقي المقرئ وقد حدث بـصور عـن إبراهيم بن أحمد بن مروان وأحمد بن عبد الجبار العطاردي والفضل بـن يعقـوب الرخامي ومحمد بن علي الرافقي وهارون بن موسى بن شريك المقرئ وحفص بن عمرو الربالي وغيرهم[222].

وفي الغالب فقد كانت قراءة الأحاديث مجانية إلا في حالات نادرة كان منهـا أن بكر بن سهل الدمياطي (ت 287هـ/900م) وهو عالم من مصر سمع وحـدث ببلاد الشام, قد جمع له أهل الرملة (500) دينار ليقرأ عليهم بنفـسه فـاكتفى بـأن أسمعهم من حفظه على ما يظهر ولما قدم القدس جمع له أهلها ألف دينار فقرأ عليهم الأحاديث [223].

وقد كانت العلاقة بين الطلبة والمحدث تسوء أحيانا ومن ذلك أنه حينما قـدم مؤمل بن إهاب الرملة اجتمع عليه أصحاب الحديث وكان ذعرا ممتنعا فألحوا عليه فامتنع أن يحدثهم فمضوا بأجمعهم وألفوا منهم فئتين فتقدموا إلى السلطان فقالوا: "إن لنا عبدا خلاسيا له علينا حق صحبة وتربية وقد كان أدبنا وأحسن لنا التأديب وآلـت

---

[220] ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 223.

[221] ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 273.

[222] ابن عساكر، تاريخ، ج 37، ص 403.

[223] ابيض، التربية، ص 340.

بنا الحال إلى الاضاقة بحمل المحبرة وطلب الحديث وإنا أردنا بيعه فـامتنع علينـا فقال لهم السلطان: وكيف أعلم صحة ما ذكرتم قالوا: إنا معنا بالباب جماعـة مـن حملة الآثار وطلاب العلم وثقات الناس يكتفى بالنظر إليهم دون المسألة عنهم وهـم يعلمون ذلك فتأذن بوصولهم إليك لتسمع منهم فأدخلهم وسمع منهم مقـالتهم ووجـه خلف المؤمل بالشرط والأعوان يدعونه إلى السطان فتعذر فجذبوه وجرروه وقالوا: أخبرنا إنك قد استطعنت الآباق فصار معهم إلى السلطان فلما دخل عليه قال له: ما يكفيك ما أنت فيه من الآباق حتى تتعزز على سلطانك امضوا به إلى الحبس فحبس فكان مؤمل من هيئته أنه أصفر طوال خفيف اللحية يشبه عبيد أهل الحجاز فلم يزل في حبسه أياما حتى علم بذلك جماعة من إخوانه فصاروا إلى السطان وقالوا: هـذا مؤمل بن إهاب في حبسك مظلوم فقال لهم: ومن ظلمه فقالوا له: أنـت قـال: مـا أعرف من هذا شيئا ومن مؤمل هذا قالوا: الشيخ الذي اجتمع عليه جماعة فقال: ذاك العبد الآبق فقالوا: ما هو بآبق بل هو إمام من أئمة المسلمين فـي الحـديث فـأمر بإخراجه وسأله عن حاله فأخبره كما أخبره الذين جاؤوا يذكرون له حاله فـصرفه وسأله أن يحله فلم ير مؤمل بعد ذلك ممتنعا امتناعه الأول حتى لحـق بـالله عـز وجل"[224].

4.2.2 الوضع في الحديث النبوي:

عرف أهل العلم الحديث الموضوع بأنه: " الحـديث المختلـق المـصنوع"، ولعلهم لحظوا في وسمهم للحديث المختلق المصنوع بالوضع معناه اللغوي الذي يفهم منه معنى السقوط والانحطاط، فالوضع لغة ضد الرفع، وذلك لأن رتبـة الحـديث الموضوع أن يكون مطروحا ملقى لا يستحق الرفع أصلا [225].

---

[224] ابن عساكر، تاريخ، ج 61، ص 257.

[225] الأشقر، الوضع، ص 17.

وقد حذر النبي عليه السلام من الكذب عليه، فإذا كان الكذب على غير النبي عليه السلام مذموما، فان الكذب عليه أعظم واشد، وفي ذلك يقول النبي عليه السلام: " إن كذبا علي ليس ككذب على احد، من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار" [226].

ولمعرفة الوضاعين بأن سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي التي يمكـن أن تكون القانون الخلقي للمؤمنين الأمر الذي أدى إلى وضـعهم الأحاديـث فاسـتباح بعضهم لنفسه اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي صـلى الله عليه وسلم ومنها ما يتناول الأحكام كالحلال والحرام والطهـارة وأحكـام الطعـام والشريعة وآداب السلوك ومكارم الأخلاق ثم وضعت أحاديث تتناول العقائد, ومـع حدوث الخلاف بين المسلمين على جملة من الآراء وعمل كل طرف على تأييد رأيه على قدر ما يستطيع بقول أو تقرير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسـلم فمـثلا نجد أنه قد نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قول تنبأ فيه بقيام دولـة العباسـيين [227].

ومن الوضاعين في الحديث مأمون بن أحمد السلمي من أهل هراة كان دجالا من الدجاجلة ظاهر أحواله مذهب الكرامية وباطنها ما لا يوقف على حقيقته يـروي عن أهل الشام ومصر وشيوخ لم يرهم، قال فيه علماء الحديث: "فما أجرأه على الله وعلى رسوله، ومنهم جماعة وضعوا الحديث كما زعموا يدعون الناس إلى فضائل الأعمال مثل أبي عصمة نوح بن أبي مريم ومحمد بن عكاشة الكرماني وأحمد بـن عبد الله الجويباري ومحمد بن القاسم الطامكاني وغيرهم [228].

ومنهم لاحق بن الحسين بن عمران بن أبي الورد أبو عمر المقدسي ويسمى محمد أيضا، وهو أحد الكذابين الدجالين وأكذب الغرباء الرحالين ذكـر أنـه سـمع بطرابلس خيثمة بن سليمان، كنيته أبو عمر كان يذكر أنه مقدسي الأصل وربما كان يقول أنه بغدادي كان كذابا أفاكا يضع الحديث على الثقات ويسند المراسيل ويحـدث عن من لم يسمع منهم، يروي احد المحدثين: " أنه حدثهم يوما عن الربيع بن حسان

---

[226] الأشقر، الوضع، ص 33.

[227] دائرة المعارف, ج11, ص 3498.

[228] ابن عساكر، تاريخ، ج 57، ص 5.

الكشي والمفضل بن محمد الجندي فقال له: أين كتبت ومتى كتبت عنهما فذكر أنـه كتب عنهما بمكة بعد العشرين والثلاثمائة فقال له: كيف كتبت عنهما بعد العـشرين وقد ماتا قبل العشر والثلاثمائة"، وكان قد وضع نسخا لأناس لا تعرف أساميهم فـي جملة رواة الحديث مثل طرغال وطربال وكركدي وشغبوب، وكان اسـمه محمـدا فتسمى بلاحق لكي يكتب عنه أصحاب الحديث وعندما سئل عن ذلك قال: "سـماني أبي لاحقا وإنما سميت نفسي محمدا" [229].

5.2.2 علماء الحديث النبوي:

لقد برز في بلاد الشام العديد من علماء الحديث، مما يـشير إلـى حـرص العلماء على جمع الحديث النبوي والحفاظ عليه من الوضع، وذلك لتسخير الله عـز وجل لهم لما يترتب على هذا العلم من حفظ الدين الإسلامي من التحريف والتبديل.

ومن علماء الحديث حميد بن زنجويه (ت 251هـ/865م) واسمه مخلد بـن قتيبة الأزدي النسائي الحافظ صاحب كتاب "الأموال" و" الترغيب" و" الآداب" وهـو محدث مشهور سمع بدمشق أبا مسهر وهشام بن عمار وسليمان بن عبـد الـرحمن ودحيما وبمصر عبدالله بن صالح وأبا الأسود النضر بن عبد الجبار وعثمـان بـن صالح وعبد الله بن يوسف وسعيد بن عفير وغيرهم وسمع بالعراق وبمكة[230].

ومنهم عبد الله بن عبد الرحمن بن بهـرام الـدارمي الحـافظ الـسمرقندي (ت255هـ/869م) كنيته أبو محمد وكان على غاية من العقل والديانة من يضرب به المثل في الحلم والدراية والحفظ والعبادة والزهادة، أظهر علم الحـديث والآثـار بسمرقند وذب عنها الكذب وكان مفسرا كاملا وفقيها عالما، كان أحد الرحالين فـي الحديث والموصوفين بحفظه وجمعه والإتقان له مع الثقة والصدق والورع والزهـد واستقضى على سمرقند فأبي فألح عليه السلطان حتى تقلده وقضى قضية واحدة ثـم استعفى فأعفي وكان على غاية العقل وفي نهاية الفضل يضرب به المثل في الديانة

---

[229] ابن عساكر، تاريخ، ج 64، ص 16 – 18.

[230] ابن عساكر، تاريخ، ج 8، ص 279- 282.

والحلم والرزانة والاجتهاد والعبادة والزهادة والتقلل وصنف "المسند" و"التفسير" و"الجامع"[231].

ومن علماء الحديث الجوزجاني إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق(ت259هـ/873م)، الإمام الحافظ الحجة أبو إسحاق السعدي الدمشقي، له مؤلفات في الحديث منها: " المترجم"[232]، ومنهم إسماعيل بن عبدالله المعروف بسمويه (ت267هـ/881) كان من الحفاظ سمع الحديث من العراقيين والشاميين والمصريين[233]، ومنهم أبو أمية الطرسوسي محمد بن إبراهيم بن مسلم (ت273هـ/886م)، الإمام الحافظ الرحالة، ألف مسند في الحديث وغيره من الكتب[234].

ومن علماء الحديث عبد الله بن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي ويقال أبو جعفر السامري (ت277هـ/890م) سمع بدمشق هشام بن عمار وبالعراق روح بن عبادة ويزيد بن هارون وشبابة بن سوار ومحمد بن عبد الله بن عبد الأعلى بن كناسة الأسدي ويحيى بن أبي بكر وغيرهم، روى عنه أحمد بن عيسى الخواص وأبو محمد عبد الله بن إسحاق بن الخراساني وأبو بكر الخرائطي ومحمد بن جعفر الأدمي القارئ، توفي بسر من رأى[235].

ومنهم إسحاق بن أبي عمران الشافعي الاسفرايني (ت 284هـ/897م) من رستاق اسفراين، احد أئمة الشافعيين والرحالة في طلب الحديث بخرسان والعراقين والحجاز ومصر وبلاد الشام وله مصنفات كثيرة تفقه عند إبراهيم المزني وسمع المبسوط من الربيع[236]، ومنهم سعيد بن عبد الله عثمان الأنباري (ت

---

231 ابن عساكر، تاريخ، ج 29، ص 314.

232 أبو المعالي، ديوان، ج 2، ص 96.

233 ابن عساكر، تاريخ، ج 15، ص 424.

234 أبو المعالي، ديوان، ج 1، ص 69.

235 ابن عساكر، تاريخ، ج 27، ص 396- 397.

236 ابن عساكر، تاريخ، ج 8، ص 293.

287هـ/900م) سمع بدمشق هشام بن عمار وهارون بن محمد بن بكار بن بلال ودحيم بن اليتيم وبحمص صالح بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث وسعيد بن عمرو السكوني وإبراهيم بن مرزوق البصري وغيرهم، روى عنه محمد بن مخلد الدوري وأبا بكر بن كامل القاضي ومحمد بن إبراهيم الشافعي والإسماعيلي الجرجاني وغيرهم[237].

ومن علماء الحديث أيضا زكريا بن يحيى بن إياس بن سلمة بن حنظلة بن قرة أبو عبد الرحمن السجزي المعروف بخياط السنة (ت280هـ/893م)، سكن دمشق وحدث بها عن دحيم وإسحاق بن راهويه ونصر بن علي الجهضمي وغيرهم[238].

ومنهم أيضا الحسن بن علي المعمري (ت 295هـ/908م) صاحب كتاب "اليوم والليلة" سمع من إسماعيل بن عبد الله الرقي قاضي دمشق وكان قد رحل إلى البصرة والكوفة ومصر وسمع من علماء الحديث فيها وقد وصفه ابن عساكر بأنه: "من أوعية العلم يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ، في حديثه غرائب وأشياء يتفرد بها وكان عنده جلد في طلب الحديث، ومما تفرد به عن غيره من أئمة الحديث في عصره انه لما كان ببغداد حفظ نيف وسبعين حديثا عن شيوخ الحديث دون أن ينسخها" [239].

ومنهم أيضا عبد الله بن عمران ويقال ابن محمد بن عمران بن موسى أبو محمد البغدادي (ت305هـ/917م) المعروف بالنجار الفقيه الحافظ، قدم دمشق وحدث بها عن عبد الأعلى بن حماد وعباس بن الحسين قاضي الري وأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة وإبراهيم بن سعيد الجوهري وصالح بن علي الحلبي ومحمد بن داود البغدادي، روى عنه أبو عمر بن فضالة وأبو بكر وأبو زرعة ابنا أبي

---

[237] ابن عساكر، تاريخ، ج 21، ص 174.

[238] ابن عساكر، تاريخ، ج 19، ص 73.

[239] ابن عساكر، تاريخ، ج 13، ص155- 160.

دجانة وسليمان بن أحمد الطبراني وأبو بكر بن الجعابي وأبو عمر محمد بن العباس بن كوذك [240].

ومن علماء الحديث عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد أبو محمد الجواليقي الأهوازي (ت306هـ/918م) القاضي المعروف بعبدان، أحد الحفاظ الموجـودين المكثرين قدم دمشق فسمع بها هشام بن عمار ودحيما وهشام بن خالد وأبا زرعـة الدمشقي وغيرهم وروى عنهم وعن أبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة ووهب بن بقية وعمرو الناقد وابن مثنى وعباس بن الوليد النرسي وغيرهم، ويذكر محمد بن علـي المقرئ أن محمد بن عبد الله النيسابوري قال: "سمعت أبا علي الحافظ يقول: "كـان عبدان يحفظ مائة ألف حديث، وقال عنه علماء عصره ما رأينا من المشايخ أحفـظ من عبدان، وكان معه وراقا يكتب عنه وهو أبو جعفر محمد بن عثمان" [241]، ومنهم في دمشق احمد بن عمرو الطحان وكان من تلاميذ أبي زرعة[242].

ومنهم عبد الله بن عمر بن سـليمان أبـو العبـاس الكـوكبي النيـسابوري (ت313هـ/925م) رحل وسمع بدمشق ومصر والحجـاز والعـراق وخراسـان، وحدث عن أبي هبيرة محمد بن الوليد الدمشقي ويزيد بن محمد بن عبد الصمد وعبد الله عيشون وموسى بن عبد الأعلى وابن أخي ابن وهب ومحمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ والحسن بن محمد بن الصباح وعلي بن حرب وأحمد بن منصور الرمـادي وعلي بن خشرم والكوسج [243].

ومن علماء الحديث طاهر بن محمد بن الحكم أبو العباس التميمـي البـزار (ت319هـ/931م) المعلم إمام مسجد سوق الأحد، روى عن هـشام بـن عمـار، وروى عنه أبو الحسين الرازي الكلابي وأبو القاسم علي بن الحسن بن رجـاء[244]،

---

[240] ابن عساكر، تاريخ، ج 31، ص 75.

[241] ابن عساكر، تاريخ، ج 27، ص 54.

[242] ابن عساكر، تاريخ، ج 5، ص 103.

[243] ابن عساكر، تاريخ، ج 31، ص 204.

[244] ابن عساكر، تاريخ، ج 24، ص 455.

ومنهم ابن فيل الحسن بن أحمد بن إبراهيم، المحدث المسند أبـو طـاهر الأسـدي البالسي (ت320هـ/932م)، نزل إنطاكية، صاحب الجزء الحديثي المعروف[245].

ومن شيوخ الحديث احمد بن عمير أبو الحسن (ت320هـ/932م)، وكـان يعرف بابن جوصا[246]، وقد كان شيخ الشام في وقته فكان يعتبر إمام أهل الحـديث ورئيس الشام[247].

ومن علماء الحديث أبو احمد المروزي الزيـدي (ت328هـ/940م) مـن الحفاظ الرحالين في طلب الحديث والكاتبين له سمع بخرسان والعراق ومصر وسكن طرسوس[248]، ومنهم أبو الدحداح أحمد بن محمد بن إسماعيل، الشيخ المحدث المسند التميمي الدمشقي، الذي ينسب إليه مرج الدحداح بدمشق[249].

ومنهم عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد أبو محمد المـصري الجوهري (ت332هـ/944م)، سمع بدمشق أبا زرعة الدمشقي وبمصر الربيع بن سليمان وعبد الله بن محمد بن أبي مريم ويحيى بن عثمان بن صـالح المـصريين وإبراهيم بن مرزوق وبكار بن قتيبة القاضي وإبراهيم بن أبي داود البرلسي، روى عنه أبو الحسن الدارقطني وأبو حفص بن شاهين وأبو القاسم عبد الله بن محمد بـن إبراهيم بن الثلاج وأبو عمر بن مهدي وأبو يعلي عثمـان بـن الحـسن الطوسـي وغيرهم[250].

ومن علماء الحديث أيضا احمد بن جعفر بن محمد أبو الحـسين البغـدادي (ت336هـ/948م) وقد حدث عن جده وعن أبي داوود المروزي وأبي البختـري والرازي وغيرهم كثير، ومن تلاميذه أبو الحسن بن الصلت وأبو عمر بـن حيويـة وكان أبو الحسين يحدث في طرطوس، وقد ترك عدة مصنفات كان منها: "ملاحـم

---

245 أبو المعالي، ديوان، ج 3، ص 445.

246 أبو المعالي، ديوان، ج 2، ص 117.

247 ابن عساكر، تاريخ، ج 5، ص 109- 117.

248 ابن عساكر، تاريخ، ج 12، ص 6- 8.

249 أبو المعالي، ديوان، ج 2، ص 270.

250 ابن عساكر، تاريخ، ج 27، ص 3.

عابري الأيام" المختص على محمد بن أبي العوام وكتاب "الوفيات"، ووصف بأنه ثقة أمين ثبت صدوق حجة فيما يرويه محصلا لما يحكيه[251].

ومن علماء الحديث سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر أبو القاسـم اللخمـي الطبراني (ت360هـ/971م)، أحد الحفاظ المكثرين والرحالين، سمع بدمـشق أبـا زرعة وأحمد بن المعلى وغيرهم، وصنف "المعجم الكبير فـي أسـماء الـصحابة" و"المعجم الأوسط" في غرائب شيوخه و" المعجم الصغير" في أسماء شيوخه وغيـر ذلك من الكتب، روى عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب، ذكره أبو مسعود سليمان بن إبراهيم الحافظ قال: "قال أبو أحمد العسال: إذا سمعت أنا من الطبراني عشرين ألف حديث وسمع منه إبراهيم بن محمد بن حمزة ثلاثين ألف حديث وأبو الشيخ أربعـين ألف حديث"[252].

ومن علماء الحديث دعلج بن أحمد بن دعلج الفقيه أبو محمد السجزي شـيخ أهل الحديث في عصره له صدقات جارية على أهل الحديث بمكة وبغداد وسجستان وكان أول رحلة له إلى نيسابور ثم انصرف مرة أخرى بعد دخولـه العـراق إلـى نيسابور فسمع المصنفات من أبي بكر بن خزيمة وكان يفتي على مذهبه ثـم سـكن مكة وجاور بها ثم انتقل إلى بغداد وقد سمع الحديث ببلاد خراسان وبالري وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة، روي عنه أنه كان من ذوي اليسار والأحوال وأحد المشهورين بالبر والإفضال وله صدقات جارية ووقوف محبسة على أهل الحـديث ببغداد وبمكة وسجستان وقد سكن بغداد واستوطنها وحدث بها عن محمد بن عمرو الحرشي ومحمد بن النضر الجارودي وجعفر بن محمـد التـرك وعبـد الله بـن شيرويه[253].

ومنهم علي بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يزيد أبو الحسن الحلبي القاضي الفقيه الشافعي، سمع جده إسحاق بن محمد بن يزيد الحلبي وخيثمة بن سليمان وأبـا المعمر الحسين بن محمد بن سنان، وسمع وأبا محمد بكر بن عبد الله الطائي وأبـا

---

[251] ابن العديم، بغية،ج 2، ص 595-598.

[252] ابن عساكر، تاريخ، ج 22، ص 163 – 166.

[253] ابن عساكر، تاريخ، ج 17، ص 277.

القاسم عبد الصمد بن سعيد بن يعقوب وأبا القاسم يعقوب بن أحمد بن ثوابة وأبا عبد الله محمد بن الوليد بن عرق الحمصيين بحمص وأبا علي محمد بن سعيد الحافظ بالرقة وأبا علي الحسن بن علي الرافقي بالرافقة، وأبا الحسن أحمد بن زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسي ببيت المقدس وغيرهم[254].

وقد كان من المحدثين من الصوفية احمد بن عمرو الضحاك الشيباني (ت287هـ/900م) وهو محدث أيضا أصله من البصرة وكان مصنفا في الحديث، وعندما تولى القضاء كان إذا سئل عن مسألة في الصوفية قال: " القضاء والدنية والكلام في علوم الصوفية محال " [255].

ومن المتصوفة المحدثين أيضا سري السقطي (ت 253هـ/867م)، وهو تلميذ معروف الكرخي، حدث عن هشيم وأبي بكر بن عياش وغيرهم[256]، ومنهم أيضا ومن أعيان الصوفية المحدثين في الشام عبد السلام بن محمد بن أبي موسى أبو القاسم المخرمي الصوفي سافر كثيرا ولقي الشيوخ من أهل الحديث والصوفية ورحل إلى مكة وحدث بها عن أبي بكر بن أبي داود وأبي عروبة الحراني وزيد بن عبد العزيز الموصلي وغيرهم، ولقي من شيوخ الصوفية محمد بن علي الكتاني وأبا علي الروذباري ونحوهما وكان شيخ الحرم في وقته جمع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة والفتوة وحسن الخلق وأقام بمكة سنين [257].

ومنهم علي بن بندار بن الحسين أبو الحسن الصيرفي (ت 359هـ/970م) من جلة مشايخ صحب بالشام طاهر المقدسي وأبا عبد الله بن الجلاء وأبا عمر الدمشقي، وكتب الحديث الكثير ورواه [258]، ومنهم أيضا إبراهيم بن محمد الواعظ وكان من وعاظ الصوفية كتب وجمع الكثير وكان عالما بالحديث والرواية [259].

---

[254] ابن عساكر، تاريخ، ج 43، ص 148.

[255] ابن عساكر، تاريخ، ج5، ص105.

[256] ابن كثير، البداية، ج11، ص 12.

[257] ابن عساكر، تاريخ، ج36، ص216.

[258] ابن عساكر، تاريخ، ج41، ص288.

[259] ابن عساكر، تاريخ، ج7، ص 105.

ولم يقتصر علم الحديث وروايته على الرجال بل شاركت النساء بذلك وممن اشتهر من النساء آمنة بنت الحسن بن إسحاق المصري فقد حدثت عن أبيها وقد كان محدثا[260].

6.2.2 المحدثون من أبناء الخلفاء والوزراء والأمراء:

كان هناك من أبناء الخلفاء العباسيين وأحفادهم من اهتم بالحديث وارتحل طلبا له وحدث الناس فكان منهم عبيد الله بن عبد الصمد بن محمد بن المهتدي بالله العباسي حكم من (256-257هـ/ 869-870م)، سمع بدمشق أحمد بن نصر بن شاكر وأحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة وإسماعيل بن محمد بن قيراط والعباس بن الوليد بن مسهر وغيرهم، وأحمد بن خليد بحلب والوليد بن حماد بالرملة ويحيى بن نافع بن حبيب وأحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين بمصر وبكر بن سهل الدمياطي وإسحاق بن إبراهيم بن سنين الختلي ومحمد بن علي بن زيد الصايغ المكي[261].

ويلاحظ اهتمام بعض الأمراء بطلبة الحديث فيروى أن احمد بن طولون اهتم بهم وكان يزورهم ويرسل لهم النفقة [262]، وقد كان من أبنائه من طلاب الحديث النبوي وهو عدنان بن أحمد بن طولون، أبو معد بن الأمير وأخو الأمير، مصري قدم دمشق وحدث بها وبمصر عن الربيع بن سليمان وبكر بن سهل الدمياطي وأبي بكر محمد بن خلف وكيع وأبي أحمد محمد وغيرهم، كتب عنه أبو الحسين الرازي وهارون بن محمد بن هارون بن بجيرة الموصلي وعبيد الله بن محمد بن عابد الخلال وغيرهم[263].

ومن الأمراء محمد بن أحمد أبو عبد الله الواسطي الكاتب ولي إمرة دمشق نيابة عن أبي الجيش خمارويه بن أحمد، وحدث بدمشق عن الهيثم بن سهل وعاصم

---

[260] ابن عساكر، تاريخ، ج 13، ص30.

[261] ابن عساكر، تاريخ، ج 38، ص 9.

[262] ابن عساكر، تاريخ، ج 13، ص 104.

[263] ابن عساكر، تاريخ، ج 40، ص 53.

بن علي، روى عنه أبو سليمان عوف بن إسماعيل بن عوف ومحمد بن حمدون بن خالد البيلي النيسابوري[264].

ومن الأمراء محمد بن طغج بن جف أبو بكر الفرغاني المعروف بالإخشيد حكم من (323-334هـ/ 935-946م)، حدث عن عمه وبدر بن جف، حكى عنه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني وولي دمشق في خلافة المقتدر وولي مصر من قبل القاهر فكانت ولايته على دمشق اثنين وثلاثين يوما دعي له بها ولم يدخلها هذه المرة ثم وليها مرة أخرى من قبل الراضي ودخلها [265].

وقد اهتم الوزراء كذلك في الحديث واشتغلوا به ومنهم علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن وزير المقتدر بالله حكم من (296-320هـ/ 908-932م) والقاهر بالله حكم من (320-322هـ/ 932-934م) وسمع أحمد بن بديل الكوفي والحسن بن محمد الزعفراني وحميد بن الربيع وعمر بن شبة روى عنه ابنه عيسى وسليمان بن أحمد الطبراني وغيرهم، وكان صدوقا دينا فاضلا عفيفا في ولايته محمودا في وزارته كثير البر والمعروف وقراءة القرآن والصلاة والصيام يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم وأصله من الفرس وكان داود جده من دير قنى وكان من وجوه الكتاب وكذلك أبوه عيسى ولم يزل علي بن عيسى من حداثته معروفا بالستر والصيانة والصلاح والديانة وروايته للحديث[266].

ومن الوزراء محمد بن علي بن أحمد بن رستم أبو بكر المادرائي الكاتب، وزر لأبي الجيش خمارويه بن أحمد وقدم معه دمشق وحدث بمصر عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي، روى عنه أبو مسلم محمد بن أحمد بن علي الكاتب البغدادي وأبو محمد الصلحي وأبو عبد الله الحسين بن أحمد المنجم النديم وابنه أبو محمد علي بن محمد المادرائي أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة [267].

---

[264] ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 172.

[265] ابن عساكر، تاريخ، ج 53، ص 285.

[266] ابن عساكر، تاريخ، ج 43، ص 121.

[267] ابن عساكر، تاريخ، ج 54، ص 235.

7.2.2 المحدثون من القضاة:

لقد اهتم القضاة بالإضافة إلى عملهم في القضاء بالحديث النبـوي الـشريف وربما كان السبب في ذلك إن طبيعة عمل القاضي في ذلك الوقت كانـت تقتـضي النظر في الأدلة التفصيلية من القرآن الكريم والحديث النبـوي لاسـتنباط الأحكـام الشرعية والحكم فيها بين الناس، فقد كانت وظيفة القاضي تحـتم عليـه الاجتهـاد أحيانا، لذلك كان الكثير منهم من علماء الحديث النبوي، وكان منهم عبيـد الله بـن محمد بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطـاب أبو بكر العمري القاضي من أهل المدينة ولي القضاء بحمص وقنسرين وأنطاكيـة والثغور الشامية وقدم دمشق أيام ابن طولون ثم ولي قضاء دمشق فـي أيـام أبـي الجيش بن طولون وكان ممن خلع أبا أحمد الموفق بدمشق حدث عن الزبير بن بكار وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح وبكر بن عبد الوهاب وإسماعيل بـن أبـي أويس وعبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد وغيرهم، روى عنه أبو الميمون وعـون بن الحسن بن عون وأبو علي بن شعيب وأبو المسيب محمد بن أحمد بن عبد الواحد وخيثمة بن سليمان وأبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم ومحمد بن عبـد الرحمن بن الحارث الرملي وعبد الله بن الحسين بن جمعة[268].

ومن القضاة المحدثين علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن عمر بن سـعد أبو القاسم النخعي الكوفي(ت 324هـ/936م) المعروف ابن كأس ولـي القـضاء بدمشق وحدث بها وببغداد عن أحمد بن يحيى بن زكريا الأودي وعبد الله بـن روح المدائني وإبراهيم بن إسحاق بن أبي العنبس الزهري والحسن بـن مكـرم البـزاز وغيرهم، روى عنه أبو سليمان بن زبر وأحمد بن عتبة بن مكين وأبو علـي بـن شعيب وأبو الحسن الدارقطني وعلي بن عبد الله بن أحمد بن أبي شعبة وغيـرهم، وكانت وفاته غرقا يوم عاشوراء[269].

ومن القضاة في بلاد الشام محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير أبو طاهر الذهلي البغدادي القاضي (ت 367هـ/978م)، أحد الثقات المكثـرين ولـي

---

[268] ابن عساكر، تاريخ، ج 38، ص 102.

[269] ابن عساكر، تاريخ، ج 43، ص 159.

قضاء دمشق وبغداد وواسط ومصر واستخلف على قضاء دمشق ابن مروان وأبـا الحسن بن حذلم، روى عن أبي غالب علي بن أحمد بن النضر وأبي بكر محمد بن يحيى بن سليمان المروزي وإسحاق بن خالويه البابسيري وغيرهم، سمع منـه أبـو الحسن الدارقطني وقدم دمشق فروى عنه من أهلها تمام بن محمد وعبد الرحمن بن عمر، وصف بأن له أبوة في القضاء شديد المذهب متوسط الفقه على مذهب مالـك وكان له مجلس يجتمع إليه المخالفون ويتناظرون بحضرته وكـان يتوسـط بيـنهم ويكلمهم كلاما سديدا ويجري معهم فيما يجرون فيه على مذهب محمـود وطريقـة حسنة، توفي القاضي أبو طاهر في[270].

ومنهم محمد بن بكار بن يزيد بن بكار بن يزيد بن المرزبان بن مروان بن أوس بن وداعة بن ضمام بن سكسك أبو الحسن السكسكي من أهل بيت لهيا وكان قاضيها روى عن العباس بن الوليد بن مزيد ومحمد بن إسماعيل بن علية وشـعيب بن شعيب ومحمد بن الوليد بن أبان ويزيد بن محمد بن عبد الصمد ونوح بن عمرو بن حوي وشرحبيل بن محمد الداراني وخالد بن روح الثقفي وأبي عتبة الحجـازي وأبي زرعة الدمشقي وبكار بن عقيبة وأبي أمية الطرسوسي وغيرهم[271].

ومن المحدثين القضاة في فلسطين محمد بن خالد بن يحيى بـن محمـد بـن يحيى بن حمزة أبو علي الحضرمي البتلهي قاضي بيت لهيا، حدث عن جده لأمـه أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة ونوح بن عمرو بن حوي، روى عنه القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن ذكوان والكلابي وأبو الحسن علي بن عمرو بـن سـهل الحريري وأبو بكر بن المقرئ وأبو النضر شافع بن محمد الإسفرايني وأبو هاشـم المؤدب وكتب عنه أبو الحسين الرازي [272].

ومنهم إسحاق بن إبراهيم البستي (ت 307هـ/919م) القاضي نـسبه إلـى بسته من أعمال سجستان وله مسند في الحديث [273].

---

[270] ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 62-65.

[271] ابن عساكر، تاريخ، ج 52، ص 157.

[272] ابن عساكر، تاريخ، ج 52، ص 387.

[273] ابن عساكر، تاريخ، ج 8، ص 102.

وكان منهم احمد بن علي المروزي القاضي، حدث في دمـشق وقـد تـولى القضاء نيابة عن قاضيها أبي زرعة وبقي على قضائها عاما[274].

8.2.2 المحدثون من الأدباء و الشعراء:

كان من علماء الحديث شعراء وأدباء وكان شعرهم تقيده الضوابط الإسلامية حتى أن بعضهم انشد الشعر في وصف منهجه في طلب الحديث ومن هؤلاء الخليل بن أحمد بن الخليل القاضي، شيعي وصف بأنه كان من أحسن الناس كلامـا فـي الوعظ والذكر مع تقدمه في الفقه، سمع بالري وبالعراق وبالحجاز ومن شعره فـي وصف منهجه[275]:

سأجعل لي النعمان في الفقه قـدوة	وسفيان في نقـل الأحاديـث سـيدا
وفي ترك ما لم يعنني عن عقيدتي	ســأتبع يعقــوب العــلا ومحمــدا
وأجعل درسي من قراءة عاصـم	وحمـزة بـالتحقيق درسـا مؤكـدا
وأجعل في النحو الكـسائي قـدوة	ومن بعده الفراء ما عـشت سـرمدا
وإن عدت للحـج المبـارك مـرة	جعلت لنفسي كوفـة الخيـر مـشهدا
فهذا اعتقادي وهو ديني ومـذهبي	فمن شـاء فليبـرز ليلقـى موحـدا
ويلقى لسانا مثـل سـيف مهنـد	يفــل إذا لاقــى الحــسام المهنــدا

ولايخفى على القارئ لهذه الأبيات عقيدة الخليل بن احمد القاضي .

وممن جمع موهبة الشعر مع علم الحديث عبد الله بن محمد بن عبد الله بـن يونس بن عبد الله السمناني أبو الحسين من أعيان المحدثين سمع بخراسان وبالعراق وبالشام، توفي أبو الحسين السمناني بعد منصرفه من نيسابور ومن شعره [276]:

---

[274] ابن عساكر، تاريخ، ج 5، ص 55- 58.

[275] ابن عساكر، تاريخ، ج 17، ص 31- 33.

[276] ابن عساكر، تاريخ، ج 32، ص 223.

ترى المرء يهوى أن يطـول بقـاؤه وطول البقا ما لـيس يـشفي لـه

ولو كان في طـول البقـاء صـلاحنا صـــــــــــــــــــدرا

إذا لم يكن إبليس أطولنـا عمـرا

ومن المحدثين الشعراء كان أبو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن راشد البجلي (ت 347هـ/958م) كان من أهل الأدب ويقول الشعر وكان سنه يوم توفي نيف عن الخمس وتسعين وقارب المائة، وكان شيخا جليلا من علماء دمـشق[277].

ومنهم محمد بن عمير أبو علي الزاهي سمع أبا الفـرج سـلامة بـن بحـر القاضي ببيروت وأبا نصر بن أبي الفرج بن أبي الفتح كشاجم بصيدا وأبا الحـسين علي بن أحمد التلعفري بنصيبين وعلي بن محمد السلماسي بميافارقين وأبـا محمـد عبد الله بن محمد بن الفياض، وقد كان من كتاب وشعراء سيف الدولة بحلب، وكان صاحبا للمتنبي وأبا نواس الأنطاكي الشعراء روى عنه أبو منصور الثعالبي ومـن شعر الزاهي[278]:

ريحانة اطلعت فـي غـصنها فحاـت من حسنها مقلة ترنو إلـى الزنـب

فالساق منهـا قـضيب مـن زمـردة والجفن من فضة والعين من ذهـب

9.2.2 المحدثون من الموالي:

استشعر جميع المسلمين المسؤولية تجاه حفظ الحديث النبوي الشريف، فكـان المسلمين على اختلاف اهتماماتهم ووظائفهم قد اهتموا بالحديث النبوي، لذلك نجـد اهتمام الموالي في رواية الحديث.

---

[277] ابن عساكر، تاريخ، ج 35، ص 59.

[278] ابن عساكر، تاريخ، ج 55، ص 3.

وقد كان من الموالي الذين اهتموا بالحديث في بلاد الشام لؤلؤ بن عبد الله أبو محمد القيصري مولى المقتدر بالله سمع بدمشق عبد الله بن محمد بن الحسن بن جمعة والحسن بن حبيب وهشام بن أحمد بن عبد الله بن كثير الدمشقيين وقاسم بن إبراهيم الملطي وإبراهيم بن محمد النصيبي الصوفي وأحمد بن إبراهيم بن غالب البلدي، وروى عنه أبو الحسن علي بن أبي حامد الجرجاني وأبو بكر البرقاني وعلي بن عبد العزيز الطاهري والقاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي وغيرهم[279].

ومن الموالي أيضا محمد بن عبد الصمد بن محمد بن لاو يقال ابن لاوي أبو عبد الله الزرافي الأطرابلسي مولى المقتدر بالله، حدث عن خيثمة بن سليمان وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجرجاني، روى عنه ابنه أبو الحسين عبد السلام بن محمد وأبو عبد الله الصوري وعلي بن محمد الحنائي وأبو زكريا البخاري[280]، ومنهم أبو محمد لؤلؤ الخادم مولى خمارويه بن أحمد بن طولون المصري الذي أقام بدمشق [281].

10.2.2 أشهر من زار بلاد الشام من علماء وأئمة الحديث النبوي:

نظرا لازدهار علم الحديث في بلاد الشام ولما كانت تزخر به من علماء وأئمة الحديث فقد ارتحل إليها طلبة الحديث وزارها وأقام فيها العديد من علماء الحديث.

ومن أئمة الحديث الذين زاروا بلاد الشام وأقاموا فيها أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي البخاري (ت 256هـ /870م) الإمام الفاضل صاحب "الجامع الصحيح " و" التاريخ الكبير"، رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام وبمصر ويروي عن نفسه: " ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب وأنا ابن

---

[279] ابن عساكر، تاريخ، ج 50، ص 333.

[280] ابن عساكر، تاريخ، ج 54، ص 123.

[281] ابن عساكر، تاريخ، ج 50، ص 331.

عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف الداخلي وغيـره ولما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيـع وعرفـت كـلام هؤلاء ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت بها في طلب الحديث فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قـضايا الـصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك أيام عبيد الله ابن موسى وصنفت كتاب " التاريخ " إذ ذاك عند قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الليالي المقمرة وقال كل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب"[282].

وقد امتدح الشعراء صحيح البخاري فهذا أبو عامر الفضل ابـن إسـماعيل الجرجاني الأديب يقول[283]:

صحيح البخاري لـو أنـصفوه لمـــا خـــط إلا بمـــاء الـــذهب
هو الفرق بين الهـدي والعمـى هو الـسد بـين الفتـى والعطـب
أسـانيد مثـل نجـوم الـسماء أمـــام متـــون كمثـــل الـــشهب
بـه قـام ميـزان ديـن النبـي ودان بـــه العجـــم بعـــد العـــرب
حجاب من النـار لا شـك فيـه يميـــز بـــين الرضـــا والغـــضب
وستر رقيـق إلـى المـصطفى ونـــور مبـــين لكـــشف الريـــب
فيـا عالمـا أجمـع العـالمون على فـضل رتبتـه فـي الرتـب
سـبقت الأئمـة فيمـا جمعـت وفـزت علـى رغمهـم بالقـصب
نفيـت الـسقيم مـن النـاقلين ومـــن كـــان متهمـــا بالكـــذب

وكان من أشهر من زار بلاد الشام من الأئمة في العصر العباسـي الثـاني الإمام احمد بن حنبل(ت241هـ/855م) فقد سمع في دمشق وقد كان إمام في الزهد والورع وكان أعلم الناس في مذاهب الصحابة والتابعين[284].

282 ابن عساكر، تاريخ، ج 52، ص 53 – 60.

283 ابن عساكر، تاريخ، ج 52، ص 74.

284 ابن عساكر، تاريخ، ج 5، ص 263.

ومن تلاميذ الإمام البخاري والإمام احمد بن حنبل ومن أعلام علماء الحديث ممن زار بلاد الشام وسمع بها الحديث الإمام مسلم بن الحجاج(ت261هـ ـ/875م) من علماء الناس وأوعية العلم وكان برا [285].

ومن الأئمة الذين زاروا بـلاد الـشام وحـدثوا بهـا أبـو عبـد الـرحمن النسائي(ت303هـ/916م)، القاضي الحافظ الإمام، كان علما من الأعلام، وإمام من أئمة الإسلام وله في معرفة الحديث، قدم حلب وسمع بها أبى العباس الفـضل بـن العباس بن إبراهيم الحلبي وسمع بالمصيصة قاضيها احمد بن عبدالله المصيـصي، ويقال انه رزق الشهادة في أخر عمره[286].

---

[285] ابن عساكر، تاريخ، ج 58، ص 89.

[286] ابن العديم، بغية، ج 2، ص 782-784.

*من علماء الحديث في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني من كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:

المحدث	سيرته	الجزء / الصفحة
محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن موسى أبو عبد الله العبدي البوشنجي.	أحد الأئمة الفقهاء والحفاظ العلماء سمع بدمشق أبا بكر عبد الله بن يزيد المقرئ وسليمان بن عبد الرحمن وحدث عنهم وعن أبي صالح محبوب بن موسى الأنطاكي ويعقوب بن كعب الحلبي وابن مصفى وسليمان بن سلمة الخبائري وأمية بن بسطام وغيرهم.	ج 51، ص203.
محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان أبو بكر المعروف بابن المقرئ الأصبهاني.	أحد المكثرين الرحالين والمحدثين المشهورين، سمع بدمشق أبا بكر بن خريم وأبا سعيد محمد بن أحمد بن عبيد بن فياض وأبا العباس محمد بن صالح بن أبي عصمة وأبوي الحسن محمد بن عون الوحيدي ومحمد ابن أحمد بن عمارة وغيرهم .	ج51، ص 223.
محمد بن إبراهيم بن محمد بن رواحة بن محمد بن النعمان بن بشير أبو معن الأنصاري الصرفندي.	من أهل حصن صرفندة من أعمال صور سمع أبا مسهر بدمشق، روى عنه إبراهيم بن إسحاق بن أبي الدرداء الصرفندي وأبو بكر محمد بن يوسف الهروي.	ج51، ص 232.
محمد بن إبراهيم بن مسلم أبو أمية البغدادي المعروف بالطرسوسي.	سكن طرسوس وقدم دمشق قديما فسمع بها وبحمص من أبي مسهر الغساني وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن وهشام بن خالد ويحيى ابن صالح الوحاظي وعتبة بن سعيد بن الرخص ثم قدمها مرة أخرى وحدث بها وببغداد وطرسوس.	ج51، ص 239.

محمد بن إبراهيم بن مسلم بن البطال أبو عبد الله اليماني .	نزيل المصيصة حدث عن محمد بن عقبة بن علقمة وإسحاق بن وهب العلاف ومحمد بن حميد الرازي واليمان بن سعيد بن خاف ومحمد بن قدامة وأحمد بن يحيى الجلاب ومحمد ابن يحيى الأزدي وغيرهم، قدم دمشق حاجا وحدث بها روى عنه محمد بن سليمان الربعي وأبو حفص عمر بن محمد بن القاسم وإبراهيم بن محمد بن الفتح الجلي المصيصي وأبو العباس أحمد وأبو طالب عبد الله .	ج51، ص 246.
أبو بكر محمد بن إدريس بن الحجاج بن أبي حمادة الأنطاكي.	قدم دمشق وحدث بها عن أحمد بن محمد الرازي البزاز ووصيف خادم المعتضد، روى عنه محمد بن سليمان الربعي.	ج 51، ص 265.
محمد بن بدر بن عبد العزيز أبو بكر المصري.	سكن دمشق وحدث بها وبمصر، يكنى أبا بكر كان أبوه روميا صيرفيا وتفقه على مذهب الكوفيين وجالس أبا جعفر الطحاوي وحدث عن علي بن عبد العزيز بكتاب الغريب لأبي عبيد وعن جماعة من المكيين والمصريين كان ثقة في الحديث.	ج 52، ص 144.
محمد بن بشر بن موسى بن مروان أبو بكر القراطيسي.	أصله من أنطاكية وكان يسكن بدار كعب وحدث عن الحسن بن عرفة ومحمد بن شعبة بن جواه روى عنه القاضي أبو الحسن علي بن الحسن الجراحي ويوسف بن عمر القواس وذكر يوسف أنه سمع .	ج 52، ص 150.
محمد بن بكر بن إلياس بن بيان أبو جعفر	الحافظ المعروف ختن أبي الأذان عمر بن إبراهيم، سمع بدمشق يزيد بن محمد بن عبد	ج 52، ص 160.

الخوارزمي.	الصمد روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة وأبو الشيخ الأصبهانيان.	
محمد بن جعفر بن عبيد الله بن صالح أبو عبد الله الحميري الكلاعي الحمصي.	حدث بأطرابلس عن أبي سهل محمد بن هارون الطرزي وأبي بكر محمد بن عمر بن محمد بن الجعابي وأبي علي يونس بن أحمد بن عبد الرحمن بن يونس الرافقي السراج وأبي الفضل العباس بن القاسم بن المهلب الرقي والحسن بن هاشم الرازي وخيثمة بن سليمان وأبي القاسم الحسن بن علي بن الحسن بن عمرو وأبي طالب محمد بن زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسي روى عنه علي بن محمد الحنائي وأبو عبد الله الصوري وأبو علي الأهوازي وغيرهم.	ج 52، ص 216.
محمد بن الحارث الصيداوي.	حدث عن عمرو بن المبارك البجلي الأصبهاني روى عنه أبو يعقوب إسحاق بن يونس.	ج 52، ص 245.
محمد بن حامد بن السري أبو الحسين البغدادي المروزي يعرف بخال السني.	حدث بدمشق عن نصر بن علي وأبي مسلم عبد الرحمن بن واقد الواقدي وأبي حفص عمرو بن علي الفلاس والعباس بن يزيد البحراني وعمر بن شبة وحفص بن عمر وزكريا بن يحيى السجزي ومحمد بن الربيع بن محمد بن مساور وأبي بكر بن أبي الدنيا روى عنه أبو علي بن آدم وابن أبي عطية وإبراهيم بن أحمد بن عيسون وأبو أحمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الناصح وأبو علي بن شعيب .	ج 52، ص 246.
محمد بن الحسن العماني .	حدث بدمشق.	ج 52، ص 334.

محمد بن الحسين بن موسى بن إسحاق أبو التريك السعدي.	أصله من حمص وسكن طرابلس، روى عن أحمد بن ميمون بن الحكم بن ميمون السروري الصنعاني وعبد العزيز بن بكر بن الشرود اليمانيين وغيرهم.	ج 52، ص 358.
محمد بن خازم بن عبد الله بن ماهان أبو عبد الله البغوي.	حدث بدمشق وأطرابلس عن إبراهيم بن إسماعيل بن زرارة ومحمد بن مشكان وأبي زيد أحمد بن عبد الرحيم الحوطي روى عنه أبو هاشم المؤدب وأبو يعلى عبد الله بن محمد بن حمزة بن أبي كريمة أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي شفاها، حدث بدمشق.	ج 52، ص 378.
محمد بن خريم بن محمد بن عبد الملك العقيلي البزار(ت316هـ/928م).	حدث عن هشام بن عمار، روى عنه عبد الوهاب بن الحسن الكلابي وجماعة غيره.	ج 52، ص398.
محمد بن دلويه بن منصور أبو بكر النيسابوري الفقيه الزاهد.	رحل وسمع بالشام علي بن عياش وأبا اليمان ومحمد بن مصعب القرقساني وآدم أبن أبي إياس ويحيى بن خلف وبالعراق روح بن عبادة وجعفر بن عون وأبا داود الطيالسي وعلي بن قادم .	ج 52، ص 443.
محمد بن سعيد بن عمرو أبي مسعود بن خريم بن أبي يحيى أبو يحيى الخريمي المري .	روى عن هشام بن عمار وهشام بن خالد ودحيم ومؤمل بن إهاب وعبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان وسليمان بن عبد الرحمن وأحمد بن أبي الحواري والقاسم بن عثمان وعباس بن عثمان المعلم ومحمود بن خالد روى عنه أبو علي بن منير وأبو بكر أحمد بن عبد الوهاب بن محمد الصابوني وجمح بن القاسم وأبو أحمد بن عدي وأبو سعيد.	ج 53، ص90.

محمد بن صالح بن عبد الرحمن بن حماد بن سالم المعروف بابن أبي عصمة أبو العباس التميمي .	روى عن أبي عامر موسى بن عامر وهشام بن عمار ومحمد بن الوزير الدمشقي وهشام بن خالد وأبي جعفر محمد بن أبي خالد الفرضي الصوفي ومحمود بن خالد ومحمد بن مصفى الحمصي.	ج 53، ص 269.
محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد أبو الحسين الرازي .	سمع بالري أبا عبد الله محمد بن حفص بن عمر المهرقاني وأبا بكر محمد بن يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن نبهان وأبا عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس وأبا الحسن علي بن الحسين بن الجنيد وأبا محمد عبد الله بن الحسين بن أيوب البيلي ومحمد بن صالح الصيمري .	ج 53، ص 335.
محمد بن عبد الله بن حماد وهو أبو مالك بن مالك بن بسطام بن درهم أبو مالك الأشجعي الحرستاني.	روى عن أبيه روى عنه تمام بن محمد وكتب عنه أبو الحسين محمد بن عبد الله الرازي والد تمام حدث بقرية حرستا .	ج 53، ص 343.
محمد بن عبد الرحمن بن الأشعث بن نافع بن عبد الله أبو بكر الربعي العجلي.	إمام جامع دمشق، روى عن أبي توبة الربيع بن نافع وحجاج بن أبي منيع الرصافي وعبدة صاحب الفزاري والوليد بن الوليد بن القلانسي ومحمد بن بكار بن بلال ومحمد بن المبارك الصوري وغيرهم، روى عنه ابنه غالب بن محمد وأبو عبد الرحمن النسائي في سننه.	ج 54، ص 75.
محمد بن علي بن إسماعيل بن الفضل أبو عبد الله الأبلي.	سمع بدمشق أحمد بن المعلي القاضي وأبا عبد الملك البسري وأحمد بن محمد ابن يحيى بن حمزة وغيرهم، روى عنه أبو الحسن الدارقطني .	ج 54، ص 248.

محمد بن كامـل العمـاني حدث عن أبان بـن يزيـد العطار(ت271هـ/884م).	روى عنه محمد بن زكريا الأضاخي ، وهو من عمان بلد البلقاء من الشام وعاش مائة وعـشرين سنة.	ج 55، ص 115.
محمد بن النعمان بن بشير أبو عبد الله السقطي.	أصله من نيسابور وسكن بيت المقـدس وسـمع بدمشق من القاسم بن يزيد بن عرابـة الكلابـي البصري وصفوان بن صالح وسليمان بن عبـد الرحمن وأبي الجماهر وحدث عنهم وعن عبـد العزيز بن عبد الله الأويسي ونعـيم بـن حمـاد وإسماعيل بن أبي أويس روى عنه أبو الحسن بن جوصا والحسن بن حبيب وأبو بكر بن خزيمـة وأبو سعيد بن الأعرابي وأبو العبـاس الأصـم ومحمد بن يوسف الهروي ومحمد بن عبد الله بن محمد الطائي.	ج 56، ص 129.
محمد بن الوليد بن أبان أبو جعفر الهاشـمي مـولاهم البغـدادي المعـروف بالقلانسي.	حدث بدمشق سنة 263هـ وببغداد عن يزيد بن هارون ومحمد بن يونس اليمامي وجعفـر بـن عون وزيد بن الحباب وإسـحاق بـن منـصور السلولي وروح بن عبادة وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف وهوذة بن خليفة وحماد بن عيسى غريق الجحفة.	ج 56، ص 185.
معاذ بن عفان أبو عثمـان الخواشي.	ساكن هراة قدم دمشق وسمع بها عباس بن الوليد الخلال وهشام بن خالد الأزرق وأحمد بن عبـد الواحد بن عبود ومحمد بـن الـوزير الـسلمي ومحمود بن خالد وبغيرها أحمـد بـن صـالح المصري وأبا الطاهر بن السرح وكثير بن عبيد وعمرو بن عثمان روى عنه أبو إسحاق أحمد بن محمد بن يونس البزاز .	ج 58، ص 463.

مكي بن أحمد بن سعدويه أبو بكر البردعي.	أحد المحدثين المكثرين والرحالين المخلصين سمع بدمشق أحمد بن عمير ومحمد بن يوسف الهروي وبأطرابلس أبا القاسم عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن البزار وببغداد أبا القاسم البغوي وأبا محمد بن صاعد وبغيرها أبا يعلى محمد بن الفضل بن زهير وأبا عروبة ومحمد بن زبان المصري وأبا جعفر الطحاوي وعبد الحكم بن أحمد المصري ومحمد بن أحمد بن رجاء الحنفي ومحمد بن عمير الحنفي بمصر وعرس بن فهد الموصلي روى عنه الأستاذ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه والحاكم أبو عبد الله وأبو الفضل نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب العطار الطوسي .	ج 60، ص 236.
موسى بن الحسن بن عباد بن أبي عباد أبو السري الأنصاري النسائي ثم البغدادي المعروف بالجلاجلي.	سمع بدمشق وغيرها سليمان بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب القرقساني وبالعراق عبد الله بن بكر السهمي وروح بن عبادة وعفان بن مسلم وأبا نعيم الفضل بن دكين والقعنبي وأبا عمر الحوضي وسهل بن بكار روى عنه محمد بن مخلد الدوري وأبو بكر محمد بن جعفر الآدمي القارئ ومحمد بن عمرو بن البختري وأبو بكر بن سلمان النجاد الفقيه الشافعي وإسماعيل بن علي الخطبي وغيرهم.	ج 60، ص 405.
نوح بن عمرو بن نوح بن عمرو بن نافع ويقال نافع بن محصن أبو عبد الله	روى عنه بقية بن الوليد ويزيد بن هارون وسعيد بن مسلمة بن هشام الأموي وعقبة ابن خالد المجدر ومالك بن طوق التغلبي والنضر بن يحيى	ج 62، ص 238.

السكسكي.	أبو مغرور الكلبي روى عنه أبو الدحداح وعمر بن سلمة بن الغمر أبو بكر السكسكي وأبو زرعة الدمشقي وأبو الحسن بن جوصا وإبراهيم بن عبد الرحمن بن إسماعيل الكوفي وأحمد ابـن معلـى القاضي وغيرهم.	
وصيف بن عبـد الله أبـو علـي الرومـي الحـافظ الأشروسني.	قدم دمشق وحدث بها عن أبي يعقوب إسحاق بن العنبر الفارسي وعلي بن سراج وسهل بن صالح وأحمد بن حرب الموصلي ومحفوظ بـن بحـر وأبي علي الحسن بن عبـد الـرحمن الجـزري وسليمان بن عبد الله بن محمد وغيرهم.	ج 63، ص 38.
يحيى بن زكريا بن يحيـى أبو زكريـا النيـسابوري الحافظ الأعـرج ويحيـى يلقب حيوية.	سمع بخراسان قتيبة بن سعيد وإسحاق بن راهويه وعلي بن حجر ويحيى بن موسى البلخي ومحمد بن مشكان وأبا جعفر أحمد بن سعيد بن صـخر الدارمي ويعقوب بن إبراهيم الدورقي والربيع بن سليمان ومحمد بن يحيى الذهلي وأحمد بن الخليل القومسي ومحمد بن معاوية بن مالج ويوسف بن موسى القطان ورحل إلى الشام ومصر وسـمع بدمشق من مشايخ عدة وكان رفيقه أبا بكر محمد بن إسماعيل بن مهران الإسماعيلي وسمع أبـو بكر بانتخابه روى عنه أبو العبـاس الهمـداني الكوفي الحافظ المعروف بابن عقدة .	ج 64، ص 218.
يحيى بن عبد الباقي بـن يحيى بن يزيد بن إبـراهيم بن عبـد الله أبـو القاسـم الأذني.	حدث عن أبيه والعباس بن الوليـد بـن مزيـد وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني وعبد الوهاب بن عبد الرحيم الجوبري ومحمد بن وزير الدمـشقي والمؤمل بن إهاب وأبي عمير عيسى بن محمـد النحاس ويزيد بن خالد بن موهب وعلي بن سهل ومحمد بن مصفى وعمرو بن عثمان ويحيى بن	ج 64، ص 302.

	عثمان الحمصي وحاجب بن سليمان المنبجي .	
أبو صالح المتعبد الذي ينسب إليه المسجد الذي خارج الباب الشرقي.	صحب أبا بكر بن سيد حمدويه وتأدب به وحكى عنه واسم أبو صالح مفلح بن عبد الله روى عنه الموحد بن إسحاق ابن البري.	ج 66، ص 301.
أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن حبيب- ويقال: ابن إبراهيم بن حبيب- بن عيسى، أبو الحسن الهمذاني البغدادي الزراد.	ورد دمشق حاجا، روى عن طاهر بن الفضل، ويعرف بالزراد، كان يسكن باب المحول، وحدث عن طاهر بن الفضل الحلبي، ويوسف بن مسلم المصيصي، وأحمد بن بكر البالسي، روى عنه محمد بن المظفر، والقاضي الجراحي، وأبو الحسن الدارقطني، ومحمد بن نصر بن مكرم وغيرهم.	ج 71، ص 8.
احمد بن إسحاق بن صالح بن عطاء، أبو بكر الوزان.	سمع بدمشق وغيرها، حدث عن مسلم بن إبراهيم الفراهيدي، والربيع بن يحيى الأشناني، وقرة بن حبيب القنوي، وهريم بن عثمان، وخالد بن خداش، وعلي بن المديني، وسعد بن محمد الجرمي، وجندل بن والق وغيرهم، روى عنه محمد بن مخلد العطار، ومحمد بن عمرو الرزاز، وعبد الله بن إسحاق البغوي .	ج 71، ص 34.
أحمد بن خالد أبو العباس الدامغاني نزيل نيسابور.	سمع بدمشق، والحجاز، ومصر، والعراق، وغيرها، كان رحالا، واسع الرحلة، دخل الشام، وسمع بتلّ منس من ناحية حلب المسيب بن واضح السلمي، حدث عن هشام بن عمار .	ج 71، ص 99.
أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة أبو عبد الله الجبلي المعروف بالحوطي.	سمع، وأسمع، روى عن أحمد بن خالد الوهبي، وأحمد بن شبويه المروزي، وإسحاق بن موسى الأنصاري، وجنادة بن مروان الأزدي وغيرهم.	ج 71، ص 288.

إسماعيل بن محمد بن عبيد الله بن قيراط أبو علي العذري الدمشقي.	سمع بمعرة النعمان مالك بن يحيى التنوخي، وبالمصيصة أحمد بن لقيط المصيصي، وروى عنهما وعن هشام بن عمار، وعبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان، وحرملة بن يحيى.	ج 71، ص 313.
جانوش بن بك أبو الحسن الفرغاني.	حدث بدمشق، عن أبي يحيى الفضل بن يحيى الوراق الحميدي، روى عنه أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد.	ج 72، ص 24.
جعفر بن محمد بن سوار بن سنان أبو محمد النيسابوري الحافظ.	سمع قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، وإبراهيم بن يوسف، وعلي بن حجر، وأبا مصعب الزهري، وأبا مروان محمد بن عثمان بن خالد، وغيرهم، حدث عنه: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، والمؤمل بن الحسن، وأبو حامد ابن الشرقي.	ج 72، ص 151.
سهل بن عبد الله بن الفرخان أبو طاهر الأصبهاني العابد .	سمع بدمشق: صفوان بن صالح المؤذن، وهشام بن عمار، وسليمان بن عبد الرحمن، ومحمد بن مصفى، وحرملة بن يحيى، ويزيد بن خالد بن عبد الله بن موهب، والمسيب بن واضح، روى عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن يوسف، ومحمد بن أحمد بن أبي يحيى.	ج 73، ص 13.

3.2 علم الفقه وأصوله:

الفقه في اللغة: العلم والفهم مطلقا، يقال: فقه بكسر القاف وضمها يفقه، أي: علم وفهم ومنه قوله تعالى: " مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ"[287] أي : ما نفهم، وقوله تعالى: " وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" [288] أي : لاتفهمونه، وفي الاصطلاح : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية أو هو مجموعة الأحكام الشرعية العملية المستفادة من أدلتها التفصيلية وبعبارة أخرى هو استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية [289].

ويعرف أيضا بأنه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاه من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة[290]، فكان المقصود به الاعتماد المستقل على البت فيما لم يرد فيه نص صريح من القرآن الكريم أو السنة النبوية من الأمور [291].

ويتناول الفقه جميع المسائل التي تواجه الفرد في مجال حياته الدينية والدنيوية، كالعبادات (الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الاعتكاف، الحج، العمرة، العيدين)، والمعاملات (الزواج، الطلاق، البيع، القروض، الرهن.....الخ)، والعقوبات خاصة القوانين التي تنظم إدارة الدولة وشؤونها[292].

---

[287] سورة هود، آية 91.

[288] سورة الإسراء، آية 44.

[289] سلقيني، أصول، ص 5.

[290] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 445 .

[291] دائرة المعارف، ج25، ص 7860.

[292] التخاينة، الحركة، ص 46.

وخلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري أصبح الفقه أكثر وضـوحا وتميزا فأصبح علما قائما بذاته مستقلا عن بقية العلوم الدينية الأخـرى كالحـديث والتفسير[293]، وكغيره من العلوم الدينية فقد ازدهر علم الفقه في بلاد الشام، إضـافة إلى حاجة الناس إليه في أمور حياتهم ومعاملاتهم اليومية، لذلك برز العلماء وطلابه في علم الفقه.

وقد تميز فقهاء بلاد الشام بسعة الإطلاع لكثرة ترحالهم من أجل طلب العلم مما انعكس بدوره على كثرة المؤلفات في عدة أبواب، وشرح المـصنفات الفقهيـة السابقة، يتضح ذلك من أحد فقهائها وهو ابن القاص أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص الطبري (ت335هـ/947م) الفقيه الشافعي؛ كان إمام وقتـه في طبرستان، وأخذ الفقه عن ابن سريج المقدم ذكره، وصنف كتباً كثيـرة: منهـا "التلخيص"، و"أدب القاضي"، و"المواقيت والمفتـاح"، وغيـر ذلـك، وقـد شـرح "التلخيص" لأبي عبد الله الختن، والشيخ أبو علي السنجي، وهو كتاب صغير ذكـره الغزالي، وجميع تصانيفه صغيرة الحجم كثيرة الفائدة، وكان يعظ الناس، فانتهى في بعض أسفاره إلى طرسوس، وقيل: أنه تولى بها القضاء، فعقد له مجلـس وعـظ، وأدركته رقة وخشية وروعة من ذكر الله تعالى، فخر مغشيا عليه[294].

وقد كان طلبة العلم يتحرون العلماء لأخذ الفقه عنهم فقد كان الحـسين بـن علي النيسابوري يذهب إلى فقيه كرامي بباب معمر يعرف بالولي ويأخذ عنه مـن مسائل الفقه فقال له أبو الحسن الشافعي: " يا أبا علي لا تضيع أيامك ما تصنع فـي الاختلاف إلى الولي وبنيسابور من العلماء والأئمة عدة، فقال له أبوعلي: إلى مـن اختلف، قال: إلى إبراهيم بن أبي طالب، فيقول: فلما رأيت شمائله وسمته وحـسن مذاكرته للحديث حلا في قلبي فكنت اختلف إليه واكتب عنه الامالي "[295].

---

[293] التخاينة، الحركة، ص 48.

[294] ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 68.

[295] ابن عساكر، تاريخ، ج 14، ص 273.

وأما علم أصول الفقه فهو العلم بالقواعد والبحوث التي يتوصـل بهـا إلـى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[296]، وقد اعتبره ابن خلدون من أعظم العلوم الشرعية واجلها قدرا وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الـذي هـو القرآن الكريم ثم السنة النبوية المبينة له[297].

وتنبثق أهمية علم أصول الفقه من أن الفقيه يحاول من خلاله استنباط أحكام الوقائع الحادثة التي لا ذكر لها في كتب الأئمة وذلك بناءا على القواعد التي وضعها أولئك الأئمة، كذلك فإن الفقيه يستطيع من خلاله أن يقارن بين المذاهب الفقهيه في الأحكام الشرعية وذلك باستعراض أراء الأئمة والوقوف على أدلتهم، كـذلك فمـن فوائد هذا العلم حفظ الدين وصون أدلته وحججه وأحكامه مـن تـضليل الملحـدين وتشويه المتحللين [298].

ويلاحظ أن أصول الفقه المتفق عليها ثلاثة: كتاب الله عـز وجـل، وسـنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة[299]، وقد انضوى هذا العلم والتصنيف به تحت علم الفقه لذلك لم يتم العثور في المصادر على الكثير حول هذا العلم.

وممن صنف في علم أصول الفقه من علماء الشام في العصر العباسي الثاني احمد بن محمد أبو العباس الطبري (ت 335هـ/947م) فقيه تولى قضاء طرسوس ومن أشهر مؤلفاته في هذا العلم كتاب " أصول الفقه " [300].

وفي العصر العباسي الثاني اختلط الفقهاء المجتهدون بغيرهم فكان يوجد أهل الاجتهاد المطلق، ولكن غلب التقليد على العلماء ورضوا به خطة لهم، مما أدى إلى

---

[296] سلقيني، أصول، ص 8.

[297] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 452.

[298] سلقيني، أصول، ص 15.

[299] الخوارزمي، مفاتيح، ص 21.

[300] ابن العديم، بغية، ج3، ص1059.

انتشار المذاهب المعروفة في بلاد الشام وانساق فقهاء الشام إلى اتخاذ أصول تلـك المذاهب دوائر حصرت كل طائفة نفسها بداخلها لا تعدوها [301].

وبالرغم من ذلك يرى بعض المؤرخين بان تقـسيم الفقهـاء فـي العـصر العباسي كان على أساس تقسيمهم إلى: أصحاب الرأي وأصحاب الحـديث ضـمن مدارس فقهية أخذت أسماءها من أماكن تواجدها مثل مدرسة المدينة ومدرسة الشام ومدرسة الكوفة، وان المذاهب أخذت بالتبلور في القرن الثالث الهجري ولم تتحـدد بشكل تام إلا في القرن الرابع الهجري وكان الذي كتب له البقاء منها هي المذاهب الأربعة، وذلك من خلال تحديد مؤرخي العصور المتأخرة لاتجاهات الفقهاء خـلال العصرين السابقين مع الإشارة إلى أن العباسيين لـم يحـاولوا تعزيـز أي اتجـاه فقهي[302].

وقد برز في بلاد الشام خلال العصر العباسي الثاني العديد من الفقهاء تـم ذكرهم متتالين حسب الاتجاهات الفقهيه (الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة) التـي حددها لهم أصحاب المؤلفات في العصور اللاحقة لعصرهم فكان منهم من أصحاب الاتجاه الحنفي أبو جعفر الازدي الطحاوي (ت321هـ/933م) كان فقيهـا حنفيـا أصله من طحا قرية من قرى مصر ارتحل إلى الشام وأقام فيها وقـد تـرك عـدة مصنفات منها: كتاب "اختلاف العلماء " و " الـشروط " و " أحكـام القـرآن " و " معاني الآثار" [303]، وكان الطحاوي ابن أخت المزني الفقيه، فقال لـه محمـد بـن الشروطي: " لم خالفت خَالك واخترت مذهب أبي حنيفَة فقال: إني كنت أرى خَـالي يديم النّظر في كتب أبي حنيفَة "[304]، وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر [305].

---

[301] الفاسي، الفكر، ج2، ص 7.

[302] الكساسبة، السلطة، ص 78.

[303] ابن عساكر، تاريخ، ج 5، ص 368.

[304] الادنه وي، طبقات، ص 60.

[305] الفيروزآبادى، البلغة، ص 82.

ومنهم أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز(ت 292هـ/905 م) القاضي بالشام له كتاب "المحاضرة" وكتاب "السجلات" وكتاب " أدب القاضي" وكتاب "الفرائض" [306].

ومن فقهاء بلاد الشام أيضا من أصحاب الاتجاه المالكي محمد بن إبراهيم بن زياد أبو عبد الله الإسكندراني يعرف بابن المواز، مصنف على مذهب مالك بن أنس، روى عنه ابنه أبو القاسم بكر بن محمد بن إبراهيم وأبو الحسن علي بن أبي مطر الأسكندراني، قدم دمشق مع أحمد بن طولون سنة 269هـ/883 م لما قدمها لخلع الموفق، وذكره أبو العباس الوليد بن بكر الأندلسي الحافظ في تسمية الفقهاء من أصحاب مالك فقال: " محمد بن إبراهيم بن المواز أبو عبد الله كان بالإسكندرية تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم واعتمد على أصبغ وهو أجل من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن محمد بن سحنون" [307].

ومنهم القاضي محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير أبو طاهر الذهلي البغدادي ت (367هـ/978 م)، ولي قضاء دمشق وبغداد وواسط ومصر واستخلف على قضاء دمشق ابن مروان وأبا الحسن بن حذلم، وصف بأن له أبوة في القضاء شديد المذهب متوسط الفقه على مذهب مالك وكان له مجلس يجتمع إليه المخالفون ويتناظرون بحضرته وكان يتوسط بينهم ويكلمهم كلاما سديدا ويجري معهم فيما يجرون فيه على مذهب محمود وطريقة حسنة[308].

ومن الفقهاء من أصحاب الاتجاه الشافعي كثير بن عبد الله وقد شهد مسجد دمشق حلقات فقه له, والذي كان احمد بن طولون قد حبسه طوال سبع سنين لتحمسه الشديد لمذهب الشافعي وبعد موت الأمير خرج من السجن فجاء دمشق ونشر مذهبه [309].

---

306 الفاسي، الفكر، ج2، ص 107.

307 ابن عساكر، تاريخ، ج51، ص 197.

308 ابن عساكر، تاريخ، ج 51، ص 62-65.

309 ابيض، التربية، ص 305.

ومنهم أيضا أبو زرعة محمد بن عثمان بن إبراهيم (ت 302هـ /915 م)، الإمام الحافظ الرحالة الثقفي، قاضي الشام ومن أوائل من حكم بمذهب الشافعي بها[310]، وكان يهب لمن يحفظ مختصر المزني مائة دينار، وكان له مال كثير وضياع كبار بالشام[311].

ومن فقهاء الشام الشافعية الفقيه عبيد الله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العمري وقد تولى بعد أبي زرعة على قضاء الشام وكان قد تولى القضاء بحمص وقنسرين وإنطاكية والثغور الشامية، وولي قضاء دمشق في أيام خمارويه بن احمد بن طولون ثم عزله واقره على قضاء الأردن وفلسطين[312].

ومنهم الحسن بن محمد بن عثمان ابن القاضي أبي زرعة، قاضي دمشق وابن قاضيها (ت 327هـ /939 م)، وقد تولى من بعده الفقيه القاضي المرزباني[313]، وقد كان اخو الحسن فقيها قاضيا واسمه الحسين فقيه تولى قضاء دمشق أيضا وكان كبير القدر وكان ينفق على مائدته في الشهر أربع مائة دينار، واتسعت ولايته وجمع القضاء بمصر والشام[314].

ومنهم أيضا الفقيه زكريا بن أحمد بن يحيى بن موسى بن عبد ربه بن سالم البلخي (ت 330هـ /942 م)[315]، كان قاضيا بدمشق وهو من الفقهاء المذكورين من أصحاب الشافعي[316]، وله في الفقه غرائب منها: " إذا ما شرط في القراض أن يعمل المال مع العامل جاز" [317].

---

310 أبو المعالي، ديوان، ج 2، ص 377.

311 الفاسي، الفكر، ج2، ص 154.

312 ابن طولون، قضاة، ص 23.

313 ابن طولون، قضاة، ص 24.

314 ابن طولون، قضاة، ص 28.

315 أبو المعالي، ديوان، ج1، ص 322.

316 ابن عساكر، تاريخ، ج19، ص 59.

317 ابن طولون، قضاة، ص 28.

ومن مشاهير فقهاء الشام الحسن بن حبيب بن عبد الملك الحصائري أبو علي الكردي الدمشقي (ت 338هـ/949م)، شيخ فقيه ثقة، روى كتاب "الأم" للشافعي اشتغل فيه وعرفه، وكان إمام مسجد باب الجابية [318]، وكان منهم محمد بن هاشم بن ميسرة (ت 251هـ/865م)، ولي قضاء الشام في خلافة المتوكل من قبل يحيى بن اكثم بعد عزل إسماعيل بن عبد الله اليشكري، ثم تولى محمد بن هاشم قضاء حمص [319].

ومنهم محمد بن إسماعيل بن إبراهيم السدي (ت 264هـ/878 م)، ولي قضاء دمشق، وتولى من بعده القضاء الفقيه قاضي القضاة أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز (ت292هـ/905 م)، ولما حضره الموت كان يبكي ويقول:" يا رب من القضاء إلى القبر"، أصله من البصرة وأخذ الفقه عن البكير العمي وتفقه عليه أبو جعفر الطحاوي ولي قضاء الشام والكوفة والكرخ وله كتاب "المحاضر والسجلات" وكتاب "أدب القاضي" وكتاب " الفرائض" وكتاب " العلم" وكتاب "الجمعة" و" مسند أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعائشة"، وكان ورعا عالما بمذهب أبي حنيفة وبالفرائض والحساب والقسمة والجبر والمقابلة وحساب الدور وغامض الوصايا والمناسخات [320].

ومن فقهاء الشافعية محمد بن القابس بن محمد الجمحي(ت297هـ/910م)، كان ورعا فاضلا، روي أنه جاءه ابن زنبور الوزير ومعه كيغلغ فجلسا، فقال له الوزير: الأمير كيغلغ جاء في حكومة يشتهي ان تقضي على اختلاف العلماء، فغمض عينيه وقال: لا افتحهما وأنتما جالسان [321].

ومن الفقهاء من أصحاب الاتجاه الحنبلي وممن ارتحل إلى الإمام احمد في العراق إسحاق بن منصور (ت 251هـ/865 م)، وكان من حرصه على مسائل الفقه انه عندما سمع أن الإمام احمد رجع عن بعض المسائل، جمع إسحاق تلك

---

[318] ابن الجزري، غاية، ج1، ص 209.

[319] ابن طولون، قضاة، ص 19.

[320] ابن طولون، قضاة، ص 20- 21.

[321] ابن طولون، قضاة، ص 22.

المسائل في جراب وحملها على ظهره وخرج راحلا إلى بغداد وعـرض خطـوط احمد عليه في كل مسألة استفتاه فيها من قبل فاقر له بها ثانيا [322].

ومنهم احمد بن سلمان المعروف بالنجاد كان فقيها مفتيا، وكان له في جامع المنصور في حلب حلقتان: احدهما للفقه على مذهب ابن حنبل والأخـرى لإمـلاء الحديث، فقد جمع المسند وصنف في السنن كتابا كبيرا وروى عنه الدارقطني وابن شاهين[323]، ومنهم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخِرقي، وفي رواية أخرى هو أبو القاسم الشيخ محمد بن عمر بن الحسين الدمشقي الحنبلي، ومن كبار فقهـاء الحنابلة، قد صنف كتباً كثيرة في مذهبه، والتفسير المشهور بتفسير الخرقي، وكانت وفاته في دمشق سنة 334هـ/946م [324].

وقد برز عدة فقهاء في بلاد الشام وكان لهم اثر في علم الفقـه مـن خـلال حلقات العلم التي كانوا يعقدونها أو المصنفات، ولم يتسنى معرفة الاتجاه الذي كانوا يتبعونه في الفقه، وكان منهم محمد بن نصر الإمام الجليل الحبر أبو عبد الله الحافظ (ت294هـ/907م)، له مصنفات في الفقه[325]، ومنهم احمد بن محمد أبـو العبـاس الطبري فقيه تولى قضاء طرسوس ومن أشهر مؤلفاته: كتاب " التلخيص " وكتاب " أصول الفقه " و" المفتاح" و" أدب القاضي " وكتاب "المواقيت" [326].

5.2 علم الكلام:

وهو عند ابن خلدون علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد[327]، ويتضمن هذا التعريف أن المتكلم يتخذ العقائـد

---

[322] ابن عساكر، تاريخ، ج8، ص285.

[323] ابن العديم، بغية، ج2، ص766.

[324] الادنه وي، طبقات، ص 70.

[325] أبو المعالي، ديوان، ج 4، 211.

[326] ابن العديم، بغية، ج 3، ص 1059.

[327] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 458.

قضايا مسلم بها ثم يستدل عليها بأدلة عقلية حتى وان أمكن الاهتداء إلى هذه العقائد بالعقل مستقلا عنها[328].

ويسمى بأصول الدين أيضا، وسماه أبو حنيفة(ت 150هـ/ 767م): " بالفقه الأكبر" ويسمى أيضا " بعلم النظر والاستدلال وبعلم التوحيد والصفات "[329]، ويقول أبو نصر الفارابي (ت 339هـ/950م)عن علم الكلام: " صناعة الكلام يقتدر بهـا على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل مـا خالفها بالأقاويل"، أما الإمام الغزالي (ت505هـ/1111م) فيقول:" إن مقصود علـم الكلام هو حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تـشويش اهـل البدعـة"، ويقـول التفتازاني:" الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلـة اليقينيـة ومـسائله القـضايا النظرية الشرعية الاعتقادية، وغايته تحلية الإيمان بالإيقان" [330].

وقد اتخذ هذا العلم اسمه من الموضوعات التي عالجها، والتي مـن أبرزهـا وأهمها قضية خلق القرآن وقد دار الخلاف حول القرآن الكريم في السؤال التـالي: أكلام الله هو أم لا ؟ من اجل ذلك عرف هذا العلم باسم "علم الكلام" [331].

وقد نشأ هذا العلم في العصر الأموي ففيه ظهرت أهم الفرق الكلامية وخاصة المعتزلة الذين اعتبروا أصحاب هذا العلم، ومع بداية القرن الرابع الهجري بدأ طور جديد من أطوار علم الكلام يتمثل في ظهور الإمـام أبـي الحـسن الأشـعري (ت 324هـ/936م) [332].

وقد غلب على علم الكلام في القرنين الثالث والرابع البحث في فهم الإيمـان وإدراك مضمون العقيدة وتحديد المعاني الغامضة التي وردت في الكتاب والـسنة:

---

[328] المرزوقي، دراسات، ص 11.

[329] بدوي، مذاهب، ج1، ص 7.

[330] النجار، علم، ص 4.

[331] فروخ، تاريخ الفكر، ص 203.

[332] النجار، علم، ص 27.

الله عز وجل، وصفاته والقدر والعدل الإلهي والوعد والوعيد والنجاة فـي الآخـرة والعقاب والثواب [333].

أما عن أهمية علم الكلام فقد كان الأوائل من الـصحابة والتـابعين لـصفاء عقائدهم بوجود النبي صلى الله عليه وسلم وقرب العهـد بزمانـه ولقلـة الوقـائع والاختلافات، وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين بعـض العلـوم وترتيبها أبوابا وفصولا، وتقرير مقاصدها فروعا وأصولا؛ إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين، وغلب البغي على أئمة الدين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البـدع والأهواء، وكثرت الفتاوى والواقعات، والرجوع إلى العلماء في المهمات، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال، والاجتهاد والاستنباط، وتمهيد القواعد والفصول، وتكثير المسائل بادلتها وإيراد الشبه بأجوبتها وتعيين الأوضاع والاصـطلاحات وتبيـين المـذاهب والاختلافات فظهرت الحاجة إلى علم الكلام [334].

على أن هناك من علماء المسلمين من قلل من أهمية علم الكلام لا بل أنهـم نهوا عنه، فيلاحظ أن ابن الجوزي يذكر أن القدماء من فقهاء هذه الأمة لم يـسكتون عن الكلام عجزا، ولكنهم رأوا فيه انه لا يشفي غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فامسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه حتى قال الشافعي: " لأن يبتلى العبد بكل ما نهى عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام" وقال: " وإذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام لا دين له"، قال: "وحكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام"، وقال احمد بن حنبل: " لا يفلـح صـاحب كلام أبدا، علماء الكلام زنادقة "، ويقول ابن الجوزي: " وكيف لا يذم الكـلام وقـد أفضى بالمعتزلة إلى أنهم قالوا: أن الله عز وجل يعلـم جمـل الأشـياء ولا يعلـم تفاصيلها" [335].

---

[333] بدوي، مذاهب، ج1، ص 14.

[334] بدوي، مذاهب، ج1، ص 28.

[335] ابن الجوزي، تلبيس، ص 86.

وقال ابن عبد البر: " اجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه"[336]، ويلاحظ رأي الفقهاء من خلال قول أبي حنيفة: " لعن الله عمرو بن عبيد (المعتزلي) فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام"، وقال محمد بن الحسن (تلميذ أبي حنيفة):" كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهى عن الكلام" [337].

فقد قوبل علم الكلام في أول أمره بموجة من الاستنكار الشديد من قبل أهل الحديث والفقهاء والصوفية ومن الملاحظ أنهم أطلقوا على علم الكلام وأهله "أصحاب البدع" [338].

وقد ظهر في بلاد الشام عدة علماء اهتموا بعلم الكلام ومن أشهرهم الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر من أشهر المتكلمين من المعتزلة، وكان له مذهب خاص في الاعتزال عرف بالجاحظية، كان منهجه في الكلام يقوم على حرية التفكير والاعتماد على العقل إماما ومعيارا أساسيا في الشرع واستنباط الأحكام والمعتقدات دون الاطمئنان إلى الحديث والنقل على نهج المعتزلة، بل أنه تجاوز ذلك إلى رد الكثير من الأحاديث وهاجم في كتاباته الفقهاء والمفسرين ونقلة الأحاديث كما يلاحظ ذلك بوضوح في كتابه "الحيوان" ففيه الكثير من المقالات التي هاجمهم فيها[339]، ويورد البغدادي بعض من المبادئ التي يرتكز عليها الجاحظ في علم الكلام منها قوله: " أن المعارف كلها طباع وهي مع ذلك فعل للعباد وليست باختيار لهم" كذلك زعمه انه لا يجوز أن يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى والكفار عنده ما بين معاند وعارف قد استغرقه حبه لمذهبه، كذلك قوله: " استحالة عدم الأجسام بعد حدوثها " ويرد عليه البغدادي هنا بان الله سبحانه وتعالى هل يقدر على خلق شيء ولا يقدر

---

[336] النجار، علم، ص 17.

[337] النجار، علم، ص 17.

[338] المرزوقي، دراسات، ص 17.

[339] الربيعي، تاريخ، ص 106.

على إفنائه"، ومن قول الجاحظ أيضا:" أن الله لا يدخل النار أحدا وإنما النار تجـذب أهلها إلى نفسها بطبعها ثم تمسكهم في نفسها على الخلود" [340].

وقد اخذ الجاحظ علمه عن أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي وثمامة بن أشرس النميري المتكلم، وحكى عنه أبو سعيد الحسن بن علي العـدوي[341]، تـوفي وعمره ست وتسعون سنة وكان ينشد [342]:

أترجو أن تكـون وأنـت شـيخ	كمـا قـد كنـت أيـام الـشباب
لقد كذبتك نفـسك لـيس ثـوب	دريـس كالجديـد مـن الثيـاب

ومن علماء الكلام في بـلاد الـشام عبـد الله بـن محمـد أبـو العبـاس (ت293هـ/906م) المعروف بابن شرشير الناشئ الشاعر المتكلم، وهو أبو العباس الناشئ المعتزلي كان متكلما وله تصانيف في علم الكلام[343].

وظهر في بلاد الشام أيضا عبد العزيز بن محمد بن إسـحاق أبـو الحـسن الطبري المعروف بالدمل المتكلم على مذهب الأشعري قـرأ علـى أبـي الحـسن الأشعري، وسمع من محمد بن جرير الطبري تفسيره للقـرآن أو بعـضه، وسـكن دمشق ونشر بها مذهب أهل السنة وله مؤلفات منهـا: كتـاب " رياضـة المبتـدي وبصيرة المستهدي في الرد على الملحدة ومن ضاهاها من المبتدعة " وكتابا في الرد على جعفر بن حرب في نقض مسائلة وتدل مؤلفاته على فضل كثير وعلم غزير[344] .

ومن علماء الكـلام أيـضا فـي بـلاد الـشام أبـو الحـسن البوشـنجي (ت348هـ/959م)، لقي الجاحظ وصحب مشايخ العراق والـشام أكرمـه جميـع

---

[340] البغدادي، الفرق، ص 155.

[341] ابن عساكر، تاريخ، ج45، ص 431.

[342] ابن كثير، البداية، ج11، ص 17.

[343] ابن عساكر، تاريخ، ج 32، ص 386- 390.

[344] ابن عساكر، تاريخ، ج36، ص340.

المشايخ أتقن فنون علم الكلام[345]، ومنهم علي بن عبد الملك بن سليمان بن دهثم أبـو الحسن الطرسوسي، وكان أديبا فصيحا فقيها على مذهب الشافعي وفي الكلام علـى مذهب المعتزلة وكان فصيح اللسان بديع الخـط إلا أنـه كـان متهاونـا بالـسماع والرواية[346].

ومنهم أبو حمزة البغدادي البزاز واسمه محمد بن إبراهيم كان يتكلم ببغـداد في مسجد الرصافة قبل كلامه في مسجد المدينة ثم في المسجد الجامع بدمشق، وكان يسمى بالأستاذ وكان قد تكلم في شئ من علوم الإرادات في المسجد الجامع بدمـشق فسقط عن كرسيه واعتل[347].

وقد كانت مسائل العقيدة هي مادة علم الكلام والعقيدة من العقد وهو الـربط والشد هذا من حيث التصريف اللغوي، أما في الاصطلاح فهو حكم الذهن الجـازم بالاعتقاد بأن الله إله واحد صحيح[348]، ومن المسائل العقدية التي كانت محل اختلاف بين العلماء في بلاد الشام مسألة خلق القرآن فقد كان علماء الشام يـذهبون مـذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ولا يأخذون عمن يزعم خلق القرآن [349].

ومن الفرق الكلامية المخالفة لعقيدة أهل السنة الفرقة الكرامية التي تنسب إلى محمد بن كرام، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صلى الله عليـه وسلم وأصحابه وغيرهم، وهو محمد بن كرام بن عراف بن حزامة بن البراء أبـو عبدالله السجستاني العابد، يقال إنه من بني تراب، وقد سكن بيت المقـدس إلـى أن مات، وقد روى ابن كرام عن علي بن حجرد وعلي بن إسحاق الحنظلي السمرقندي سمع منه التفسير عن محمد بن مروان عن الكلبي وإبراهيم بن يوسـف الماكنـاني وملك بن سليمان الهروي وغيرهم، وذكر الحاكم أنه حبس في حـبس طـاهر بـن عبدالله فلما أطلقه ذهب إلى ثغور الشام ثم عاد إلى نيسابور فحبسه محمد بن طـاهر

---

[345] ابن عساكر، تاريخ، ج41، ص 213.

[346] ابن عساكر، تاريخ، ج43، ص 76.

[347] ابن عساكر، تاريخ، ج51، ص 254.

[348] العثيمين، شرح، ص 26.

[349] ابن عساكر، تاريخ، ج 52، ص 53.

بن عبدالله وأطال في حبسه وكان يتأهب لصلاة الجمعة ويأتي إلى السجان فيقـول: دعني أخرج إلى الجمعة فيمنعه السجان فيقول: " اللهم إنك تعلم أن المنع من غيري "، وقال غيره أقام ببيت المقدس أربع سنين وكان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مشهد عيسى عليه السلام واجتمع عليه خلق كثير ثم تبين لهم أنه يقول إن الأيمـان قول بلا عمل فتركه أهلها ونفاه متوليها إلى غور زغر فمات بها ونقل إلـى بيـت المقدس، وقيل مات في بيت المقدس ليلا ودفن بباب أريحا عند قبور الأنبياء علـيهم السلام وله ببيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفا[350]، ونجـد أن بعـض علماء المسلمين جعلهم من فرق المشبهة [351].

واحدث الكرامية بعد موت معلمهم محمد بن كرام رباطا لهم ببيت المقـدس يسكنون به وكانوا يروون أن الأيمان قول مما يتعارض مع فعلهم فـي الزهـد والتنسك [352].

[350] ابن كثير، البداية، ج11، ص 18.

[351] الخوارزمي، مفاتيح، ص 47؛ البغدادي، الفرق، ص 189.

[352] ابيض، التربية، ص 325.

الفصل الثالث: علوم اللغة العربية وآدابها.

1.3 علوم اللغة:

1.1.3 اللغة:

وهي بيان موضوعات الألفاظ نتيجة دخول الألفاظ الغريبة، فكان سبب ظهور هذا العلم الفساد في اللغة بملابسة العجم ومخالطتهم حتى كان الفساد في موضوعات الألفاظ فقد استعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه[353].

ومما أعطى أهمية للغة العربية نزول القرآن الكريم بها مما اكسبها عمقا وأصالة وانتشارا واسعا فاستحقت بذلك العناية بها وحمايتها من العجمية واللحن والتصحيف والتأثيرات الأجنبية، فتسربت إلى اللغة العربية مفردات أعجمية مما دعى العلماء العرب إلى التصدي لهذه الظاهرة حفاظا على اللغة العربية وصونها من هذه التأثيرات، فبدأ بذلك الاهتمام باللغة العربية وذلك عن طريق توغلهم في شبه الجزيرة العربية، حيث ينابيع اللغة الصافية والمادة اللغوية الفصيحة يجمعونها من

---

[353] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 548.

هنا وهناك حتى لا تفنى اللغة العربية في لغات الشعوب المستعربة، وحتى تسلم بها مقوماتها الأصلية[354].

ونظرا لازدهار علوم اللغة العربية في بلاد الشام فقد زارهـا العديـد مـن علماء اللغة واستقروا بها ومن هؤلاء عمرو بن بحر الجاحظ(ت 255هـ/868 م) والذي اهتم في مصنفاته بعلوم اللغة والبيان ومنهـا اهتمامـه بموضـوع مخـارج الحروف وضرورة أن يكون المتكلم والخطيب ممتلكا للقدرة على إخراج الحـروف من مخارجها الصحيحة وأن لا تكون فيه عيوب في النطق، ويخصص الجاحظ فـي كتابه "البيان والتبيين" فصولا مطولة في بيان محاسن النطق السليم وأثره في نفـس المستمع وعيوبه والإشارة إلى أثره في أذهان المخاطبين[355]، ومن حسن بيانه وصفه اللسان في قوله: " هو أداة يظهر بها البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفـصل الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الأشياء وواعظ ينهى عن القبيح ومعز يرد الأحزان ومعتذر يرفع الـضغينة وملـة يونـق الأسماع وزارع يحدث المودة وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يـستوجب المزيـد ومادح يستحق الزلفة ومؤنس يذهب بالوحشة "[356]، ووصف أبو المعـالي الجـاحظ: "إمام الفصحاء والمتكلمين أبو عثمان الكنـاني الليثـي البـصري، مؤلـف كتـاب "الحيوان"[357].

ويصف الجاحظ إجادته وتمكنه من اللغة فيقول: " لما قرأ المأمون كتبي فـي الإمامة، وجدها على ما أمرته، وصرت إليه، وقد كان أمر اليزيدى بـالنظر فيهـا ليخبره عنها، فقال لي المأمون: قد كان بعض من نرتضى عقله، ونـصدق خبـره، خبرنا عن هذه الكتب، بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة، فقلنا قد تربـى الـصفة علـى العيان، فلما رأيتها، رأيت العيان قد أربى على الصفة، فلما فليتها أربى الفلى علـى العيان، كما أربى العيان على الصفة، وهذه كتب لا يحتاج إلى حضور صاحبها، ولا

354 التخاينة، الحركة، ص 54.

355 الربيعي، تاريخ، ص 51.

356 ابن عساكر، تاريخ، ج45، ص 435.

357 أبو المعالي، ديوان، ج2، ص 65.

تفتقر إلى المخبر عنها، وقد جمع استقصاء المعاني باستقصاء جميع الحقـوق، مـع اللفظ الجزل والمخرج السهل، سوقي، ملوكي، عامي، خاصي" [358].

وقد بين الجاحظ أن البيان جعل على أربعة أقـسام: " لفـظ وخـط وعقـد وإشارة"[359]، وقد ظهر بيان الجاحظ وإجادته فنون اللغة في كتابـه الحيـوان الـذي وصفه بقوله: " نعم الذخر والعقدة هو ونعم الجليس والعدة ونعم النشرة والنزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس لساعة الوحدة ...." [360].

وقد خلف الجاحظ مؤلفات كثيرة جعلها بعضهم ثلاثمائة وستين كتابا، وربمـا أضيف إلى الجاحظ كتب ليست له، وذكرت كتب تكرارا بأسماء مختلفة، على أنـه مهما يكن من شيء فإن آثار الجاحظ في غاية الخصب، ونظرة إلى ما أثبت منها في مقدمة الحيوان، ومعجم الأدباء، تطلعنا على طائفة جليلة، تربو علـى المائـة بـين مؤلف كبير ورسالة صغيرة، عالج فيها مختلف الأغراض والموضوعات فكتب في الأدب والشعر والديانات والعقائد والإمامة والنبوة والمذاهب الفلسفية، وبحث السياسة والاقتصاد وتحصين الأموال، وغش الصناعات، والأخلاق وطبائع الأشياء، وحِيل اللصوص وحيل المكدين وذوي العاهات كالحول والعور والعرجـان والبرصـان، وتكلم على العصبية وتأثير البيئة فكتب فـي القحطانيـة والعدنانيـة والـصرحاء والهجنَاء، والسودان والحمران، والرجال والنساء وفي أي موضع يغلبن ويفـضلن، وفي أي موضع يكن المغلوبات والمفضولات، ونظر في العلوم التاريخية والجغرافية والطبيعية والرياضية فكتب في المدن والأمـصار والمعـادن وجـواهر الأرض، والكيمياء والنبات والحيوان والطب والفلك والموسيقى والغناء، والقيان والمغنـين، وكتب في الجواري والغلمان والعشق والنساء، والنرد والشطرنج، وغير ذلك ممـا يتناول الحياة الاجتماعية والأدبية والعلمية في عصره وقبل عصره[361].

---

[358] ابن النديم، الفهرست، ج 5، ص 209.

[359] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 33.

[360] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 38.

[361] البستاني، أدباء، ص 216.

ونجد ظهور صناعة اللغة في مكاتبات الصوفية فيما بينهم في بـلاد الـشام ومنها ما يرويه أبو الحارث الأولاسي قال: " كتب إلي بعض إخواني أيش تـشتهي من هذه الدنيا فقلت: أشتهي وجها مصفرا وخدا معفرا ودمعا مقطرا وطمرا مـشمرا وعيشا مكدرا وقلبا منورا كالقنديل يزهر وقوتا مقترا قال: فكتب إلي يا أخـي مـا أحسن ما اشتهيت من هذه الدنيا ولكن ما أحسن الليل على الساجد والاتصال بالماجد والزهد على الزاهد أحسن من الحلي على الناهد ثم قال: يا أخي أحفظ الله في خفـي كل نظرة وفتش كل لقمة وزن كل خطوة وانتخب الأحوال وأحب كـل أخ صـحيح المودة ثم قال: يا أخي من عرف الله عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحمق يغدو أو يروح في لاش والعاقل لذنوبه فتاش "[362].

2.1.3 علم النحو:

يعد علم النحو المقدم في علوم اللغة العربية إذ به تتبـين أصـول المقاصـد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة[363].

لقد كان علم النحو أول شيء احتاجوا إليه لضبط القراءة، وقد بعـثهم علـى الإسراع في وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس فـي قـراءة القـرآن الكريم بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق فسمع أبو الأسود الدؤلي رجلا يقـرأ " ان الله بريء من المشركين ورسوله " بخفض رسوله وهي مضمومة، فصنف بـاب العطف والنعت وهو من أسس علم النحو ثم وضع الاعجام لضبط القـراءة، فكـان القرآن الكريم من أهم البواعث على وضع النحو أو الإسراع في وضعه [364].

وقد برز في بلاد الشام العديد من النحاة الذين كان لهم دورا بارزا في هـذا العلم ومنهم احمد بن الحسين الشمشاطي الذي أقام في حلب أيام سيف الدولة وأملى بها وكتب عنه بعض أهل حلب[365].

---

[362] ابن عساكر، تاريخ، ج49، ص 29.

[363] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 545.

[364] زيدان، تاريخ، ج2، ص 12.

[365] ابن العديم، بغية،ج2، ص685.

وكان من علماء النحو في بلاد الشام والذين أهتم بهم سيف الدولة الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي الفارسي الفسوي الإمام العلامـة، قرأ النحو على أبي إسحاق الزجاج، ثم نافره، فقرأ على أبي بكر محمد بن الـسري الزجاج، وأخذ عنه "كتاب" سيبويه، وبرع في النحو، وانتهت إليه رئاسته، وصـحب عضد الدولة، فعظمه وأحسن إليه، ومن إنشاده حين ودع عضد الدولة:

ودعتــه حـــين لا تودعـــه	نفـــس ولكنهـــا تـــسير معـــه
ثـــم تـــولى وفـــي الفـــؤاد لـــه	ضيق مكـان وفـي الـدموع سـعه

ولحق بسيف الدولة فأكرمه، وتعلم منه النحو عدد كثير كابن جنـي، وأبـي الحسن الربعي، وأبي طالب العبدي وغيرهم، وله كتاب " التذكرة " وكتاب " الحجة " في القراءات، وكتاب " الإغفال " وكتاب " الإيضاح والتكملة "، وكان ذا وفر، يقـال أنه أوصى بثلث ماله لنحاة بغداد والقادمين عليها، وكان ذلك ثلاثين ألـف دينـار، روى عنه أنه قال: مـا أعلـم أن لـي سـوي ثـلاث أبيـات فـي الـشيب[366]:

خضبت الشيب لمـا كـان عيبـا	وخضب الـشيب أولـى أن يعابـا
ولم أخضب مخافـة هجـر خـل	ولا عتبـــا خـــشيت ولا عتابـــا
ولكـــن المـــشيب بـــدا ذميمـــا	فـــصيرت الخـــضاب لـــه عقابـــا

ومنهم أيضا أبو محمد العبسمي الثوري النجراني وقد كان مقرئـا وشـاعرا أيضا ومن شعره [367]:

إذا لـــم تكـــن حافظـــا واعيـــا	فعلمـــك فـــي البيـــت لا ينفـــع
وتحضر بالجهـل فـي موضـع	وعلمـك فـي البيـت مـستودع
ومـن يكـن فـي دهـره هكـذا	يكـــن دهـــره القهقـــرى يرجـــع

---

366 الفيروزآبادى، البلغة، ص 108- 109.

367 ابن عساكر، تاريخ، ج27، ص 177.

ومن النحاة في بلاد الـشام هـارون بـن موسـى بـن شـريك الأخفـش (ت292هـ/905 م)، النحوي، القارئ، الدمشقي، أبو عبد الله ، وبه اقتـدى أهـل الشام في القراءة، روى القراءة عنه عدد كثير[368].

ومن النحاة أيضا علي بن سليمان بن الفضل النّحوي أبو الحـسن الأخفـش الأصغر، وكان يضجر كثيرا إذا سئل عن شيء من النحو وكان حافظا للأخبار[369]، أحد الثلاثة المشهورين في النحو وثالث الاخفشين المذكورين قرأ على ثعلب والمبرد واليزيدي وغيرهم، له تصانيف وهي: " شرح كتاب سيبويه " وكتـاب " الأنـواء " وكتاب " التثنية والجمع " وكتاب " المهذب " وكتاب " تفسير رسالة كتاب سيبويه "، وكان ابن الرومي يهجوه كثيرا، دخل حلب سنة 300هـ/913 م وكان ضيق الحال فسأل ابن مقلة أن يكلم الوزير علي بن عيسى في أمره، فكلمـه فـانتهره الـوزير انتهارا شديدا وأجابه بغلظة فِي مجلس حافل؛ فشق على ابن مقلـة ذلـك؛ وانتهـت الحال بالأخفش إلى أن أكل السلجم النيء، فقبض علـى قلبـه فمـات فجـأة سـنة 315هـ/927 م [370]، وكان له شعرا منه[371]:

يا ليتني كنت فيمن كـان شـاهده	إذ ألبـسوه ثيـاب الفرقـة الجـددا
وطيبـوه فمـا ضنـوا بطيـبهم	طيبا لعمـرك لـم تمـدد إليـه يـدا
حتـى إذا صـيروه دون صـفهم	وأيهـم قـارئ صـلى ومـا سـجدا
قالوا وهم عصب يـستغفرون لـه	قـول الأحبـة لا يبعـد وقـد بعـدا

ومن النحـاة فـي بـلاد الـشام عبـد الـرحمن بـن إسـحاق الزجـاجي (ت340هـ/951 م)، أبو القاسم النحوي، تلميذ الشيخ أبي إسحاق الزجاج، قرأ عليه

---

[368] الفيروزآبادى، البلغة، ص 307.

[369] ابن النديم، الفهرست، ج2، ص 91.

[370] السيوطي، بغية، ج 2، ص 167؛ ابن عساكر، تاريخ، ج 41، ص 519؛ الدلجي، الفلاكة، ص 70.

[371] أبو المعالي، ديوان، ج1، ص 49؛ العمري، مسالك، ج7، ص 110.

ونسب إليه، وقرأ أيضا على أبي جعفر بن رستم الطبري، وعلى أبي الحـسن بـن كيسان، وأبي بكر بن السراج، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وأبـي بكـر محمد بن القاسم الأنباري، وأبي موسى الحامض، ومحمد بن العباس اليزيدي، وابن دريد، وغيرهم، ومن تصانيفه: كتاب "الجمل في النحو"، وكتاب " شرح خطبـة أدب الكاتب "، و" شرح أسماء الله الحسنى "، وكتاب" الأمالي"، وكان متـشيعا، مدرسـا بجامع بني أمية بدمشق، كان يغسل مكان درسه لأجل تشيعه وكان حـسن الـشارة، مليح البزة، يذكر الفيروزآبادي أن ا4لزجاجي لما صنف كتابه " الجمل" لـم يـضع مسألة إلا وهو على طهارة، كانت وفاته بطبرية[372].

ومنهم أيضا في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني الحسين بن أحمد بـن خالويه، أبو عبد الله النحوي الهمداني (ت 370هـ/980 م)، الحلبي الـدار، روى عن ابن الأنباري، وأبي بكر بن مجاهد، وابن دريد، ونفطويه، إمام في النحو واللغة، وكان يلقب ذا النورين، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب" الاشتقاق " وكتاب " الجمـل في النحو " وكتاب " أطرغش لغة " وكتاب " القراءات " وكتاب " المبتدي " وكتاب " إعراب ثلاثين سورة من القرآن " وكتاب " المقصور والممدود " وكتـاب المـذكر والمؤنث " وكتاب " الالفات " وكتاب " ليس" [373] و" شرح المقصورة الدريديـة " و" البديع في القرآن الكريم" و" حواشي البديع " في القراءات، و" شرح شعر أبي نواس" ودخل اليمن، ونزل ذمار، وأقام بها، وشرح ديوان ابن الحائك اليمني [374].

ومن النحاة المنافسين لابن خالويه عبد الواحد بن على أبو الطيـب الحلبـي (ت350هـ/961 م)، الإمام ، اللغوي، له التصانيف الجليلة، منها: كتاب " مراتـب النحويين" وكتاب في الإتباع وكتاب " الإبدال " وكتاب " شجر الدر "، وقـد ضـاع

---

[372] الفيروزآبادى، البلغة، ص 180.

[373] ابن النديم، الفهرست، ج2، ص 92.

[374] الفيروزآبادى، البلغة، ص 121؛ ابن الجزري، غاية، ج1، ص 240؛ الـدلجي، الفلاكـة، ص105.

أكثر مصنفاته، وكان بينه وبين ابن خالويه منافسة، فسماه ابـن خالويـه قرموطـه الكبرتل يعني دحروجه الجعل[375].

ومن النحاة المصنفين أيضا في علم النحو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت339هـ/950 م)، من أفاضل النحاة، أصله من نهاوند وتولى التعلـيم في دمشق وطبرية وقد توفي فيها، له من المصنفات كتـاب " القـوافي " وكتـاب " الجمل " وهو أهم مؤلفاته وله شروح منها شرح ابن العريف، وله كتاب " الزاهر " جمع فيه ألفاظ الزاهر الأنباري والفاخر للمضل ابن سلمة مع تنقيح وتهـذيب، ولـه كتاب: الامالي " كتاب في اللغة [376].

2.3 الأدب:

الأدب في اللغة: الدعاء والجمع، ويرى بعض مؤرخي الأدب أن لفظة أدب بوزن فعل لم تستعمل في الجاهلية ، إلا أن المتتبع لأخبار العرب يجدها قد وردت في خطاب النعمان بن المنذر إلى كسرى في قوله:" قد أوفدت إليك، أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهـم ." فالواضـح أنهـا معروفة في اللسان العربي في الجاهلية ، ثم لما جاء الإسلام انتقلـت إلـى معنـى التهذيب والتذليل والتثقيف، أما في الاصطلاح فالأدب هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يراد به التأثير في عواطف القراء والسامعين، شعرا كان أم نثرا، ويـراد بـالأدب العربي مجموع الآثار النثرية والشعرية التي أنتجها العقل العربـي فـي عـصوره المختلفة، ويختلف مؤرخو الأدب العربي في تقسيم عصوره، فهي خمسة عـصور عند بعض المؤرخين الذين يجعلون عصر صدر الإسلام والعصر الأموي عـصرا واحدا، ولعل الشائع عند الدارسين أنها ستة : العـصر الجـاهلي، عـصر صـدر الإسلام، العصر الأموي، العصر العباسي : الأول والثاني والثالث[377].

---

375 الفيروزآبادى، البلغة، ص 190.

376 زيدان، تاريخ، ج2، ص 178.

377 الموسوعة، ج16، ص 205.

1.2.3 النثر:

وهو الكلام غير الموزون، ومنه السجع والمرسل، واستخدم بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات[378]، ومن ابرز فنون النثر الخطابة وهي من الفنون الأدبية الجاهلية التي زادها الإسلام رونقا وبلاغة، وقد أشربت نفوسهم بأسلوب القرآن الكريم بعد إقبالهم على حفظه وتدارسه فارتقى ذوقهم الخطابي بتقليد أسلوبه واقتباس آياته واخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلا وتهديدا، حتى أنهم قد يجعلون الخطبة بمجملها مجموع آيات، وصار المسلمون يسمون الخطبة التي لم تزين بآيات من القرآن بالبتراء أو الشوهاء [379].

وقد كانت عناية الإسلام بالنثر أكبر من عنايته بالشعر، وتأثيره في النثر أعمق، وهذا أمر بدهي، إذ كان النثر أداة الدعوة الأولى، وأداة الإسلام الأولى للتعليم وتوجيه شؤون الجماعة الإسلامية، حين صار للعرب دولة منظمة مهيبة الجانب، ثم أصبح النثر فيما بعد أداة الإسلام في التأليف والتدوين العلمي[380].

وقد بين الجاحظ والذي يعد من أدباء بلاد الشام الذين تمكنوا في فنون النثر في كتابه "البيان والتبيين" سمات الخطباء المجيدين في كلام يظهر فيه إبداع الجاحظ وتمكنه: " ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء مع سماحة التكلف وشنعة التزيد أعذر من عي يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرض لأهل الاعتياد والدربة ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التزيد إلا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الأعرابي القح وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ وفي التحبير والارتجال انه البحر الذي لا ينزح والغمر الذي لا يسبر أيسر من انتحال الحصر المنخوب أنه في مسلاخ التام الموفر والجامع المحكك وان كان رسول الله قد قال: "إياكم والتشادق"، وقال: "أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون"، وقال: "من بدا جفا"، وعاب الفدادين والمتزيدين في جهارة

---

[378] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 567.

[379] زيدان، تاريخ، ص 16.

[380] الموسوعة، ج16، ص 208.

الصوت وانتحال سعة الأشداق ورحب الغلاصم وهدل الشفاه وأعلمنا أن ذلك فـي أهل الوبر أكثر وفي أهل المدر أقل فإذا عاب المدري بأكثر مما عاب به الوبري فما ظنك بالمولد القروي والمتكاف البلدي فالحصر المتكلف والعي المتزيد ألوم من البليغ المتكلف لأكثر مما عنده وهو أعذر لان الشبهة الداخلة عليه اقوي فمن أسوأ حـالا أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشدقين ومن الثرثارين المتفيهقين وممن ذكره النبي نصا وجعل النهي عن مذهبه مفسرا وذكر مقته له وبغضه إياه"[381].

ومن الأدباء في بلاد الشام سلمة بن النجم بن محمد أبـو صـالح البخـاري (ت303هـ/915 م) المعروف بسلمويه الأديب، والمعروف أيضا بالغنجار [382].

ومنهم أحمد بن نصر البازياراني وهو منسوب إلى أحمد بن نصر بن الحسين البازياراني، أبي علي الكاتب كان أبوه من أهل سامراء، وانتقل هو وأهله إلى حلب وسكنها، واتصل بخدمة سيف الدولة، وحظي عنده، ونادمه [383].

ومن مشاهير الأدباء في الشام كما ذكر سابقا عمرو بن بحر الجاحظ، ومـن حسن بيانه وفي النثر وصفه اللسان فقال: "هو أداة يظهر بها البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفصل الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تـدرك بـه الحاجـة وواصف تعرف به الأشياء وواعظ ينهى عن القبيح ومعز يرد الأحـزان ومعتـذر يرفع الضغينة وملة يونق الأسماع وزارع يحدث المودة وحاصد يستأصل العـداوة وشاكر يستوجب المزيد ومادح يستحق الزلفة ومؤنس يذهب بالوحشة "[384].

ومن الأدباء أبن خالويه وهو القائل: "دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان فلما مثلت بين يديه قال لي: اقعد، ولم يقل اجلس، فتبينت بـذلك اعتلاقـه بأهـداب الأدب، واطلاعه على أسرار كلام العرب"، وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختـار عند أهل الأدب أن يقال للقائم: اقعد، وللنائم أو الساجد: اجلس، وعلله بعضهم بـأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل، ولهذا قيل لمـن أصـيب برجلـه مقعـد،

---

381 الجاحظ، البيان، ج1، ص 32.

382 ابن عساكر، تاريخ، ج 22، ص 133.

383 سبط ابن العجمي، كنوز، ج1، ص 506.

384 ابن عساكر، تاريخ، ج45، ص 435.

والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو، ولابن خالويه كتاب كبير في الأدب سماه " كتاب ليس " وهو يدل على اطلاع عظيم، فإن مبنى الكتاب من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا، وله كتاب لطيف سماه "الآل" وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً، وما أقصر فيه، وذكر فيه الأئمـة الاثنـي عشر وتواريخ مواليدهم ووفياتهم وأمهاتهم، والذي دعاه إلى ذكرهم أنه قال في جملة أقسام الآل " وآل محمد بنو هاشم ". وله كتاب " الاشتقاق " وكتاب " الجمـل " فـي النحو، وكتاب " القراءات " وكتاب " إعراب ثلاثين سورة مـن الكتـاب العزيـز " وكتاب " المقصور والممدود " وكتاب " المذكر والمؤنث " وكتاب " الألفات "وكتاب " شرح المقصورة " لابن دريد، وكتاب " الأسد "، وغير ذلك[385].

ومن الأدباء فضل بن محمد بن المسيب بن محمد بن هارون بن يزيـد بـن كيسان بن باذان -وباذان هو ملك اليمن الذي أسلم بكتاب النبـي (صـلى الله عليـه وسلم) - الشعراني النيسابوري وكان يرسل شعره وهو من قرية بيهق وكان أديبـا فقيها عابدا كثير الرحلة في طلب الحديث فهما عارفا بالرجال[386].

وقد اشتهر الكتبة عند الخلفاء والولاة بإجادة اللغة والإنشاء وكان هذا أساس في اختيارهم لهذه الوظيفة يظهر ذلك من خلال رسائلهم ومخاطباتهم ومن ذلك قول محمد بن أبي محمد بن الفياض وهو من كتبة ابن طولون [387]:

" وقد علم الدمستق مواضع سيوفنا منه وأيامنا الماضية معه وأنه ما تحامل إلينـا إلا على ضلع، ولا اقبل حتى رجع، وهانحن ننشده إما القطيعة وإما الوقيعة والسلام" .

ومن النثر أيضا قوله: " وردنا والأرض كأذناب الطواويس، والطير زجلـه كأصوات النواقيس، وقد اهتز الشجر، وكال النبات المطر، والطرف رتع كـالطرف في تلك الميادين، والنسيم قد ضمخ من شذا تلك البساتين، فلم تكن لنا أمنية إلا نراك، ونثري بلقياك سقي ثراك".

---

385 ابن خلكان، وفيات، ج 2، ص 178؛ العمري مسالك، ج7، ص 45.

386 ابن عساكر، تاريخ، ج48، ص 365.

387 العمري، مسالك، ج12، ص 33.

وقد اشتهر بالنثر أيضا أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المعـروف بالببغـاء، وصفه ابن فضل الله العمري بأنه: "رأس الجماعة، ورئيس القوم في البضاعة، مـا قصر في متن تشبيهه عن ابن المعتز، ولا في ديباجة لفظه عن البحتري، ولا فـي إحكام معانيه عن أبي تمام، ولا في كثرة تنويعه عن أبي نواس؛ علم لا يخفى، وقلم لا يحفى، عرش آداب مخضل النبات، مخضر الجنات، رأي المجد هـضبة فأنـاف رأسها، وحلبة فأجرى أفراسها، فطرف بطارفه التّالد، وشـرف بمطارفـه الوالـد، وأحيى شرف مخزوم، وقد فرع عمر عمر وفات خالد "[388].

وقد كان الببغاء من أركان الحياة الأدبية في زمانه، ولكن المؤلفين لم يتحدثوا عنه إلا قليلًا، فكان من نتائج ذلك أن قلت المصادر التي تكفـي لتعيـين اتجاهاتـه الأدبية، وإقلال المؤلفين من الحديث عنه يعين بعض صفاته؛ لأن المؤلفين يهتمون في الأغلب بتقييد ما يصل إليهم من أخبار المشاغبين من الكتاب والشعراء، فـأكثر من عرفت حالهم من رجال الأدب كانوا في حياتهم رجال دسائس ومكائد وسفاهات، وأكثر ما يكونون من طبقات الوزراء أو أمناء الملوك والوزراء[389].

وقد كان الببغاء من كتبة ابن طولون، وأما أسلوب الببغاء فيمثل عصره مـن الوجهة الفنية كما يمثل ميول الكاتب الذوقية والوجدانية، وتمتاز رسـائله برصـانة الأسلوب وجودة الصياغة والقدرة على انتقاء الألفاظ لما يناسبها من معنى، وقد يتفق للببغاء أن يكرر العبارات والألفاظ حين يعاود الكتابة في موضـوع واحـد، وهـو يوشحها بالأشعار على عادة بعض كتاب عصره ومن ذلك قوله يستهدي دواة مـن الأبنوس بآلاتها[390]: " ولعل المولى ينعم بدواة تكون للكتابـة عتـادا، وللخـواطر زنادا؛ جدولية العطفين، هلالية الطرفين، مسكية الجلدة، كافورية الحليـة، فـسيحة الأحشاء، مهفهفة الأعضاء، فهي من لون جلدتها، ووشائع حليتها:

كـ ـشباب مجـ ـاور لمـ ـشيب   أو ظـ ـ ـلام موضـ ـ ـح بنهـ ـ ـار

---

[388] العمري، مسالك، ج12، ص 45.

[389] مبارك، النثر، ص 584.

[390] العمري، مسالك، ج12، ص 48 – 51.

أضمرت آلة النّهى فهـي كالقـلب ومـا تحتويـه كالأفكـار

يقارنها قضبان من ذخائر السحاب، وودائع التّراب؛ كـلّ معـدل الكعـوب، قـويم الأنبوب، باسق الفروع، روي الينبوع، نقي الجسد، نازح العقد، مختلـف الـشيات، متفق الصفات، مما اعتنت الطبيعة بتربيته، وتبارت الديم فـي تغذيتـه، كـالجوهر المصون، واللّؤلؤ المكنون؛ ملتحف الأجساد بمثل خوافي أجنحة الجراد، أولى باليـد من البنان، وآنس بخفي السر من اللسان، مقترن ذلك بمدية لا تفتقر إلى جلب، ذات غرار ماض، وذباب قاض، ومنسر ناوي، وحديد سمائي، وجوهر هوائي، ونصاب زنجي، وحد لجي، معه مقطّ، يرتفع عليه تقديرها وينحطّ، ذو جسد بجراحها مكلوم، وجلد بآثارها موسوم:

وليس ينجـع فيـه ذلـك الألـم ولـيس ينجـع فيـه ذلـك الألـم
كأنّـه وامتهـان القـطّ يزعمـه أنـف الحـسود إذا أرغمنـه الـنّعم

حتى إذا جببت غاربه، وأطلقت مضاربه، انصاع من أصون جفير، وكرع في أعذب غدير، لا ترده غير الأفهام، ولا يمتح بغير أرشية الأقلام، تفيض ينابيع الحكمة مـن أقطاره، وتنشأ سحب البلاغة من قراره، منير مظلم، مشمس معتم ":

يجري وأجزاؤه في الوصـف جامـدة ويستهلّ ومـا تجـري لـه مقـل
إذا الخـواطر حامـت حـول مـورده لم يظمها من قراه العـلّ والنّهـل
كـأن أقلامنـا فيمـا تحملـه إلى القراطيس عن أسرارنا رسـل

وقد برز الببغاء في فن أخر من فنون النثر إلا وهو القـصص، وقـد كـان معروفا بهذا الفن حتى خاطبه الصابي بقوله:

فحوشيت يا قس الطيور فـصاحة إذا انشد المنظوم أو درس القـصص

وقد بقى لنا من قصصه حكاية ذكر الثعالبي أنه لم يسمع أظرف منهـا فـي فنها، ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف، وهي تمثل الحرية التي كان يمرح في ظلالها رجال الأدب في ذلك الحين، ولغة الببغاء في تلك القصة سهلة مقبولة لا يظهر فيها تصنع ولا تكلف، وهو لا يستعمل السجع إلا حيث يقضي السياق بالتأنق والتنميق، فالسجع عنده حلية فنية يلجأ إليها حين يريد تصوير سمة من سـمات الجمـال، أو نزعة من نزعات الوجدان[391] .

2.2.3 **الشعر:**

وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون اوزانه كلها على روي واحـد وهو القافية، ومنه المدح والهجاء والرثاء [392].

لقد تميز الشعر الشامي بالجد فقلما مال الشاعر الشامي إلى الهزل أو المـرح في شعره، ومن سمات الشعر الشامي إعجاب شعرائه ببعض الفنون القديمة كالنسيب القديم كذلك الفخر بالعرب والحماسة كالفروسية ووصف المعارك، ومن سماته أيضا تكلف المعاني البعيدة والغوص فيها، وتكلـف الألفـاظ الغريبـة وتكلـف التـشبيه والاستعارات والبديع [393].

وفي فترة خضوع بلاد الشام لأحمد بن طولون كان هذا الأميـر قـد اهـتم بالشعراء والأدباء، ونقف هنا لنعطي نبذة عن هذا الأمير وهو أبو العباس أحمد بـن طولون، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور؛ كان المعتز بالله قد ولاه مصر، ثم استولى على دمشق والشام أجمع وإنطاكية والثغور في مدة اشتغال الموفق أبـي

---

[391] مبارك، النثر، ص 292.

[392] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 566.

[393] فروخ، تاريخ، ج2، ص 42.

أحمد طلحة بن المتوكل، وكان أحمد عادلاً جواداً شجاعاً متواضعاً حسن السيرة صادق الفراسة، يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه ويحب أهل العلم، وكانت له مائدة يحضرها كل يوم الخاص والعام، وكان له ألف دينار في كل شهر للصدقة، فأتاه وكيله يوماً فقال له: " إني تأتيني المرأة وعليها الإزار وفي يدها خاتم الذهب فتطلب مني، أفأعطيها فقال له: من مد يده إليك فأعطه "، وكان مع ذلك كله طائش السيف، قال القضاعي: " يقال إنه أحصي من قتله ابن طولون صبراً ومن مات في حبسه فكان عددهم ثمانية عشر ألفا، وكان يحفظ القرآن الكريم، ورزق حسن الصوت، وكان من أدرس الناس للقرآن، وبنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة في سنة 259هـ/873 م، وأنفق على عمارته مائة وعشرين ألف دينار، وكان أبوه مملوكاً أهداه نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في جملة رقيق حمله إليه في سنة 200هـ/816 م[394].

وقد اهتم ابن طولون بالشعراء، ومنهم قعدان بن عمرو وهو شاعر كان بدمشق حين قدمها أحمد بن طولون سنة 269هـ/ 882 م لخلع أبي أحمد الموفق وقال قعدان في ذلك[395]:

طال الهدى يا بن طولون الأمير كما ... يزهو به الدين عن دين وإسلام
قاد الجيوش من الفسطاط يقدمها ... منه على الهول ماض غير محجام
في جحفل للمنايا في مقانبه ... مكامن بين رايات وأعلام
تسمو به من بني سام غطارفة ... بيض وسود أسود من بني حام
لو أن روح بني كنداج معلقة ... بالمشتري لم يفته أو ببهرام
حاط الخلافة والدنيا خليفتنا ... بصارم من سيوف الله صمصام
يا أيها الناس هبوا ناصرين له ... مع الإمام بدهم الخيل في اللام
ليست صلاة مصليكم بجائزة ... ولا الصيام بمقبول لصيام
حتى ترى السيد الميمون ذبكم ... عن الإمام بأطراف القنا الدامي

---

[394] ابن خلكان، وفيات، ج1، ص 173.

[395] ابن عساكر، تاريخ، ج49، ص344.

وقال قعدان بن عمرو أيضا:

من مبلغ مضر الشآم وما حـوت — مصر ومن هـو مـتهم أو منجـد
ما بالكم هـضتم جنـاح سـنانكم — بتواكــل مــن فعلكــم لا يحمــد
أنى فكيف يطيـب لا أدري لكـم — خفـض المعيـشة والإمـام مقيـد
في السجن ينشج باكيـا يـدعوكم — للنــصر منــه مذلــة متلــدد
حزنان أفـرد مـن بنيـه وأهلـه — بـأبي وأمـي المستـضام المفـرد

وقد اهتم خمارويه بن احمد بن طولون كذلك بالشعراء من بعد ابيـه فبعـد نزوله القصر وفد إليه الملوك وانتجعته العرب وقصدته الشعراء من جميع الأمصار وقصده الشاعر البحتري فأنشده قصيدته التي يقول فيها[396]:

وقد رأيت جنود النـصر منزلـه — على جنود أبي الجيش ابن طولونا
يــوم الثنيــة إذ يثنــى بكرتــه — في النقع خمسين ألفا أو يزيـدونا

والبحتري هو الوليد بن عبيد، ينتهي بأبيه إلى طيء، وبأمه إلـى شـيبان، ويلقب بالبحتري نسبة إلى بحتر أحد أجداده، ويكنى بأبي عبـادة وأبـي الحـسن، والأولى أشهر، وكانت ولادته في بادية منْبِج وبها نشأ نشأة عربية خالصة، ونظـم الشعر وهو حدث[397]، وقد كان البحتري شاعر سائر القول مفتن في أنـواع الـشعر مغلق تغني شهرته عن الإطناب في وصفه مدح جماعـة مـن الخلفـاء والأمـراء والأكابر وقدم دمشق في صحبة المتوكل وقدمها بآخرة على أبي الجيش خمارويه بن طولون حكى عنه من أهل دمشق أبو الميمون بن راشد ومن غيرهم القاضي أبو عبد المحاملي[398]، وكان من شعره [399]:

---

[396] ابن عساكر، تاريخ، ج 63، ص 190.

[397] البستاني، أدباء، ص 165.

[398] ابن عساكر، تاريخ، ج 63، ص 188.

وإذا دجــت أقلامــه ثــم انتحــت	برقت مصابيح الـدجى فـي كتبـه
بـاللفظ يقـرب فهمـه فـي بعـده	منــا ويبعــد نيلــه فــي قربــه
حكـــم ســـحائبها خـــلال بنانـــه	هطالـــة وقليبهـــا فـــي قلبـــه
كـالروض مختلفـا بحمـرة نـوره	وبياض زهرتـه وخـضرة عـشبه
فكأنهـــا والـــسمع معقـــود بهـــا	شخص الحبيب بـدا لعـين محبـه

وكان للبحتري أشعار كثيرة يذكر فيها حلب ويتغزل بها، وقد أدرك أبو تمام بحمص وعرض عليه شعره في جملة من كان يأتيه لهذا الغرض، فلما سمع أبو تمام قوله اقبل عليه وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال له: أنت أشـعر مـن أنـشدني، وأوصى به أهل معرة النعمان فصار إليهم فأكرموه ووظفوا لـه (4000) درهـم.

واشتهر بعد ذلك حتى أصبح من الطبقة الأولى، ويشبهون شـعره بـسلاسل الذهب لتناسبه وصار بعضهم يفضله على أبي تمام، ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف وجمعه أيضا علي بن حمزة الأصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام وللبحتري أيـضا كتاب حماسة على مثل حماسة أبي تمام وله كتاب " معاني الشعر"[400].

ومن مظاهر اهتمام خمارويه في الشعراء ما ورد أنه وبينمـا: " كـان فـي الصيد على نهر ثورا بدمشق انحدر من الجبل أعرابي عليه كساء فجاء حتى أخـذ بشكيمة لجامه وهو منفرد علي يده بازي فنفر البازي فصاح عليه الغلمان فقال لهم: دعوه فقال له: أيها الملك قف واستمع فقال له: قل فقال:

إن السنان وحـد الـسيف لـو نطقـا	لحدثا عنك بـين النـاس بالعجـب
أفنيـــت مالـــك تعطيـــه وتنهبـــه	يا آفة الفـضة البيـضاء والـذهب

---

[399] المصدر نفسه، ج 63، ص 192.

[400] زيدان، تاريخ، ص 165.

قال: فالتفت أبو الجيش إلى الخادم الذي معه الخريطة فقال: فرغها، وكـان رسم الخريطة خمس مائة دينار ففرغها في كسائه، فقال له: أيها الملك زدني فالتفت إلى الغلمان فقال لهم: اطرحوا سيوفكم ومناطقكم عليه، فطرحوا، فقال له: أيها الملك أثقلتني، فقال: أعطوه بغلا يحمله عليه، فلما انصرف أمر احد من معه أن يعطي كل من طرح سيفه ومنطقته عليه سيفا ومنطقة ذهب "[401]، وقـد كـان مـن شـعراء خمارويه من أهل الشام أيضا إبراهيم أبو إسحاق[402].

وكذلك من الشعراء الذين أقاموا في بلاد الشام وقصدوا بـلاط أبـا الجـيش خمارويه لمدحه الشاعر البحتري[403]، وهو الوليد بن عبيد أبو عبادة، شاعر كبيـر، يقال لشعره: سلاسل الذهب، كانت وفاته بمنبج سنة 284هـ/897 م[404]، وله ديوان شعر مشهور، أصله من منبج وقدم بغداد ومدح المتوكل والرؤساء، وكان شعره في المدح خيرا منه في المراثي فقيل له في ذلك فقال: " المديح للرجاء والمراثي للوفاء وبينهما بعد "، وقد روى شعره المبرد وابن درستويه وابن المرزبان، وقيـل لـه: " إنهم يقولون إنك أشعر من أبي تمام، فقال: لولا أبو تمام ما أكلت الخبز، كـان أبـو تمام أستاذنا "، وقد كان البحتري شاعرا مطيقا فصيحا بليغا رجع إلى بلاده فمات بها في التي ذكرت عن ثمانين سنة [405].

وقد غنى بعضهم الشعر لخمارويه وتكسب به فقد روى أبو علي الحسين بن أحمد المادرائي المعروف بأبي زنبور قال: " كان أبو الجيش خمارويه بن أحمد بـن طولون يتنزه في مرج عذراء بدمشق - وكان أبو زنبور عامل أبي الجيش- قـال: فغنى له المعزفاني في الليل صوتا أبدل منه كلمة والصوت:

قد قلت لما هـاج قلبـي الـذكرى   وأعرضت وسط الـسماء الـشعرى

---

[401] ابن عساكر، تاريخ، ج17، ص 47.

[402] المصدر نفسه، ج7، ص 290.

[403] المصدر نفسه، ج 14، ص 15.

[404] الفيروزآبادى، البلغة، ص 110.

[405] ابن كثير، البداية، ج11، ص 65.

كأنهــا ياقوتـــة فـــي مـــذرى ما أطيـب الليـل بـسر مـن رأى

فجعله المعزفاني ما أطيب الليل بمرج عذرا فأمر له أبو الجيش بمائة ألـف دينار قال أبو زنبور فقلت: أيها الأمير تعطي مغني في بدل كلمة مائة ألـف دينـار وتضايق المعتضد، قال: فقال لي: فكيف أعمل وقد أمرت وليس أرجع فقلـت لـه: تجعلها مائة ألف درهم قال فقال لي: أفعل أطلقها له معجلة يعني المائة الألف درهم وما بقي له يبسطها له في سنين يعني المائة ألف دينار حتى تصير إليه "[406].

كذلك نجد من الأمراء الذين اهتموا بالشعراء أميـر حلـب سـيف الدولـة الحمداني، والذي كان راعياً للفنون والعلماء، وكان قصره موسـم الأدبـاء وحلبـة الشعراء ويقال: إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه مـن شيوخ الشعر ونجوم الدهر فإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها وكان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح بـه، مدحـه الخالـديان بقـصيدة أولها[407]:

تـــصد ودارهـــا صـــدد وتوعـــــــده ولا تعـــــــد
وقـــد قتلتــــه ظالمـــة فـــــلا عقـــــل ولا قــــود

وقد كان يروق كثيرا للأمير سيف الدولة أن يصف الشعراء شـجاعته فـي الحروب فكان هذا الشعور يفضي عليه سمة الفخر والاعتزاز فضلا لما كان يرفع من معنوياته القتالية في ساحات المعارك، وعلى هذا النحو صب معظـم الـشعراء انهار نظمهم بهذا الاتجاه، وقد تمكن سيف الدولة أن يجعل من حلب بيئـة خـصبة للعلوم والآداب والفنون، فقد فتح قصره لكل فنان موهوب وأديـب لامـع وشـاعر عظيم، توافدوا عليه من جميع الأطراف، كان يستمع إلى الكتاب والأدباء والشعراء

---

406 ابن عساكر، تاريخ، ج 17، ص 46- 47.

407 المصدر نفسه، ج43، ص 21 – 22.

بشوق كبير ولهفة بالغة، ولم يكن سيف الدولة يهـتم بالـشعراء بالاسـتماع لهـم وإكرامهم بل كان ينظم الشعر ويعارضهم وينقد شعرهم ومن محاسن شعره :

وساق صبيح للـصبوح دعوتـه فقــام وفــي أجفانــه ســنة الغمــض
يطوف بكاسات العقـار كـأنجم فمــن بــين مــنقض علينــا ومــنفض
وقـد نـشرت أيـدي الجنـوب مطارفـا على الأفق دكنا والحواشي علـى الأرض
يطرزها قوس السحاب بأصـغر على أحمر فـي أخـضر إثـر مبـيض
كأذيال خود أقبلت فـي غلائـل مصبغة والـبعض أقـصر مـن بعـض

وقد تزاحم على باب سيف الدولة الحمداني في حلـب الـشُعراء والعلمـاء والأدباء والمفكرين، ففتح لهم بلاطـه وخزائنـه، وكـان مـن هـؤلاء الـشاعر المعروف المتنبي وابن خالويه النحوي المشهور، فقد أصبحت دولته حلب مقـصدا لكافة العلماء والشعراء العرب في هذه الفترة من حكمه[408].

وقد كان المتنبي من أشهر الشعراء الذين اتصلوا بسيف الدولة الحمداني وهو احمد بن الحسين شاعر حكيم من شعراء العربية الأول ويعد بحق من مفاخر الأدب العربي ومن النقاد من يعده أشعر الإسلاميين[409]، وهو كوفي الأصل، قدم بلاد الشام في صباه وجال في أقطارها، ويروى إن أبا المتنبي كان سقاء بالكوفة، ثم انتقل إلى الشام بولده، ونشأ ولده بالشام، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، وكان من البلغـاء والمطلعين على غريب اللغة، ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، وأما شعره فهو في النهاية، وأعتني العلماء بديوانه فشرحوه، وقـال: أحد المشايخ الذين أخذ عنهم ابن خلكان: " وقفت له (المتنبي) علـى أكثـر مـن أربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات، ولم يفعل هذا بديوان غيره، ولاشك أنه

---

[408] ابن العديم، بغية،ج2، ص639؛ العطار، الدولة، ص2.

[409] المتنبي، ديوان، ص 5.

كان رجلاً مسعوداً، ورزق في شعره السعادة التامة[410]، وقد قال الشعر فـي صـباه ارتجالا ومن ذلك"[411]:

قفا تريـا ودقـي فهاتـا المخايـل	ولا تخـشيا خلفـا لمـا إنـا قائـل
رماني الناس مـن صـائب اسـته	وأخـر قطـن مـن يدسـه الجنـادل
ومن جاهل بي وهو يجهـل جهلـه	ويجهـل علمـي انـه بـي جاهـل
ويجهل أني مالـك الأرض معـسر	واني على ظهـر الـسماكين راجـل

وقد أكثر المتنبي من مدح سيف الدولة وكان من ذلك قوله[412]:

إنا منك بـين فـضائل ومكـارم	ومـن ارتياحـك فـي غمـام دائـم
ومن احتقارك كل ما تحبـو بـه	فيمــا الاحظــه بعينــي حــالم
إن الخليفـة لـم يـسمك سـيفها	حتى بـلاك فكنـت عـين الـصارم

وإما سبب تسميته بالمتنبي وذلك لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة، وتبعـه خلق كثير من بني كلاب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه، وقيل غير ذلك، وهذا أصح، وقيل: إنه قال: " أنا أول من تنبأ بالشعر"، وقد كان سبب ترك المتنبي لبلاط سيف الدولـة الحمداني انه وقع بينه وبين ابن خالويه النحوي كلام، فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه، فشجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه، فغضب وخرج إلى مصر وامتدح فيها كافور الاخشيدي [413].

---

[410] ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 120 – 122.

[411] المتنبي، ديوان، ص 30.

[412] المتنبي، ديوان، ص 225.

[413] ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 122 – 124.

عرف المتنبي حياة الصحراء وأخلاق الأعراب في طليعة صباه حينما كـان يتنقل بين القبائل في بادية الكوفة ليتلقى اللغة من أفواه رجالها، ثم عرف الـصحراء حينما أقام طويلا في بادية السماوة بالشام بين بني كلاب، لذا لم يكن على الصحراء دخيلا، ولم يكن عن عادات الأعراب بعيدا، وعلى الرغم من فترة الـصبا الخـشنة التي عاشها الشاعر فإنه كان طفلا مرحا وثابا يسره كل شيء ويضحكه كل شـيء، ويبدو أنه عندما بدأت أزهار المعرفة تتفتح عنده أو حوله بدأ يختلف إلـى دكـاكين الوراقين أو دكاكين الكتب، يقول حماد الوراق لأبي الحسن العلوي: " لقد كان يتردد على دكاني كل يوم ولكني لم أكسب منه درهما، كان يتناول الكتاب ويجلـس علـى هذه الدكة، فإذا مرت ساعة أو نحوها أعطانيه لأضعه في مكانه، فإذا طلبت منه أن يشتريه أخبرني بأنه حفظه عن ظهر قلب من الدفة إلى الدفة"[414].

وإما ابن خالويه فهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي؛ أصله من همذان ولكنه دخل بغداد ثم انتقل إلى الشام واستوطن حلب، وصـار بهـا أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفـاق، وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه،0 ولابن خالويه مـع أبـي الطيـب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة، ومن شعره[415]:

إذا لم يكن صـدر المجـالس سـيد	فلا خير فيمن صـدرته المجـالس
وكم قائل: ما لـي رأيتـك راجـلاً	فقلت له: من أجـل أنـك فـارس

ومن الشعراء المقربين لسيف الدولة ابن عمه الأمير والشاعر أبـو فـراس الحمداني، وهو الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، من فرسان أسرة بني حمدان وشاعرهم، ولد في الموصل ونشأ يتيما إلا أن ناصر الدولـة صـاحب الموصل، وهو أخ سيف الدولة قتل سعيدا والد أبي فراس، وكفله علي سيف الدولة، وكان له عدد من الإخوة منهم أبي الهيجاء وأبو الفضل الذي اسر معه عند الـروم، وحين استولى سيف الدولة على حلب وأقام دولته فيها انتقل معه أبو فـراس وأمـه

414 الجارم، سر، ص 67-78؛ مطران، أبو الطيب، ص 1140.

415 ابن خلكان، وفيات، ج 2، ص 178؛ العمري مسالك، ج7، ص 45.

وكان عمره آنذاك 30 عاما وقد أوكل سيف الدولة أمره إلى فرسانه لتعليمه أصول الفروسية وفنون القتال وتتلمذ على يدي ابن خالويه الذي كان مؤدبا لبنـي حمـدان وعاش أبو فراس سنوات زاهرة في حلب التي كانت زاخرة بالنشاط العلمي والثقافي ومركزا للإشعاع العلمي ثم انه تمتع بموهبة شعرية فذة صقلها في هذه البيئة مكنتـه من أن يبرز في سماء الشعر إلى جانب ما تميز به من علو همـة وشـجاعة، رأى سيف الدولة في أبي فراس دلائل النجابة والفروسية [416].

ويعد أبو فراس من اشعر زمانه عند أهل الـصنعة ونقـدة الكـلام، وكـان الصاحب بن عباد يقول: " بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرئ القـيس وأبـا فراس "، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراتـه ولا يجترئ على مجاراته، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيبـاً لـه وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً، وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسـن أبـي فـراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته، وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، وفداه سيف الدولـة، ومن شعره [417]:

قد كنت عدتي التـي أسـطو بهـا ... ويدي إذا اشـتد الزمـان وسـاعدي
فرميـت منـك بـضد مـا أملتـه ... والمـرء يـشرق بـالزلال البـارد
فـصبرت كالولـد التقـي لبـره ... أغضى علـى ألـم لـضرب الوالـد

وكان من شعر هذا الأمير الشاعر أبو فراس الحمداني [418]:

خفـض عليـك ولا تبـت قلـق ... الحشا ممـا يكـون وعلـه وعـساه

---

[416] جاسم والزبيدي، اللغة، ص 2.

[417] ابن خلكان، وفيات، ج 2، ص 59 – 63.

[418] ابن عساكر، تاريخ، ج11، ص421- 426.

فالدهر اقصر مـدة ممـا تـرى وعـساك أن تكفـا الـذي تخـشاه

وقد وقع أبو فراس في الأسر ففداه سيف الدولة ويقال إنه أسر مرتين وفـي الثانية ذهبوا به إلى القسطنطينية فأقام ينتظر فداء سيف الدولة لـه بمـال وفيـر أو مبادلة بأسير عظيم وبعد فداء أبي فراس ولاه سيف الدولة حمص، ولـم يلبـث أن توفي وتولى ابنه أبو المعالي، وله في الأسـر قـصائد كثيـرة مـشهورة عرفـت ب"الروميات"، وقد سخر أبو فراس شعره ليتحدث عن مشاعره وأحاسيسه، فقد كان وجدانيا يصف ما يقع تحت بصره من حوادث ووقائع، وما يعتلج في صدره من آلم وآمال.[419]

وذكر ثابت بن سنان أن أبا فراس قتل سنة 350هـ/961 م في حرب كانت بين شريف بن سيف الدولة وبين أبي فراس[420].

ومن شعراء الشام الذين حضروا مجلس سيف الدولة الشاعر احمد بن محمد الدارمي المصيصي كان عالما باللغة والادب صنف كتاب فـي العـروض سـماه "المقنع" وقد ذكر انه من فحول الشعراء ومن خواص شعراء سيف الدولـة وكـان عنده بعد المتنبي في المنزلة، وكان يذكر كثيرا في مدائحه أيام الجاهلية، ويـروى عنه انه أن أراد أن ينظم قصيدة جمع جميع ما للعرب والمحدثين من الشعر علـى وزن تلك القصيدة وجعله من حوله ونظر فيه حتى يقتدح خاطره ويتجاب معانيـه، ومن شعره[421]:

وتزعم أن الشعر عنـدك اعربـت مـحاسنه عـن نـاطق منـك
فما بال شعر النـاس مـلء عيوبـا مـــــــــــــــــعرب
وشعري في الأشعار عنقاء معـرب

[419] جاسم والزبيدي، اللغة، ص3.

[420] ابن عساكر، تاريخ، ج11، ص421- 426.

[421] ابن العديم، بغية،ج3،1083-1085.

وكان الدارمي يلقب بالنامي؛ وكان من الشعراء المفلقين، وكما ذكرنا كان من فحولة شعراء عصره، وله أمال أملاها بحلب روى فيها عن أبي الحسن علـي بـن سليمان الأخفش وابن درستويه وأبي عبد الله الكرماني وأبي بكر الصولي وإبـراهيم بن عبد الرحمن العروضي وأبيه محمد المصيصي، وروى عنه أبو القاسم الحـسين بن علي بن أبي أسامة الحلبي وأخوه أبو الحسين أحمد وأبو الفـرج الببغـاء وأبـو الخطاب ابن عون الحريري وأبو بكر الخالدي، ومن محاسن شعره قوله [422]:

أمير العلا إن العـوالي كواسـب ... علاءك في الدنيا وفـي جنـة الخلـد
يمر عليك الحول، سيفك في الطلى ... وطرفك مـا بـين الـشكيمة واللبـد
ويمضي عليك الدهر، فعالك للعـلا ... وقولــك للتقــوى وكفــك للرفــد

ومن شعره أيضاً:

أحقـــاً أن قـــاتلتي زرود ... وأن عهودهـا تلـك العهـود
وقفت وقد فقـدت الـصبر حتـى ... تبـين مـوقفي أنـي الفقيـد
فـشكت فـي عـذالي فقـالوا ... لرســم الــدار أيكمــا العميــد

وكان له مع المتنبي وقائع ومعارضات في إنشاد الشعر، ويذكر أن المتنبـي كان لا يتقي من شعراء سيف الدولة إلا المصيصي وله يقول[423]:

خذ ما تراه ودع شيئا سـمعت بـه ... في طلعة البدر ما يغنيك عـن زحـل

وروى أبو الخطاب ابن عون الحريري النحوي الشاعر أنه دخل على النامي قال: " فوجدته جالساً ورأسه كالثغامة بياضاً وفيه شعرة واحد سوداء، فقلـت لـه:

---

[422] ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 125.

[423] ابن العديم، بغية، ج 3،1085-1089.

ياسيدي في رأسك شعرة سوداء، فقال: نعم، هذه بقية شبابي وأنا أفرح بها ولي فيها شعر، فقلت: أنشدنيه، فأنشدني[424]:

رأيت في الـرأس شـعرة بقيـت	ســوداء تهــوى العيــون رؤيتهــا
فقلـ ـت للبـ ـيض إذ تروعهـ ـا	بـ ـ ـالله ألا رحمـ ـ ـت غربتهـ ـ ـا
فقل لبـث الـسوداء فـي وطـن	تكــون فيــه البيــضاء ضــرتها

ثم قال: يا أبا الخطاب بيضاء واحدة تروع ألف سوداء، فكيف حال سـوداء بين ألف بيضاء! "، وقد توفي سنة 399هـ/1009 م، بحلب وعمره تسعون سـنة ومن شعره أيضا:

أتاني في قمـيص الـلاذ يـسعى	عـ ـدو لـ ـي يلقـ ـب بالحبيـ ـب
وقـ ـد عبـث الـشراب بمقلتيـه	فـ ـصير خـ ـده كـ ـسنا اللهيـ ـب
فقلت لـه بمـا استحـسنت هـذا	لقـ ـد أقبلــ ـت فـ ـي زي عجيـ ـب
أحمـرة وجنتيـك كـستك هـذا	أم أنــت صــبغته بــدم القــلوب
فقال الراح أهـدت لـي قميـصاً	كلون الـشمس فـي شـفق المغيـب
فثـوبي والمـدام ولـون خـدي	قريـب مـن قريـب مـن قريـب

ومن الشعراء في بلاط سيف الدولة الحمداني أبو نصر الفارابي، وهو محمد بن محمد، مدينته فاراب، وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان، كان ببغداد مدة ثم أنتقل إلى بلاد الشام وأقام بها إلى حين وفاته، وبالإضافة إلى الشعر كانت له قوة في صناعة الطب، وعلم بالأمور الكلية منه[425]، وقدم أبو نصر الفارابي علـى سيف الدولة إلى حلب وأقام في كنفه مدة بزي أهل التصوف وقدمه سـيف الدولـة

[424] ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 126.

[425] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 603.

وأكرمه وعرف موضعه من العلم ومنزلته من الفهم ثم رحل إلى دمشق في سنة 339هـ/950 م [426]، ومن شعره[427]:

علة الأشياء جمعاً والذي   كان به عن فيضه المتفجر
رب السموات الطباق ومركز   في وسطهن من الثرى والأبحر
إني دعوتك مستجيراً   فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
مذنبا   كدر الطبيعة والعناصر عنصري
هذب بفيض منك رب الكل من

ومن شعر أبي نصر الفارابي أيضا:

لما رأيت الزمان نكسا   وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال   وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت   عرضاً به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحاً   لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى   ومن قراقيرها سماع
وأجتني من حديث قوم   قد أقفرت منهم البقاع

وقال أيضاً:

أخي خل حيز ذي باطل   وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار خلود لنا   ولا المرء في الأرض بالمعجز
وهل نحن إلا خطوط وقعن   على كرة وقع مستوفز
ينافس هذا لهذا على   أقل من الكلم الموجز

---

[426] القفطي، أخبار، ص 211.

[427] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 604.

محيط السماوات أولـى بـنـا   فكــم ذا التــزاحم فــي المـركـز

ومن شعراء سيف الدولة محمد بن إسحاق بن أسباط النحوي المصري أبـو النّضر، ممن درس على الزّجاج وأخذ عنه، كان حسن الشعر، وكان يحضر مجلس سيف الدولة مع الأدباء والفضلاء والشعراء، وذكر أن الأبيات التي ينسبها قوم إلـى ابن المغيرة وآخرون إلى أبي نضلة وغيرهم من قديم شعره، وهي[428]:

هـواء ولكنـه سـاكن   ومـاء ولكنـه غيـر جـار
فهذا النهايـة فـي الابيـضاض   وهـذا النهايـةُ فـي الإحمـرار
وما كان فـي الحكـم أن يوجـدا   لفـرط التنـافي وفـرط النِّفـار
ولكــن تجــاور سـطحاهما ال   بـسيطان فاجتمعـا بـالجِوار
كــأنّ المــدير لهــا بــاليمين   إذا طــاف للـسّقي أو باليـسار

1.2.2.3 فنون وأغراض الشعر:

لقد دخل في هذه الفترة إلى الشعر فنون وأغراض لم يألفها من قبل كـالغزل والخمريات والتوفر على الأوصاف الحضرية وإهمال العصبية العربية، وزالت من الشعر المطبوع بالطابع الجديد آثار التقليد للأقدمين والاحترام لهم، وبدأ الابتكار ثـم مات التستر والكناية وظهر مكانهما التصريح وقلة المبالاة [429].

---

[428] القفطي، المحمودون، ص 135.

[429] فروخ، تاريخ الأدب، ج2، ص 40.

وقد تعددت اغراض الشعر في العصر العباسي الثاني في بلاد الشام فكان من أغراضه المدح ويقصد به الثناء الحسن[430]، ويكون بذكر محاسن الممدوح وقد مدح المتنبي والي حلب مساور بن محمد الرومي- كان أحد قواد الإخشيد بعثه مع كافور الخادم لقتال والي حلب وبعدما هزم والي حلب ولى كافور مكانه مساور- بقوله[431]:

امــساور أم قــرن شــمس هــذا   أم ليــث غــاب يقــدم الاســتاذا

ومن شعراء بلاد الشام في العصر العباسي الثاني والذين اشتهروا بالمدح وقـصدوا بلاط الخلفاء والأمراء البحتري، والمعروف أن البحتري كان عربياً من قبيلة طـيء فهو ابن البادية في دور التلمذة الذي قضاه في الشام، وليس من شك في أن نـشأته المبكرة بين البدو في هذه البادية كان لها أثر واضح في اتجاهاتـه الفنيـة، وكـان البحتري ذو ثقافة عربية خالصة انحصرت أو أوشكت أن تنحصر في الثقافة العربية القديمة, وفي شيء يسير من الثقافة الإسلامية الجديدة، ويرى بعـض البـاحثين أن البحتري خلق لنفسه اتجاها يجمع فيه بين القدم والحداثة بشكل أرضى عنـه بعـض النقاد الكبار فقد سجل له الثعالبي دوره في تلك المزاوجة بين التراث والحضارة من خلال وقوفه على روعة معاني أستاذه, على الرغم من صعوبة فنه وتكلفه فيه وهناك من يرى أن البحتري متوسط الموهبة في الإبداع, واستطاع أن يجمع في شعره بين طريقة أستاذه أبي تمام في تصوير المعاني وفي الولوع بتقسيم الكلام و نظم أجزائه, وبين طريقة الأقدمين في وضوح القصد وفي البعد عن التكلف والإيغال والتعـسف في الغوص على المعاني المبتكرة والصور الجديدة، ويرى الأدباء أن البحتري قـد يحتذي حذو أستاذه أبي تمام ويمعن في تقليده, لا من ناحية اللغة العربيـة وآدابهـا فحسب, بل من النواحي العلمية والفلسفية، وقد قرر القدماء من النقاد أن البحتري لم يأخذ من ثقافة عصره, بل كان ذا ثقافة عربية أعرابية فـالبحتري شـاعر بـدوي الهوى و النشأة، و تقلب البحتري في مذهبه الفني فكـان يعتمـد حـذف الغريـب

[430] الرازي، مختار، ص 303.

[431] ابن العديم، زبدة، ص 62.

والوحشي من شعره؛ ليقربه من فهم من يمتدحه[432]، وقد نظم قصيدة طويلة في مدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر- صاحب شرطة بغداد- فقال [433]:

لقـد سـرني أن المكـارم أصـبحت تحط إلى أرض العـراق حمولهـا
مجيء عبيد الله مـن شـرق أرضـه سرى الديمة الوطفاء هبت قبولهـا
مسير يلقـى الأرض منـه ربيعهـا ويـبهج عـن حزنهـا وسـهولها
وأبـيض مـن آل الحـسين يـرده إلى المجد أعـراق مهـدى دليلهـا
أضاءت لنـا بغـداد بعـد ظلامهـا فعاد ضـحى إمـساؤها وأصـيلها
مقامـات حلـم مـا تـوازن قـدرها وساعات جود ما يطـاع عـدولها
كـأنهم عنـد اسـتلام ركابـه عصائب عند البيت حـان قفولهـا
يحلـون مـأمولا مخوفـا لنائـل يواليه أو صولات بـأس يـصولها
أبـا أحمـد والحمـد رهـن مـآثر تؤثلهـا أو عارفـات تنيلهـا

وقد مدح أبو محمد عبد الله بن أحمد السبط الفقيه الشيخ أبا العباس محمد بن يعقوب – من ابرز العلماء - بحضرته في مسجده [434]:

أتيتك من بسطام يـا غايـة المنـى لطيب ذكر منك في النـاس فاسـح
وخلفت فيها أهـل بيتـي وظلتـي وقد ودعـوني بالـدموع الـسوافح
عـشية قرنـت البعيـر وأيقنـوا بـأني بالترحـال غيـر ممـازح
وأني قد أثرت جـوب صحاصـح موصـلة أطرافـا بـصاصح
فقلت لهـم صـبرا فـإني راحـل إلى بلد مـن ارض بـسطام نـازح
فما شغلي غـرس الغـسيل بأيكـه ولا الصفق بالأسواق عند المـذابح

[432] الكعبي، الحركة، ص 2.

[433] ابن عساكر، تاريخ، ج 63، ص 194.

[434] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 295.

ولكن شـغلي جمـع آثـار أحمـد   وعلـم كتـاب كـالمجرة واضـح
سأسمع ممن لـيس يعـرف مثلـه   بـأرض خراسـان ولا بالأبـاطح
علــوم للإمــام الــشافعي فإنهــا   آثـ ــار النبـ ــي المناصـ ــح
وعلم ابن وهب ذي المعالي وبعـده   معاني يحيـى اللـوذعي المنـافح
عن الوحي وحي الله بالحجج التـي   يلــوح مناهــا كــالنجوم اللــوائح
فأمسى وأضحى بالـشريعة مملكـا   ولا خير في غـاد جهـول ورائـح
وبـستان حــي بالـشريعة جاهـل   ومــن هــو يختــصم الــصفايح
وقال علـي قيمـة المـرء علمـه   وذلــك قــول جــامع للنــصايح
أفد وامنح الطـلاب علمـا حويتـه   ولا تـك للطـلاب غيـر مـسامح
وما الفضل إلا لامرئ غيـر مـانع   وما النقص غلا لامرئ غير مـانح
وأنعم وقل أوثبت سـؤلك يـا فتـى   ونلت الأماني من روايـات ناصـح
تجــدني مجــدا قــابلا بفــضلك   مــا دامــت حيــاة جــوارحي
فــإن مــن الآداب حظــي وافــر   تحيش بحار الشعر تحت جـوانحي
إذا أنـا ناديـت القـوافي أطعـت   إلـي كاهطـاع الخيـول لجـوامح
يطعن وما يعصين أمـري كـأنني   حبيب بن أوس عند مدح الجحـاجح

ومن أغراض الشعر في هذا العصر الفخر وهو باب مـن أبـواب الـشعر العربي يعبر عن ميل العرب الفطري إلى الأنفة والكرامة كما يعبر عن ميلهم إلـى السعي نحو الآمال البعيدة والذرى الشامخة[435]، ومن الفخر ما ورد في شعر المتنبي والذي كان صفة مسيطرة وموضوع غالب على شعره والذي ربمـا لخـصه فـي قوله[436]:

أنا الذي نظر الأعمـى إلـى أدبـي   وأسـمعت كلمـاتي مـن بـه صـمم

[435] ناصيف، أروع ما قيل في الفخر، ص 5.
[436] ناصيف، أروع ما قيل في الفخر، ص 64.

ومن أغراض الشعر أيضا التهنئة ومن ذلك قول أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الشاعر المعروف بالببغاء والذي امتاز أسلوبه بالمزج بين النثر والشعر ومن ذلك في التّهاني تهنئة الببغاء لابن طولون بالعام الجديد [437]:

" أسعد الأعوام أطال الله بقاء الأمير ما ألقى عليه سيدنا أيده الله بالمجاورة شعاع سعادته، التي هي حلي الدهور، وغرر الأيام والشّهور، وقد أطلّ هذا الحول السعيد، مبشرا بأكمل مزيد، وأحسن تجديد:

فلا برح الزمان بكلّ سعد	سفيرا بين ملكك والدوام
إذا أفنيت عاما منه أضحى	ضمينا للبقاء بألف عام
فما عرف التّمام الخلق حتّى	ظهرت فصرت حدا للتّمام

كذلك من أغراض الشعر في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني الوصف وقد بين نقاد الشعر العربي أن الوصف يغلب على أبواب الشعر فيقول ابن رشيد: " إن الشعر راجع إلى باب الوصف " وفسروا الوصف في معاجمهم بأنه: " الكشف والإظهار "[438].

وقد اهتم الشعراء بوصف ما رأته أعينهم أو جرى في خواطرهم أو ارتابت فيه عقولهم، ولم يكن الوصف عندهم يأتي عفوا عند المناسبات الطارئة كما كان الحال أوائل العصر الإسلامي لا بل تعمدوا استقصاء الموضوعات الوصفية[439]، ومن القصائد في الوصف قصيدة البحتري في وصف الربيع والتي منها[440]:

أتاك الربيع طلق يختال ضاحكا	من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز في غلس الدجى	أوائل ورد كنا بالأمس نوما

---

[437] العمري، مسالك، ج12، ص 53؛ مبارك، النثر، ص 292.

[438] ناصيف، أروع ما قيل في الوصف، ص 5.

[439] مبارك، النثر، ص 174.

[440] ابن عساكر، تاريخ، ج 63، ص 197.

وقد قال البحتري في وصف الشيب [441]:

إن المـشيب رداء الحلـم والأدب   كما الـشباب رداء اللهـو اللعـب
تعجبت إن رأت شيبي فقلت لهـا   لا تعجبي من يطل به عمر يـشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمـة   وشـيبكن لكـن العيـب فـاكتئبي
فينا لكـن وإن شـئت بـدا أرب   وليس فيكن بعد الـشيب مـن أرب

ومن أبواب الوصف وصف الاعتقاد والمنهج فقد كان بعض الصوفية يصوغ منهجه في أبيات من الشعر وقد كان من هؤلاء يوسف بن الحسين والذي يقـول: " كنت أيام السياحة في أرض الشام أمسك بيدي عكازة مكتوبا عليها[442] :

ســـر فـــي بـــلاد الله ســـياحا   وابـــك علـــى نفـــسك نواحـــا
وامـــش بنـــور الله فـــي أرضـــه   كفـــــى بنـــور الله مـــصباحا

وقد كان من شعراء الصوفية وأعلامهم سري السقطي (ت253هـ/867 م)، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري وأول من تكلم في التوحيـد وحقـائق الأحوال وهو تلميذ معروف الكرخي، وعندما دخل عليه احد اصحابه يعوده فقال له كيف تجدك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبـي مـابي   والـــذي أصـــابني مـــن طبيبـــي

قال صاحبه: فأخذت المروحة لأروح عليه فقال: كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من داخل؟ ثم قال [443]:

---

[441] ابن عساكر، تاريخ، ج 63، ص 201.
[442] ابن عساكر، تاريخ، ج 74، ص 223.

القلب محتـرق والـدمع مـستبق ... والكرب مجتمع والـصبر مفتـرق
كيف القرا على من لا قرار لـه ... مما جناه الهوى والـشوق والقلـق
يا رب إن كان شيء لي به فـرج ... فامنن على به ما دام بـي رمـق

ومن شعراء الصوفية أيضا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن المولد، من كبار مشايخ الرقة، وأحسنهم سيرة، ومن شعره[444]:

لـولا مـدامع عـشاق ولـوعتهم ... لبان في الناس عز المـاء والنـار
فكل نـار فمـن أنفاسـهم قـدحت ... وكل ماء فمن عـين لهـم جـارى

ومن أغراضه أيضا الرثاء ويقصد به نظم الشعر بالميت ومحاسنه[445]، ومن ذلك ما رثى وعزى به حمدون بن إسماعيل (ت254هـ/868 م) إسحاق بن إبراهيم بعبد الله بن طاهر فقال[446]:

لـم تـصب أيهـا الأميـر بعبـد الله ... لكـن بـه أصـيب الأنـام
وسـيكفيكم البكـاء عليـه ... أعـين للمـسلمين والإسـلام

---

[443] ابن كثير، البداية، ج11، ص 12.
[444] ابن الملقن، طبقات، ص 81.
[445] الرازي، مختار، ص 122.
[446] ابن عساكر، تاريخ، ج15، ص 164.

ومن أغراض الشعر الغزل والذي يقوم على وصف محاسن ومفاتن المحبوب وتشبيهه بكل صورة جميلة، ومن شعرائه في بلاد الشام خـلال العـصر العباسـي الثاني مهلهل بن يموت بن المزرع ومن شعره[447]:

جلت محاسـنه عـن كـل تـشبيه — وجل عن واصف في النـاس يحكيـه
انظر إلى حسنه واستغن عن صفتي — سـبحان خالقــه سـبحان باريــه
النرجس الغض والورد الجنـي لـه — والأقحوان النضير النضر فـي فيـه
دعا بألحاظه قلبـي إلـى عطـبـي — فجــاءه مــسرعا طوعــا يفديــه
مثل الفراشة تـأتي إن تـرى لهبـا — إلـى الـسراج فتلقـي نفـسها فيـه

ومن أغراض الشعر في بلاد الشام أيضا الهجاء وهو ضد المدح[448]، ويقـوم على ذكر السخط والاشمئزاز ومنها قول وليدويه يهجو البحتري [449]:

قـل لمـن جاءنـا بنـسبه زور — يـــدعي لأنـــه لبحترطـــي
يتبــازى كأنــه عربـــي — فــإذا مــا امتحنــت لــيس بــشئ
قد تعـدى وجـاء أمـرا فريـا — كيــف ينــساغ ذا لــه يــا أخــي
إن يجوز الـذي ادعيـت فـإنني — قائـل فـي غـد أبـي مـن لـؤي

كذلك يورد ابن العديم أن سيف الدولة كان يغري الشعراء لهجـاء المتنبـي والذي لا يرد عليهم في الغالب ترفعا، ومن ذلك أن الشاعر النامي هجـى المتنبـي بقوله:

---

447 ابن عساكر، تاريخ، ج 61، ص 306.

448 الرازي، مختار، ص 337.

449 ابن عساكر، تاريخ، ج 63، ص 204.

قد صح شعرك والنبوة لم تصح
فـدع النبـوة لا أبـا لـك واسـترح
واربح دما أصـبحت توجـب سـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـفكه
إن الممتــع بالحيــاة لمــن ربــح

فأجابه أبو الطيب فقال:

نار النبوة من زنـادي تقتـدح
يغدو علي من المهـا مـا لـم يـرح
أمري الي فان سمحت بمهجـه
كرمت علي فإن مثلـي مـن سـمح

فقال له النامي:

اطللت يا أيهـا الـشقي دمـك
لا رحـــم الله روح مـــن رحمـــك
اقسم لو اقـسم الأميـر علـى
قتلــك قبــل العــشاء مــا ظلمــك

فأجابه المتنبي فقال:

ايهم أتاك الحمـام فاصـطلمك
غيـر سـفيه عليـك مـن شـتمك
فاخسأ ملوما واربع على ظلـع
والطــخ فيمــا بـين اليتيـك فمـك

وقد عيب على المتنبي الفحش المستقبح في الهجاء والذي يعتبر ضعفا فـي الهجـاء كما في قصيدته التي يهجو فيها ضبة[450].

وقد غلب الهجاء على شعر بعض الشعراء حتى اشتهر به وكان مـن بـين هؤلاء علي بن الجهم (ت 249هـ/863 م)- هو علي بن الجهم بن بدر كنيته أبـو الحسن وأصله من خراسان، سليل لأسرة عربية متحدرة من قريش أكسبته فـصاحة لسان وأحاطت موهبته الشعرية بالرازنة والقوة - وكان شاعراً مفلقاً، يضع لـسانه

---

[450] ابن العديم، بغية، ج10، ص 4422.

حيث يشاء، وكان هجاءا، فأولع بآل طاهر يهجوهم وينسبهم إلـى الـرفض، فممـا عرض به قوله وهو محبوس:

تضافرت الروافض والنـصارى وأهــل الاعتــزال علــى هجــائي
وعــابوني ومــا ذنبــي إلــيهم ســوى بــصري بــأولاد الزنــاءِ

وإنما عني بالروافض الطاهريين، وبأهل الاعتزال بنـي داود، وبالنـصارى بختيشوع بن جبريل، فإنه كان يعاديه، ووجد عليه طاهر من ذلك، فما زالوا يكاتبون المتوكل في أمره ويحتالون، حتى أخرج إلى خراسان، وله من الشعر فـي المـدح أيضا[451] :

إذا نحـن شـبهناك بالبـدر طالعـاً بخسناك حظاً أنـت أبهـى وأكمـل
ونظلم إن قسناك بالليث في الـوغى فإنــك أحمــى لــذمار وأبــسل
فلا عرف إلا قـد تجـاوزت حـده ولا بحر إلا سـيب كفـك أفـضل

وقد بلغ علي بن الجهم مبلغا بعيدا في الهجاء حتـى تـأثر شـعره بـالآراء السياسية فيلاحظ أن علي بن الجهم وهو احد الشعراء المـشهورين وأهـل الديانـة المعتبرين وله ديوان شعر فيه أشعار حسنة، لكنه تحامل على علي بن أبي طالـب رضي الله عنه، وكان له خصوصية بالمتوكل ثم غضب عليه فنفاه إلـى خراسـان، وأمر نائبه بها أن يضربه مجردا، ففعل به ذلك وقد هجى مروان بن حفصة بقوله:

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر وهذا على بعـده يـدعى الـشعرا
ولكن أبى وقد كان جـارا لامـه فلما ادعى الأشعار أوهمنـي امـرا

[451] ابن المعتز، طبقات، ص 319.

ولما جاور علي بن الجهم حلب ثار عليه أناس من بني كلب فقاتلهم فجـرح جرحا بليغا، فكان فيه حتفه، وكان ذلك سنة تسع وأربعين ومائتين، ووجد في ثيابـه رقعة مكتوب فيها[452]:

يا رحمتا للغريـب بالبلـد النـا	زح مـ ـاذا بنفـ ـسه صنـ ـنعا
فـارق أحبابـه فمـا انتفعـوا	بـ ـالعيش بعـ ـده ومـ ـا انتفعـ ـا

2.2.2.3 النقد والمساجلات الشعرية:

لقد ظهرت فئة من الشعراء انتقدوا الشعر وروايته، بعدما كانوا ينقلونه سابقا بلا تمحيص، فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه وأساليبه بعـين النقد، ولا سيما بعد اطلاعهم على كتاب أرسطو في نقد الشعر الذي نقله أبو بـشر من السريانية إلى العربية [453].

وقد كانت تدور بين الشعراء في الشام المساجلات والمفاكهات الشعرية فكان ممن اشتهر بذلك احمد بن محمد المدبر(ت271هـ/884 م) الذي كان قد ولي على المساحة في دمشق وقد كان أديبا شاعرا ومن شعره:

ولـ ـي نفـ ـس تنفـ ـسها اشـ ـتياق	وعـ ـين قـ ـبض عبرتهـ ـا الـ ـدماء
وليلـ ـي والنهـ ـار علـ ـي ممـ ـا	أماسـ ـي فيهمـ ـا أبـ ـدا سـ ـواء

وكان إذا مدحه شاعر لم يرض شعره قال لغلامه: " أمض به إلى المـسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله، فجافاه الشعراء إلا المفرد المجيد، فجاءه الجمل الشاعر وهو الحسين بن عبد السلام (شاعر مصري) فاسـتأذنه فـي النشيد فقال له المدبر: " قد عرفت الشرط، قال: نعم، قال: فهات، فأنشده:

---

[452] ابن كثير، البداية، ج 11، ص 4.

[453] زيدان، تاريخ، ص 161.

أردنــا فــي أبــي حــسن مــديحا كمــا بالمــدح ينتجــع الــولاة
فقلنــا أكــرم الثقلــين طــرا ومــن كفــاه دجلــة والفــرات
وقــالوا يقبــل المــدحات لكــن جــوائزه علــيهن الــصلات
فقلــت لهــم ومــا يغنــي عيــالي صــلاتي إنمــا الــشأن الزكــاة
فيــأمر لــي بكــسر الــصاد منهــا فتصبح لي الصلات هــي الــصلاة

فضحك المدبر وقال: من أين لك هذا ؟ قال: من قول أبي تمام:

هن الحمام فــان كــسرت عيافــة مــن حــائهن فــإنهن حمــام

فاستظرفه ووصله[454].

وأما الشاعر الجمل فقد كان شاعرا مغلقا وقد مدح عبدالله بن طاهر عنـدما قدم مصر وعرف عنه الهجاء أيضا وكان من أهل الأدب[455]، وكـان ممـن قـدم على أحمد بن المدبر أيضا بدمشق عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن فأقام ببابه لا يصل إليه فكتب إليه رقعة فيها :

سبحان من جعل الآداب في عصب حظا وصيرها غيظـا علـى عـصب
إنـــي ببابـــك لا ود يقربنـــي ولا أبــي شــافع عنــدي ولا نــسبي
إن كان عرفك مذخورا لذي نسب فاشــدد يــديك علــى حــر حــسب
إني امرؤ محتـدي فـي ذروتـي شـــــــــــــــــرف لقيــصر ولكــسرى محتــدى وأبــي
فإن تجد تجد النعما وتحـظ بهـا وإن تضق لا يضق في الأرض مطلبي
حرف أمون ورأي غير مـشترك وصارم من سيوف الهنـد ذو شـطب

454 ابن عساكر، تاريخ، ج5، ص390- 393؛ فروخ، تاريخ الأدب، ج2، ص 319.
455 ابن عساكر، تاريخ، ج14، ص 95- 98.

فلما قرأها استحسنها وقال لا بد لي من التولع به فقال لأحدهم: أوصل إليـه رقعتي هذه فإذا قرأها فعده عني بما يحب وأدخله إلي وكتب في رقعة:

مـا عنـدنا شـيئ فنعطيـه	ولا يفـي الـشكر شـكريه
فإن رضي بالـشعر مـن شـعره	عارضـت فـي حـسن قوافيـه
وإن يـك تقنعـه دعـوة	دعـوت ربـي أن يعافيـه
وإن رضي ميـسور مـا عنـدنا	أمـرت نجحـا أنـا يغنيـه

فلما وصلته وقرأها قال والله لأجعلن أمة حقا ثم أدخل إلى أحمد فأقام عنـده ووصله وأحسن إليه [456].

3.2.2.3 عامة الشعراء:

ظهر في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني العديد من الشعراء الذين كان لهم دور بارز في تطور الحياة العلمية والثقافية يلحظ ذلك من خلال تصنيف هؤلاء الشعراء في عدة علوم ومنهم عبد الله بن محمد الناشئ (ت293هـ/906م)الـشاعر وله كتب ينقض فيها كتاب " المنطق " لأرسطو وأشعار في ذلك وله قـصيدة علـى روي واحد وقافية واحدة في أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وذكر انه أنشده إياهـا وكان ينزل في خلاف كل معنى قالت فيه الشعراء قال المرزبـاني: " وكـان أبـو العباس الناشئ متهوسا شديد الهوس وشعره كثير وهو مع كثرته قليل الفائدة، وهـو القائل :

لعمري لقد صادت فؤادي غريـرة	هي الشمس بل أضواء من الشمس والبدر
فدى لك نفسي لو مننـت بـزورة	تقر لها عينـي وأشـفي لهـا صـدري
سلي الليل عني كم أراعي نجومه	فـإن الليـالي يطلعـن علـى سـري
أبيت أراعي الـنجم فيـك كأنمـا	اقلب جنبي فـي الفـراش علـى جمـر

---

[456] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 83.

ومن شؤم جدي أن داري قريبـة وما لي سوى الإعراض والنظر الـشزر

وله في داود بن علي الأصبهاني الفقيه- هو داود بن علي الظـاهري بـن خلـف، البغدادي المعروف بالأصبهاني، أبو سليمان، الملقـب بالظـاهري: أحـد الأئمـة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظـاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس - أبيات:

أقول كما قال الخليـل بـن أحمـد وان شئت ما بين النظامين في الشعر
عذلت على ما لـو علمـت بقـدره بسطت مكان العذل واللوم من عذري
جهلـت ولـم تعلـم بأنـك جاهـل فمن لي بأن تدري بأنـك لا تـدري

ونجد الأنفة والعزة عنده من خلال ما روي انه رئي في مسجد دمشق وقـد خلع سراويله ليبيعه فقيل لو تعرضت لهؤلاء الملوك فأنشأ يقول[457]:

وإنـي لأرضـى باليـسير تعففـا ولي همة تسطو على نوب الـدهر
أفكر فـي بيعـي قبـائي بهمتـي فأرتاح من ذل السؤال إلـى الفقـر
مخافـة أن ألقـى بخـيلا مـصردا يثمن لـي نـزر العطيـة بالـشكر

ومن شعراء بلاد الشام الصنوبري (ت334هـ/945 م) وهو محمـد بـن أحمد بن محمد بن مراد أبو بكر الضبي الصنوبري الحنبلي، كان شـاعرا محـسنا، ويعرف بشاعر الروضيات لإقتصار أكثر شعره على وصف الريـاض والأزهـار، تنقل بين حلب ودمشق، وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة، وكان يشرف علـى مكتبة قصره[458]، وقد حكى عن علي بن سليمان الأخفش، ومن لطائف شعره [459]:

---

457 ابن عساكر، تاريخ، ج 32، ص 386- 390.

458 العطار، الدولة، ص2.

459 ابن كثير، البداية، ج11، ص 103.

لا النـــوم أدرى بـــه ولا الأرق	يـــدري بهـــذين مـــن بـــه رمـــق
إن دموعي من طول ما اسـتبقت	كلّــت فمـــا تـــستطيع تـــستبق
ولـــي ملـــك لـــم تبـــد صـــورته	مـــذ كـــان إلا صـــلّت لـــه الحـــدق
نويـــت تقبيـــل نـــار وجنتـــه	وخفـــت أدنـــو منهـــا فـــأحترق

وله أيضا:

شمس غدا يـشبه شمـسا غـدت	وخـــدها فـــي النـــور مـــن خـــده
تغيـــب فـــي فيـــه ولكنهـــا	مـــن بعـــد ذا تطلـــع فـــي خـــده

وله من الشعر في مدح ووصف دمشق قوله [460]:

أمـــر بـــدير مـــران فأحيـــا	وأجعل بيـت لهـوي بيـت لهيـا
ويبـــرد غُلتـــي بـــردى فـــسقيا	لأيـــامي علـــى بـــردى ورعيـــا
ولـي فـي بـاب جيـرون ظبـاء	أعاطيهـــا الهـــوى ظبيـــاً فظبيـــا
صـــفت دنيـــا دمـــشق لقاطنيهـــا	فلست تـرى بغيـر دمـشق دنيـا

وكان شاعرا محسنا مطيلا، في شعره سهولة وعذوبة أحيانا وسمي بحبيـب الأصغر وله شعر في وصف دمشق [461]، وقد كان شاعرا بليغا بارعا[462].

وقد وجد في بلاد الشام العديد من الشعراء الذين لم تـسعفنا المـصادر فـي الحديث عنهم ومنهم أيوب بن بشير العدوي البصري، وقد كانت وفاته بدمشق سـنة 259هـ/873 م ومن شعره [463]:

[460] السمعاني، فضائل، ص 62، ص 75.

[461] فروخ، تاريخ الأدب، ج2، ص 437.

[462] أبو المعالي، ديوان، ج3، ص 209.

[463] ابن عساكر، تاريخ، ج 10، ص 85.

الحمد لله لا نحـصي لـه عـددا ... مـازال احـسانه فينـا لـه مـددا

ومنهم أيضا الخليل بن أحمد بن محمد السجزي (ت 378هـ/988 م)، كان فقيهاً شاعراً محدثاً، وقد تقدم ذكره في علماء الحديث، ومن شعره [464]:

إذا ضاق باب الرزق عنـك ببلـدةٍ ... فثم بلاد رزقهـا غـير ضـيق

وإياك والسكنـي بـدار مـذلةٍ ... فتسقي بكـأس الذلـة المتـدفـق

فما ضاقت الـدنيا عليـك برحبهـا ... ولا بـاب رزق الله عنـك بمغلـق

وبعد وفاته قال أبو بكرٍ الخوارزمي يرثيه:

ولما رأينا النـاس حيـرى لهـدةٍ ... بدت بأساس الدين بعـد تـأطـد

أفضنا دموعاً بالـدماء مـشـوبةً ... وقلنا: لقد مات الخليل بـن أحمـد

وكان بعض الكتبة شعراء كعبد الله بن محمد بن يزداد بن سويد أبو صـالح الكاتب كان أبوه وزيرا للمأمون ووزر هو للمستعين نحوا من شـهر ووزر أيـضا للمهتدي وقدم دمشق في صحبة المتوكل، امتدحه البحتري وذكره أبو بكر محمد بن يحيى الصولي في كتاب الوزراء وذكر من شعره:

ضاق صدري لما بعـدت ولـو كـن ... ت قريبـا لمـا ضـاق صـدري

يـا خليـا ممـا ألاقيـه فيـه ... لـيس بالحـب والـصبابة تـدري

بأبي وجهـك الـذي لـم يـزل لـي ... فإنمـا عنـد مـن يلـوم بعـذري

سـكرت مـن حـب شـكر ... وبعـت عرفـا بنكـر

وأكثـرت ذكـر هجـري ... فـصار منهـا كهجـر

[464] ابن عساكر، تاريخ، ج 17، ص 31- 32.

ومـــــا تجــــازي بــــود   ولا تهـــــــش لـــــــشكر
أنـــــسيت ذكــــــر محـــــب   مـــا زلـــت منـــه بـــذكر

وذكر انه مات وهو مستخف في داره ودفن فشاع موته فنبش حتى نظر إليه ثم رد في قبره في رجب سنة 261هـ/875 م[465]، ومن شعراء بلاد الـشام ابـن حدار وهو من الكتبة وقد كان شاعرا أديبا[466]، وعبدالله بن عبيد الله الـصفري[467]، ومنهم احمد بن كيغلغ أبو العباس كان أديبا شاعرا وقد ولـي إمـرة دمـشق سـنة 302هـ/915 م ومن شعره[468]:

بـــدت مـــن خلـــل الحجـــب   كمثـــل اللؤلـــؤ الرطـــب
وأدمـــــى خـــــدها لحظـــــي   وأدمـــى لحظهـــا قلبـــي

وله أيضا[469]:

قلـــت لـــه والجفـــون قرحـــا   قـــد أقـــرح الـــدمع مـــا يليهـــا
مـــالي فـــي لـــوعتي شـــبيه   قـــال: وأبـــصرت لـــي شـــبيها

---

465 ابن عساكر، تاريخ، ج32، ص 377.

466 ابن عساكر، تاريخ، ج5، ص393.

467 ابن العديم، بغية، ج2، ص640.

468 ابن العديم، بغية، ج5، ص 179.

469 ابن العديم، زبدة، ص 58.

1.4 علم التاريخ:

يعرف ابن خلدون علم التاريخ: " بأنه فن غزير المذهب جم الفوائد شـريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهـم، والأنبيـاء فـي سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومـه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت"[470].

ويعرفه أيضا في موضع آخر بقوله: "خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هـو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتـأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلـك مـن الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعـاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"[471].

لقد قام علم التاريخ في البداية على تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وإخبار الغزوات ومن أسهم فيها من الصحابة وأخبار هجرة المسلمين الأوائل إلـى الحبشة، وكان المؤرخون الأوائل يعتمدون على الروايات الشفوية شأنهم في ذلـك شأن رواة الحديث النبوي فكان كل جيل يستمد أخباره من الجيل السابق [472].

وقد شهد القرن الثاني الهجري الإخباريين واللغويين والنسابين يعملون بنشاط كلا في حقله ويمثل الإخباريون خط الدراسات التاريخية في حين أن الآخرين مـن اللغويين والنسابين قاموا بدور في الدراسات التاريخية مما يدل علـى أن نـواحي اهتماماتهم ومؤلفاتهم كانت متداخلة أحيانا[473].

---

470 ابن خلدون، العبر، ج1، ص 9.

471 ابن خلدون، العبر، ص 35.

472 سالم، تاريخ، ص 425.

473 الدوري، نشأة، ص 41.

وقد بدأت مدرسة الشام التاريخية تستقطب عددا مـن العلمـاء الإخبـاريين وتخرج عددا منذ أيام معاوية وكانت جاذبية العاصمة السياسية من جهـة، ورغبـة البيت الأموي في الثقافة التاريخية، وكانت هذه المدرسة تتجه إلى التخـصص فـي التاريخ[474]، فقد بدأ التاريخ يتكون في العصر الأموي، لكنهم لم يـشتغلوا إلا فيمـا دعتهم إليه دولتهم وأغراضهم من الإطراء بمشاهيرهم أو تحقيق الأنـساب لأجـل العطاء ونحوه، ونجد أن التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكونه حتـى فـي العـصر العباسي الأول، إنما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة أو الخاصة في العصر العباسي الثاني بعد استقرار الأحوال السياسية والاجتماعية [475].

وقد كان لتراث المغازي والجهاد والسير فضلا في نشوء المدرسة التاريخية الشامية محدودة بالحدود التي تسمح بها طرائق المحدثين في النقد والإسناد، فقد قام مرابطان غير شاميين وهما: عبدالله بن المبارك (ت 181هـ/797م) وأبو إسحاق الفزاري(ت 186هـ/802م) في منتصف القرن الثاني الهجري بالكتابة في الجهاد والسير، وقد اتسعت هذه المدرسة في القرنين الثالث والرابع الهجريين وربما يعود ذلك إلى تغير وعي العلماء بذواتهم ومسؤوليتهم يؤكد ذلك تواريخ ثلاثة وصلتنا من تلك الفترة هي: تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ت 281هـ/894 م) و"تاريخ الرقـة" للقشيري الحراني (ت 334هـ/946 م) و"تاريخ داريا" لعبـد الجبـار الخـولاني (ت350هـ/961 م) [476]، أبو علي بن مهنا[477].

ومن استطلاع المصادر يلاحظ أن طلائع مدرسة التاريخ الـشامية بـدأت بالتشكل في القرن الرابع حيث استكمل علم التاريخ عناصره في المـنهج والمـادة، وعلى الرغم من أن معظم الإخباريين كانوا من أصـحاب الحـديث، إلا أن علـم التاريخ لم يحظى بالدقة والتثبت اللذان حظي بهما علم الحديث، إذ اعتمد في الغالب على مجرد النقل فلا تكاد تخلو من المزلات والمغالط.

---

474 مصطفى، التاريخ، ج1، ص 119.

475 زيدان، تاريخ، ص 151.

476 المؤتمر، بلاد، ص 80- 83.

477 سزكين، التراث م1، ج2، ص 214.

وقد تنوعت كتابة التاريخ عند العرب فكان عندهم المغازي (تاريخ غزوات رسول الله عليه السلام وسراياه) والفتوح (توسع العرب والإسلام بالفتح فـي أيـام الخلفاء الراشدين والدولة الأموية) والطبقات (ذكر تراجم الـصحابة أو العلمـاء أو الأدباء مرتبة على تاريخ وفياتهم الأقدم فالأقل قدما) والسير (العناية بترجمة شخص واحد) ثم التاريخ على السنين (سرد الحوادث مفردة سنة فسنة) [478].

وقد وجد نوعان من التدوين التاريخي في بلاد الشام الطبقات والتاريخ العـام وفي هذا الجانب يلاحـظ أن محمـود بـن إبـراهيم بـن سـميع أبـى الحـسن القرشي(ت259هـ/873 م) كان أول من ألف كتاب طبقات من أهل الشام، أقتـبس عن كتابه كل من الذهبي في "تاريخ الإسلام" وابن حجر في "الإصـابة" و"تهـذيب التهذيب"، سمع ابن أبي اويس وطبقته وقال عنه أبو حاتم: " ما رأيت بدمشق أكيس منه"[479]، كذلك فان تلميذه عبـد الـرحمن بـن عمـرو أبـو زرعـة النـصري (ت281هـ/894م) قد ألف تاريخا محليا لدمشق[480]، وكان النصري شيخ الشام في وقته وقد اشتهر بالحديث وهذا ما طبع كتابه "التاريخ" بالطابع المعـروف لمؤلفـات المحدثين وتواريخهم ففيه سبعة عناوين تتعلق بسيرة الرسول عليه السلام والخلفـاء الراشدين ثم يصبح الكتاب ذا طابع شامي يتحدث عن قضاة دمشق وفلسطين ومصر قبل أن يعطف مرة أخرى على وفيات الصحابة بالشام ثم بعض اخبار فاطمة رضي الله عنها وأزواج النبي عليه السلام ثم من مات بالشام من الصحابة والتابعين[481]، أما كتب التاريخ فقد تميزت عن كتب الطبقات في أنها تستخدم الترتيب الهجائي للتراجم بدلا من الترتيب الزمني وقد ألف احمد بن محمد بن عيـسى(ت257هـ /870م) والذي عاش في حمص في الفترة نفسها تاريخا لمدينـة حمـص اسـماه " تـاريخ

---

478 فروخ، تاريخ الفكر، ص 254.

479 مصطفى، التاريخ، ج1، ص 131.

480 مصطفى، التاريخ، ج2، ص 225؛ ابيض، التربية، ص 296.

481 سزكين، التراث م1، ج2، ص 115؛ مصطفى، التاريخ، ج1، ص 132.

الحمصيين"[482]، وهو تاريخ على التراجم لعلماء حمص ومن وصلها من الـصحابة والتابعين [483].

ويلاحظ أن كتابة التاريخ في هذا العصر إجمالا قد امتازت بكتابة التـاريخ العام الشامل لأخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له أهل العـصر الماضـي، وبعد اتساع معارف القوم على أثر ترجمة كتب العلم القديمة عن أهم الأمـم، وقـد تقررت أحكام الشرع، فلم تبق حاجة إلى الخوض في الفتوح وأسـبابها فاقتـصروا على تلخيص أخبارها وتبويبها وتحقيقها وضبطها [484].

وقد كانت مدرسة الشام التاريخية موزعة النشاط بين عدد من المدن الشامية مع استئثار دمشق بالنصيب الأكبر مع وجود المؤرخين في حران وحمص والرقـة وصفد وعسقلان وحلب والقدس، كذلك يلاحظ أن معظم المؤرخين فيها من الفقهـاء والمحدثين، وقد تميزت المدرسة الشامية بكثرة كتب فضائل المدن[485].

وقد كان من كبار المؤرخين في بلاد الشام أحمـد بـن يحيـى بـن جـابر البلاذري(ت279هـ/892م)، كاتب، مؤرخ، أديب، شاعر، مصنف، له كتب حسنة منها كتاب " أنساب الأشراف " وهو كتاب ممتع كثير الفائدة والنفع ومات ولم يتمه، وهو كتاب عام للتاريخ الإسلامي في إطار الأنساب وهو يمثل مزيجا فذا في الخطة والمادة فخطته تجمع بين أساليب كتابة كتب الطبقات وكتب الأخبار وكتب الأنـساب وتشمل سيرة كل خليفة والأحداث التي وقعت في عهده بما في ذلك فعاليات الأحزاب السياسية مع عناوين فرعية للأحداث المهمة وهو يراعي التسلـسل التـاريخي[486]؛ وكتاب " البلدان وفتوحها وأحكامها " وهو أيضا كتاب كثير الفوائد، وهو من أجمـع كتب الفتوح وأصحها [487]، وهو من الكتب الموثوقة التي تتناول شـيئا مـن الحيـاة

---

482 سزكين، التراث م1، ج2، ص211؛ ابيض، التربية، ص 296.

483 مصطفى، التاريخ، ج2، ص 270.

484 زيدان، تاريخ، ج2، ص 195.

485 مصطفى، التاريخ، ج2، ص 219-223.

486 الدوري، نشأة، ص 56.

487 ابن العديم، بغية، ج 3، ص 1219.

الاجتماعية والإدارية بالإضافة إلى أخبار المعارك والاستيلاء على البلاد [488]، فيبحث في الفتوحات الإسلامية ويقدم قصة متسلسلة لفتح كل مصر وقد اخذ مادته من الكتب للأمصار ومن الروايات الأخرى المتيسرة وطريقته في الكتابة تكمن في انه ينتقي المادة بعد الغربلة والنقد ويعطي صورة متزنة للحوادث مع تجنب إيراد روايات متعددة حول الحادث وهو يعتمد كثيرا على روايات المدينة التي تتصف بالحياد والدقة أكثر من غيرها كما انه استفاد بالدرجة الأولى من الروايات المحلية[489]، ويعد هذا المؤلف من أوائل كتب التاريخ العربية، اختصره البلاذُري من كتابه الضخم " البلدان الكبير"، وكان البلاذري قد دخل حلب ومنبج وأنطاكية والثغور، وكان شاعرا مجيدا، وراوية للأخبار والأدب[490]، وهو صاحب التاريخ المنسوب إليه، سمع هشام بن عمار وأبا عبيد القاسم بن سلام، وغيرهم روى عنه يحيى بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الأزدي، وقد كان أديبا ظهرت له كتب جياد، ومدح المأمون بمدائح، وجالس المتوكل، وتوفي أيام المعتمد، وروى عنه ابن عساكر[491]، ويلاحظ أن منهج البلاذري يقوم بشكل عام على نقد المصادر قبل الأخذ عنها وقد أعطى أهمية للروايات التي تعود لمنطقة الحدث وأتمها بروايات أخرى حول الحدث وكانت مصادره تشمل مؤلفات مكتوبة وروايات شفوية، وعلى الرغم من اتصاله بالعباسيين إلا انه كان محايدا في أخباره[492].

ومن مؤرخي الشام أيضا أحمد اليعقوبي (ت284هـ/897م) وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعف، كاتب ومؤرخ وجغرافي، وهو مؤرخ من طبقة الكتاب يجمع بين ثقافة واسعة وخبرة عملية في الإدارة وقد أمضى كثيرا من أيام شبابه في الإسفار وجمع المعلومات تاريخية وجغرافية، زار كثيراً من البلدان منها بلاد الشام

---

[488] فروخ، تاريخ الفكر، ص 254.

[489] الدوري، نشأة، ص 58.

[490] ابن العديم، بغية، ج3، ص 1219.

[491] ابن كثير، البداية، ج11، ص 56.

[492] الدوري، نشأة، ص 57.

واستقر بها ولا يزال كتابه " البلدان" يعتبر من أهم المؤلفات التاريخية الجغرافية التي وصلتنا منذ أيام الخلافة الإسلامية الأولى[493]، وهو خلاصة وافية للتاريخ العـالمي وللتاريخ الإسلامي حتى سنة 259هـ/872م وقد راعـى فـي كتابتـه التسلـسل التاريخي للحوادث معتمدا على أسلوب النقد والانتقاء من الروايات بعد التدقيق وهو متزن في أخباره وجاء بمعلومات فريدة وقد سار علـى خطـة دراسـة التـاريخ الإسلامي حسب توالي الخلفاء إلا انه مع ذلك راعى خطة تسلسل الحـوادث علـى السنين وحين يقترب من عصره يقتصر على ذكر الحوادث بإيجاز[494].

ومنهم أبو الحسين الرازي(ت347هـ/958م)، محمد بن عبد الله بن جعفـر استوطن دمشق ويبدو انه افتتن بدمشق فاقبل يدرس تاريخها من زاويتـه بتـسجيل أسماء علمائها الذين اخذ عنهم وبتسجيل اخبار أمرائها فله كتاب "تسمية أمراء دمشق في أيام بني العباس" وكتاب "فضائل دمشق"[495].

ومنهم أيضا احمد بن هارون البرادعي(ت 301هـ/914 م) وصف بأنه من أئمة عصره، له كتاب في التاريخ "الطبقات في الأسماء المفردة من أسماء العلمـاء وأصحاب الحديث" يذكر فيه الاسم والكنية والنسبة إلى المدينة ويذكر أحيانـا احـد شيوخ المحدث أو تلاميذه وقد قسم الصحابة والتابعين إلى خمس طبقات بنى عليهـا كتابه[496]، وكان من حفاظ الحديث[497]، ومنهم أيضا أبو عروبة الحسين بـن محمـد الحراني(ت318هـ/930م)، له كتاب"تاريخ حران" وكتاب "تاريخ الرقة"، وكتـاب "الأوائل" وكتاب "حديث الشيوخ"[498]،

ويلاحظ أن علماء التاريخ في هذه الفترة وضعوا المصنفات الكبيـرة والتـي تناولت العديد من العصور والفترات التاريخية فنجد أن محمد بن يزيـد المعـروف

---

493 زيدان، تاريخ، ج2، ص 201.

494 الدوري، نشأة، ص 59.

495 مصطفى، التاريخ، ج2، ص 227.

496 مصطفى، التاريخ، ج1، ص 231.

497 ابن عساكر، تاريخ، ج6، ص66.

498 مصطفى، التاريخ، ج2، ص 272.

بماجة صنف تاريخا على الرجال والأمصار من عهد الصحابة إلى عصره[499]، وكذلك صنف عمر بن احمد المعروف بابن شاهين في التاريخ مائة وخمسين جزءا[500]، وصنف أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي الإمام الفاضل " التاريخ الكبير "[501].

وقد افرد بعض المصنفين كتبا في الحديث عن بعض الصحابة وكان منهم احمد بن شعيب النسائي (ت303هـ/915م) في كتابه "الخصائص" الذي تناول فيه سيرة علي بن أبي طالب والذي أنكر عليه جماعة ذلك لتناوله سيرة علي رضي الله عنه وتركه لتصنيف فضائل أبي بكر، وعمر، وعثمان، فلم يكن في ذلك الوقت صنّفها، وعندما ذكر له ذلك قال: "دخلنا إلى دمشق والمنحرف عن علي بها كثير، فصنف كتاب «الخصائص» رجاء أن يهديهم الله، ثم صنّف بعد ذلك فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها على الناس[502]، وقد سئل في دمشق عن معاوية وماروي من فضائله، فقال: أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس، حتى يفضل وفي رواية أخرى: ما أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنك (السائل)، وكان يتشيع، فما زالوا يدفعون في حضنه حتى أخرجوه من المسجد "، وفي روية أخرى: يدفعون في خصييه وداسوه، ثم حمل إلى الرملة فمات بها"[503].

كذلك برزت في الشام في العصر العباسي الثاني كتب الأنساب فمنذ تراجع النسب القبلي القائم على أساس الدم برزت بدلا منه النسبة إلى الأمكنة والحرفة أو الشهرة أو المذهب أو الولاء أو الصفات الجسمية والخلقية فكان ظهور كتب الأنساب المختلفة[504]، وفي هذا الجانب اهتم علماء الشام بالأنساب وصنفوا فيها

---

[499] ابن عساكر، تاريخ، ج 56، ص 272.

[500] ابن عساكر، تاريخ، ج43، ص536.

[501] ابن عساكر، تاريخ، ج52، ص 53.

[502] ابن عساكر، تاريخ، ج 71، ص 173.

[503] ابن خلكان، وفيات، ج 1، ص 77.

[504] مصطفى، التاريخ، ج1، ص 432.

المصنفات فقد صنف النسابة الحسين بن جعفر المعروف بـ"خداع" توفي بعد سـنة 374هـ/984م كتابا في النسب رواه عنه القاضي أبو جعفر محمد الجعفري[505].

وقد كان ممن تناول تاريخ الفتوح ممن مؤرخي الشام محمد بن جعفـر بـن خالد الدمشقي صنف كتابا في فتوح الشام حدث فيه عن الوليد بن مسلم وشعيب بـن إسحاق وسويد بن عبد العزيز وأبي يوسف يزيد بن يوسف الصنعاني وإسماعيل بن عياش والهيثم بن عدي الطائي وأبي الحارث عامر بن صالح وغيرهم[506].

وقد وجد من المؤرخين في الشام من صنف في الاتجاهات الدينية كالصوفية وممن جمع تاريخ الصوفية وأخبارهم محمد بن سليمان الزاهـد أبـو بكـر شـيخ التصوف في عصره خرج من نيسابور سنة 274هـ/887 م وكان من المقبـولين بالشام والعراقين وبلاد خراسان، كتب عن كل شيخ من الصوفية أكثر مـن كتابتـه لحديثهم، صنف في أكثر الشيوخ والأبواب وجمع أخبار المتصوفة والزهاد وعقد له الإملاء، وكان لا يتخلف عنه كبير أحد، روى عنه أبو العباس بن عقـدة ومـشايخ العراق وسمع منه أبو بكر بن أبي داود وأبو محمد بن صـاعد والمتقـدمون مـن المشايخ توفي في شهر ربيع الأول سنة 342هـ/953 م[507].

وقد كان مؤرخي الشام يجمعون بين رواية الحديث النبوي ورواية الأخبـار ومـن هـؤلاء وريـزة بـن محمـد بـن وريـزة أبـو هاشـم الـشيباني الحمصي(ت281هـ/894م) إخباري قدم دمشق وطرابلس وحدث بها وبحمص عن أبيه محمد بن وريزة ومحمد بن هاشم بن منصور ومؤمل بن إهاب وإبـراهيم بـن عبد الله الهروي وعبد الله بن سليمان العبدي وعبد العظيم بـن إبـراهيم ويعقـوب وأحمد ابني إبراهيم الدورقيين وهشام بن عمار وسليمان بن سلمة وعمرو بن عثمان وهو بر بن معاذ وأبي عمر حفص بن عمر الدوري المقرئ وأبي جعفر أحمد بـن محمد الحذاء وعمر بن شبة ومحمد بن عبيد الله وعبد الوهاب بن الضحاك والعباس بن محمد الهاشمي وإسماعيل بن محمد بن إسحاق والعباس بن إسماعيل بن يـونس

[505] ابن عساكر، تاريخ، ج14، ص 45.

[506] ابن عساكر، تاريخ، ج52، ص 213.

[507] ابن عساكر، تاريخ، ج52، ص 430.

بن موسى القصار وسليمان بن عبد الجبار وسلمة بن شبيب روى عنه الضحاك بن يزيد السكسكي البتلهي [508].

ومـن مـؤرخي الـشام مـن النـصارى قـسطا بـن لوقـا البعلبكـي (ت300هـ/913م)، وله كتاب " الفردوس في التاريخ " [509]، وقد عاصر الطبـري واليعقوبي والدينوري [510].

وقد كان المؤرخين من ندماء الخلفاء ومن الجلساء الدائمين لهم لما لهم مـن مكانة وأهمية، وقد كان من هؤلاء من مؤرخي بلاد الشام علي بن يحيى بـن أبـي المنصور (ت 275هـ/888 م), جمع علوم العرب والعجم, وكان نـديم المتوكـل حكم من (232-247هـ/847-861م) وخلفائه [511]، ومن المؤرخين أيضا الرملي موسى بن سهل بن قادم (ت261هـ/874م) وله كتاب "من نـزل فلـسطين مـن الصحابة" اقتبس منه ابن حجر في "الإصابة"[512].

ومنهم المسعودي(ت346هـ/957 م) وهو علي بن الحسين، رحل في طلب العلم إلى أقصى البلاد، زار بلاد الشام في سـنة 314هـ ـ/ 926م، وفـي سـنة 332هـ/944م وفد على إنطاكية والثغور الشامية ثم ارتحل إلى دمشق، لـه عـدة مؤلفات أهمها كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر" يعد من أفـضل المـصنفات العربية التاريخية والجغرافية، ويبدأ بالخليقة وينتهي بعهد الخليفة العباسي المطيـع لله، الذي تناول فيه أيضا الكثير من فروع علم الجيولوجيا فـي ثنايـا المعلومـات الجغرافية [513].

ومنهم أيضا أبو حاتم البستي (ت354هـ/965م) وكان في الـسابق علـى قضاء سمرقند مدة طويلة وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثـار والمـشهورين فـي

---

[508] ابن عساكر، تاريخ، ج 63، ص 29.

[509] القفطي، أخبار، ص 199.

[510] مصطفى، التاريخ، ج2، ص 438.

[511] ابيض، التربية، ص 217.

[512] مصطفى، التاريخ، ج1، ص 131.

[513] زيدان، تاريخ، ج2، ص 316.

الأمصار والأقطار عالما بالطب والنجوم وفنون العلوم ألف المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة في كل فن [514].

ومن المؤرخين أيضا أبي الأشرس الأسدي مولى أسد بن خزيمة يكنى أبا علي ويلقب جزرة كان حافظا عارفا، وممن يرجع إليه في علم الآثار ومعرفة نقلة الأخبار[515]، ومن المؤرخين في الشام احمد بن روح وله مصنفات عدة[516]، ومنهم أبوبكر بن المعلى الأسدي الدمشقي(ت 286هـ/899م)، وكان قاضي دمشق بالنيابة عن أبي زرعة وكان ابن المعلى أول من وضع الخطوط الأولى في تاريخ دمشق الطبوغرافي وكان أول من ذكر اتفاق المسلمين والنصارى على قسمة الجامع الأموي بينهما بعد الفتح ويبدو وهو القاضي قد اعتمد على ما بين يديه من السجلات الرسمية[517]، ومن مؤرخي الشام ابن شعيب الأنصاري(ت 353هـ/880م) وهو محمد بن هارون بن شعيب ترك كتاب"صفة النبي"[518].

ومن المؤرخين في بلاد الشام أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت327هـ/939م) من أهل سامراء قد سكن فلسطين وحدث بها ونزل عسقلان وحدث بها مؤرخ ولجانب التاريخ ألف بعض المصنفات التربوية، ومن ضمنها كتاب "مكارم الأخلاق" وكتاب"مساوئ الأخلاق"، وكتاب " قمع الحرص بالقناعة"[519].

ومن ابرز من زار بلاد الشام من مشاهير المؤرخين الطبري وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(ت 310هـ/923 م) ، مؤرخ و مفسر و محدث و مقرئ و فقيه، ولد في آمل عاصمة إقليم طبرستان فنسب إليها، رحل إلى بلاد الشام حتى استوعب العلوم، اشتهر بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل، وقد كان الطبري من أكثر علماء عصره نشاطا في التأليف، أشهر مؤلفاته تفسيره

---

514 ابن عساكر، تاريخ، ج52، ص 251.

515 ابن عساكر، تاريخ، ج 23، ص 389.

516 ابن العديم، بغية،ج2، ص747؛ زيدان، تاريخ، ج2، ص 197.

517 مصطفى، التاريخ، ج2، ص 271.

518 سزكين، التراث م1، ج2، ص 116.

519 أبو رحمة، الحياة، ص 110.

المعروف بتفسير الطبري وكتاب " تاريخ الأمم والملوك " ويسمى تاريخ الطبري وله " كتاب تهذيب الآثار " وكتاب " اختلاف الفقهاء " [520].

2.4 علم الجغرافيا:

أطلق المسلمون على معارفهم الجغرافيـة أسـماء عديـدة؛ إذ إن المفهـوم الجغرافي لم يكن تخصصا مستقلاً في ذاته كالعلوم الأخرى، ومصنفاتهم فـي هـذا المجال يمكن إدراجها تحت مسمى المصنفات الكوزموغرافية؛ وهي المصنفات التي تبحث في مظهر الكون وتركيبه العام وتشمل إلى جانب الجغرافيـا علمـي الفلـك والجيولوجيا، لذا فإن الكتابات الجغرافية كانت تسمى وفق محتوياتها؛ فمن ذلك علـم الأطوال والعروض وعلم تقويم البلدان إذا كانت ذات محتوى فلكي. وما غلب علـى محتواها وصفُ المسالك وطرق المواصلات سميت علم البـرود (جمـع بريـد) أو علم المسالك والممالك، اتخذت المصنفات الجغرافية التي تصف مجمـوع المنـاطق والبلدان اسم علم الأقاليم، وعلم عجائب البلدان، وعلم البلدان، والتي تناولت المنـاخ جاءت تحت اسم علم الأنواء، والتي تناولت الجغرافيا الفلكية سميت علـم الهيئـة، واستخدموا مصطلح صورة الأرض قاصدين به مصطلح الجغرافيا الحالي.

وقد استخدم المسلمون كلمة جغرافيا في بادئ الأمر وفق استخدام اليونان لها، وهذا ما عناه ياقوت الحموي عندما قال: " أن من قـصد العمـران مـن القـدماء والفلاسفة والحكماء، ومنهم بطليموس، سموا كتبهم في ذلك الجغرافيا ومعناه صورة

---

[520] زيدان، تاريخ، ج2، ص 203.

الأرض "، وكان إخوان الصفا أول من استخدم مصطلح جغرافيـا فـي رسـائلهم وفسرت على أنها صورة الأرض[521].

وقد كان من الأسباب المساعدة على وضع علم الجغرافيا أو تقويم البلدان أو الإسراع في نضجه ونموه؛ الرحلة في طلب الحديث والحج إلى مكة والرغبة فـي تطبيق القواعد الفقهية كالخراج والجزية، ويفتقر ذلك إلى معرفة حال البلاد وكيفيـة فتحها صلحا أو عنوة، فدفعهم ذلك إلى تعرف البلاد ومواضعها وعلة فتوحها، كذلك وجد في القرآن الكريم آيات تحض على طلب هذا العلم كقوله تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "[522] وقوله تعالى: " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ "[523] **وغيرها** من الآيات الكريمة[524]، ونجد أن الجغرافيين المسلمين قد قسموا الأرض إلى سـبعة أقسام من الشمال إلى الجنوب كل قسم منها إقليما[525].

وكغيره من العلوم برز علم الجغرافيا في بلاد الشام في العـصر العباسـي الثاني وخاصة بعد نقل علوم القدماء إلى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس وعليه معولهم في تقويم البلدان [526].

وقد كان من ابرز علماء بلاد الشام في علم الجغرافيا البتاني (317هـ/929م)، أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان، ينسب إلى إقليم حران التـي تقـع بـين مـدينتي الرقة والرها، حقق إنجازات بارزة في علم الجغرافيا بالإضافة إلى إنجازاتـه فـي العلوم الرياضية، حاز لقب "بطليموس العرب" تشبيها له بالعالم الفلكي والرياضـي

[521] الموسوعة، ج16، ص 504.

[522] سورة يوسف، آية 110.

[523] سورة النمل، آية 69.

[524] زيدان، تاريخ، ج2، ص 14.

[525] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 52.

[526] زيدان، تاريخ، ج2، ص 206.

والجغرافي السكندري "كلوديوس بطليموس"، ومن انجازاته أنه كان من أوائل مـن اكتشفوا كروية الأرض، وأنها تسير في مسار بيضاوي[527]، كذلك أوجد طرقاً جديدة لقياس عرض الأماكن [528]، ومن جغرافي الشام اليعقوبي (ت284هـ ـ /897م) زار اليعقوبي كثيراً من البلدان منها بلاد الشام ولا يزال كتابه " البلدان " يعد مـن أهـم الكتب الجغرافية التي وصلتنا منذ أيام الخلافة الإسلامية الأولى، ويوصف أسـلوبه بكونه أسلوبا وصفياً سلساً شيقاً في عرض المعلومات يميل إلـى التحليـل العقلـي والمنطقي وقد قسّم المنطقة التي غطاها كتابه إلى أربعة أقسام حسب تقسيم الجهـات الأصلية، الشرق والغرب والقبلة، ويعد اليعقوبي مجدداً في تقسيمه للمنـاطق التـي وضعها على أساس الولايات، بالإضافة إلى ذلك فإنه قد سجّل معلومات قيّمة عـن طرق المواصلات في عصره جلبت انتباه واهتمام الكثيرين، ولكن مما يأخذه البعض عليه في كتابه أنه خصّص جزءاً كبيراً منه لوصف كل من بغداد وسـامراء شـغل حوالي ربع حجم الكتاب تقريباً، ويعلل البعض ذلك كونه قد ولد في بغداد [529].

ومن الجغرافيين في بلاد الشام أبو الحسن علـي بـن الحـسين المـسعودي (ت346هـ / 957م)، وقد كان ملمّا بكثير من العلوم والثقافات، وقد اشتهر أكثر ما اشتهر في علم الجغرافيا، وكان من أشهر كتبه التي اشـتملت علـى الكثيـر مـن المعلومات الجغرافية كتاب "التنبيه والإشراف" حيث يصف لنا في هذا الكتاب كل ما شاهده من مناطق في بلاد الشام وعلماء وكتب كما وصف ما فيها من تـضاريس، من جبال وأنهار وبحيرات [530]، كما تناول فيه كثيرا من الجوانب فـي الجغرافيـا البشرية، وذكر أحوال العمران، وهو العلم الذي أسّسه ورتب قواعده ابن خلدون[531]، ومما أورده المسعودي في كتابه: " خط الاستواء في وسط الفلك وهو خط ما بـين الشمال والجنوب وأوسع موضع فيه من نقطة المشرق إلى نقطة المغرب وهو منقسم

---

[527] العاني، البتاني، ص1.

[528] هونكه، شمس، ص 146.

[529] زيدان، تاريخ، ج2، ص 201.

[530] سزكين، التراث م1، ج2، ص 177؛ أبو رحمة، الحياة، ص 111.

[531] حميدة، أعلام، ص 309.

بأربعة أرباع كل ربع منها تسعون درجة على خطين يتقاطعان على مركزه وهـو موضع الأرض منه أحد الربعين وهو أحد القطبين نقطة الـشمال وبإزائـه نقطـة الجنوب والربع الثالث نقطة المشرق وبإزائها نقطة المغرب، وهـو يـدور دورانـا طبيعيا دائما وبدورانه ودوران الكواكب التـي فيـه تنفعـل الكيفيـات وانبـسطت الأركان"[532].

وقد أقام المسعودي في طبرية سنة314هـ/926م[533] ووفد علـى إنطاكيـة والثغور الشامية ثم ارتحل إلى دمشق، ومن مؤلفاته كتابه " مروج الذهب ومعـادن الجوهر" والذي كما ذكرنا سابقا يعد من أفضل المصنفات العربية والذي أورد فيـه الكثير من المعلومات الجغرافية، وتناول فيه أيضا الكثير من فروع علم الجيولوجيـا في ثنايا المعلومات الجغرافية؛ فقد تناول فيه اسـتدارة الأرض وإحاطتهـا بغـلاف جوي، وطبيعة العواصف التي تهب على الخليج العربي والمناطق المحيطـة بـه، ووصف الأرض والبحار، ومبادئ الأنهار والجبال، ومـساحة الأرض، ووصـف الزلازل، وتحدث عن كروية البحار، وأورد الشواهد على ذلك، ودرس ظاهرة المد والجزر وعلاقة القمر بذلك، وتحدث عن دورة الماء في الطبيعة وتراكم الأملاح في البحر ووصف البراكين الكبريتية في قمم بعض الجبال، كما أورد العلامـات التـي يستدل بها على وجود الماء في باطن الأرض [534].

3.4 علم الفلسفة:

يعرف أبو نصر الفارابي(ت339هـ/950م) الفلسفة بقوله: " اسـم الفلـسفة يوناني وهو دخيل في العربية، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفاً ومعناه إيثار الحكمة، وهو في لسانهم مركب من فيلا ومن سوفيا، ففيلا الإيثار وسوفيا الحكمة، والفيلسوف مشتق من الفلسفة، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفوس، فإن هذا التغيير هو تغييـر كثير من الاشتقاقات عندهم، ومعناه المؤثر للحكمة، والمؤثر للحكمة عندهم هو الذي

---

532 المسعودي، التنبيه، ص 9.

533 مصطفى، التاريخ، ج2، ص46.

534 زيدان، تاريخ، ج2، ص 316.

يجعل الوكد من حياته وغرضه من عمره الحكمة "[535]، ويقول الفارابي في ظهـور الفلسفة ما نصه قال: " إن أمر الفلسفة اشتهر في أيام ملـوك اليونـانيين، وزمـن أرسطو طاليس بالإسكندرية "[536].

وأما غاية الفلسفة فهي البحث عن الحقيقة وعلى الباحث عن الحقيقة أن يجرد بحثه عن الغايات الصغرى من عاطفية واجتماعية ومادية، وعليه أن ينطلـق فـي البحث على سمت واحد معين ثم يقبل ما يؤديه إليه بحثه مهما كانت النتيجـة التـي سيصل إليها[537].

وتشتمل الفلسفة على علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عـن الخطـأ فـي اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطأ مـن الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيـق الحـق بمنتها فكره. ويرى ابن خلدون أن الفارابي (ت339هـ/950م) من أشهر الفلاسـفة المسلمين وأكابرهم[538]، كان فيلسوفاً قد أتقن العلوم الحكميـة، وبـرع فـي العلـوم الرياضية، وكان قد أخذ الفلسفة من يوحنا بن حيلان ببغداد، وللفارابي كتـاب فـي أغراض فلسفة أفلاطون، وأرسطو طاليس، يشهد له بالبراعة في صـناعة الفلـسفة والتحقق بفنون الحكمة، وكان الفارابي يجتمع بأبي بكر بن الـسراج فيقـرأ عليـه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق، وكان الفارابي أيضاً شاعرا، وسئل من أعلم أنت أم أرسطو؟ فقال لو أدركته لكنت أكبر تلاميذه، ويذكر عنه أنه قال: " قرأت السماع لأرسطو أربعين مرة، وأرى أني محتاج إلـى معاودتـه "[539]، وللفارابي من الكتب " شرح كتاب المجسطي لبطليموس " و" شرح كتاب البرهـان لأرسطو طاليس "، وغيرها الكثير من شرح كتب أرسطو طاليس، وشـرح كتـاب إيساغوجي لفرفوريوس، وله عدة مؤلفات منها ما ألفه للوزير أبي جعفر محمد بـن

---

[535] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 604.

[536] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 604.

[537] فروخ، تاريخ الفكر، ص 18.

[538] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 478.

[539] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 604- 609؛ ابن النديم، الفهرست، ص 321.

القاسم الكرخي، وكتاب في إحصاء الإيقاع، وكتاب " المبادئ الإنسانية "، وكتـاب " الرد على الرازي في العلم الإلهي "، وكتاب" الرد على جالينوس فيما تأوله من كلام أرسطو طاليس على غير معناه "، وغيرها الكثير[540].

ويعد الفارابي المؤسس الأول للفلسفة الإسلامية بمعناها الحقيقي فقـد كانـت مؤلفاته قد مهدت السبيل لظهور الفلاسفة المسلمين اللاحقين كابن سينا وابـن رشـد ويبرز اثر الفارابي على المفكرين من بعده في موضعين: احدهما انه ما من فكـرة في الفلسفة الإسلامية إلا ونجد جذورها في فلسفته، وثانيهما حرصه علـى التوفيـق بين أفلاطون وأرسطو، وعلى هذا يحتل الفارابي المكان الشامخ بين الفلاسفة ممـا دفع ابن خلدون إلى وصفه بأنه اكبر فلاسفة المسلمين [541].

ويلاحظ أن علماء المسلمين في هذا العلم قد ساروا إلى منابع فلسفة اليونان، ولم يقفوا عند حد ما اكتسبوه من كنوز المعرفة بل وسعوه وفتحـوا أبوابـا جديـدة لدرس هذه العلوم يلاحظ ذلك من خلال ما سبق ذكره عن أبي نصر الفارابي [542].

وفي العصر العباسي الثاني نضجت المدرسة الفلسفية وتحدد الاتجاه الفلسفي كوسيلة من وسائل الوصول إلى الحقيقة واليقين العقلي، وقد رأى فلاسفة هذا العصر أن الغاية من الدين والفلسفة متشابهة فكلاهما يرمي إلى تحقيق السعادة عن طريـق الاعتقاد الحق وعمل الخير [543].

ومن فلاسفة بلاد الشام سري بن المغلس السقطي(ت251هـ/865م) كنيتـه أبو الحسن يقال إنه كان خال الجنيد وأستاذه صحب معـروف الكرخـي ويـسميه الأستاذ، تكلم في علوم الحقائق، من أعلام التصوف الـسني فـي القـرن الثالـث الهجـــــــــري وأول مـــــــــــــــــــــــن

[540] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 604- 609؛ ابن النديم، الفهرست، ص 321.

[541] المرزوقي، دراسات، ص 73.

[542] السباعي، من روائع، ص 84.

[543] عبد العال، التربية، ص 99.

تكلم http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AFفي التوحيـد وحقائق الأحوال[544].

ومن الفلاسفة وعلماء المنطق عبد الله بن محمد الناشئ (ت293هـ ـ/906م) وله كتب ينقض فيها كتاب " المنطق" لأرسطو وأشعار في ذلك وكان الناشئ متهوسا شديد الهوس وشعره كثير وهو مع كثرته قليل الفائدة، لأنه اخذ نفسه بالخلاف على أهل المنطق والشعراء والعروضيين وغيرهم وأراد أن يحدث لنفسه أقوالا ينقض بها ما هم عليه[545].

ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي (ت300هـ/913م) فيلسوف شامي نـصراني دخل إلى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد إلى الشام واسـتدعي إلـى العراق ليترجم كتباً من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية وعاصر يعقوب بن إسـحاق الكندي(ت256هـ/873م) وكان متحققاً بالعلوم الطبيعية ولـه مؤلفـات مختـصرة بارعة منها: كتاب "الفرق بين النفس والروح" وأربعة كتب في الأخـلاط الأربعـة وكتاب "المرايا المحرقة" وكتاب "السياسة" ثلاث مقالات وكتاب "موت الفجأة" وكتاب "الأعداء" وكتاب "أيام البحران" وكتاب "شرح مذاهب اليونانيين" وكتـاب "شـكوك كتاب إقليدس" وكتاب "الحمام" وكتاب "نوادر اليونانيين وذكر مذاهبهم"، وله مؤلفات غير ما ذكر، وقال بعض المؤرخين كان قسطا بن لوقا فاضلاً فـي العلـوم مليـح الطريقة في التصنيف[546].

---

[544] ابن عساكر، تاريخ، ج20، ص167.

[545] ابن عساكر، تاريخ، ج32، ص386.

[546] القفطي، أخبار، ص 199.

الفصل الخامس: العلوم التطبيقية.

كانت بلاد الشام عند الفتح الإسلامي تجمع أصنافًا متعددة من السكان: عرب وروم وفرس، ويهود، فلم يكن العرب في الأمصار في عزلة، إذ اختلطـوا بأهـل المدن القديمة، كما أن أعدادا كبيرة من الموالي وأهل الذمة جاءت إلـى المراكـز العربية بحثا عن العمل أو عن مجالات جديدة، فكانت هذه المدن والمراكز ميـادين تبادل ثقافي[547]، مما أدى إلى تطور العديد من العلوم التطبيقية والتي تعتمد في بعض الجوانب على التراكمية في المعرفة لذلك اخذ المسلمون عمن سـبقهم وزادوا عليـه وكان من أهم هذه العلوم:

[547] الوافي، التعليم، ص54.

1.5 علم الطب والصيدلة :

كان للعرب في الجاهلية تجاربهم في الطب، وقد أضافوا إليها ما اكتسبوه من الأمم المجاورة كالفرس والهنود وغيرهم، وقد انتهجوا طريقتين للعلاج: أولاهما الكهانة والعرافة، والثانية ما خبروه من عقاقير نباتية إضافة إلى الكي والحجامة والفصد، ومن أبرز أطباء الجاهلية زهير الحميري، وابن حزيم، والحارث بن كلدة صاحب كتاب "المحاورة في الطب"، والنضر بن الحارث[548].

أما علماء المسلمين فقد أدركوا أهمية الطب لاسيما أن الدين الإسلامي قد دعى إلى المعرفة بشتى أنواعها ومجالاتها، إضافة إلى اهتمامه بالإنسان الذي هو مناط التكليف، وقد تجمع للرواة عشرات الأحاديث النبوية التي تتناول الطب والصحة وفضائل الأطباء، سميت فيما بعد "الطب النبوي" ووضعت كتب عديدة حولها منها كتاب لابن قيم الجوزية "الطب النبوي"، وفي الحديث الشريف: "العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان" فلم يترك عليه الصلاة والسلام مجالا للشك في فضل العلوم الطبية التي قدمها على علوم الشريعة، فهناك قاعدة فقهية مفادها:"أن حفظ النفس قبل حفظ الدين" [549]، فكانت من هنا انطلاقة علماء الطب عند المسلمين، مما جعل الحضارة الإسلامية حضارة مميزة بشمولها لكافة مناحي الحياة.

ولعل من النصوص النبوية البارزة أيضا في التطبب وممارسة الطب التجريبي العلمي ما رواه جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: " لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بأذن الله عز وجل " [550].

ويوضح الذهبي عدم منافاة التطبب والعلاج للتوكل فيقول: "التوكل اعتماد القلب على الله, وذلك لاينافي الأسباب ولا التسبب, فان المعالج الحاذق يعمل ما ينبغي ثم يتوكل على الله في نجاحه" [551].

---

[548] الموسوعة، ج16، ص 429.

[549] الكردي، دور، ص 99.

[550] السرجاني، قصة، ص 29.

[551] المازني, تاريخ, ص6.

وعلم الطب صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشئ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجها وقبوله الدواء[552].

أما عن علم الطب في بلاد الشام فقد كان أول من بنى البيمارستان في بلاد الشام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك، وجعل في البيمارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق ولم يصل إلينا أي علم أو إشارة عن استمرار العمل فيه فيما بعد .

وقد كانت البيمارستانات على نوعين: البيمارستان الثابت، والبيمارستان المحمول، على أننا لم نعثر في المصادر على أي ذكر لوجود النوع الأول في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني، وهناك إشارة إلى النوع الثاني وذلك فيما يروي ثابت بن سنان بن قرة: " أن الوزير علي بن عيسى قي أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة في أيام وزارة حامد بن أبي العباس انه وقع لوالده سنان بن ثابت في سنة كثرت فيها الأمراض جدا وكان سنان يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها توقيعا مفاده أن اكتب إلى أصحابك وأوصهم بالتنقل بين القرى والمواضع التي فيها الاوباء الكثيرة والأمراض الفاشية، وليقوموا على علاجهم "[553]، فكان من البلاد التي زاروها بلاد الشام.

وقد وجد في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني أطباء عملوا بشكل فردي وكان لهم شهرتهم الواسعة في علم الطب ومزاولته كمهنة ومن هؤلاء الأطباء أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي طبيب برز اسمه في خلافة المقتدر ترجم كتب في الطب والهندسة والفلسفة وكلف بتفتيش مستشفيات بغداد ومكة والمدينة عام

[552] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 493.

[553] عيسى بك، تاريخ، ص 13؛ حسين، الموجز، ج1، ص 233.

302هـ/915م وكانت وفاته 320هـ/932م [554]، وكان طبيبا مصنفا، ونقل كتبـاً كثيرة إلى العربية من كتب الطب وغيره[555].

ومن أشهر أطباء بلاد الشام الفارابي(ت339هـ/950م) وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى بلاد الشام وأقام بها إلى حين وفاته، وكانت له قوة في صـناعة الطـب، وعلم بالأمور الكلية منه[556]، وقدم الفارابي على سيف الدولة إلى حلب وأقـام فـي كنفه مدة بزي أهل التصوف وقدمه سيف الدولة وأكرمه وعرف موضعه من العلـم ومنزلته من الفهم ثم رحل إلى دمشق في سنة 339هـ/950م [557].

ومنهم عيسى الرقي المعروف بالتفليسي(ت القرن 4هـ/10م)، سرياني مـن أقدم من عرف من الأطباء في حلب، كان طبيباً مشهوراً في أيامه عارفاً بالـصناعة الطبية حق معرفتها، وله أعمال فاضلة ومعالجات بديعة، وكان في خدمـة سـيف الدولة الحمداني ومن جملة أطبائه، وكان سيف الدولة إذا أكل الطعام حـضر علـى مائدته أربعة وعشرون طبيباً، وكان بينهم من يأخذ رزقين لأجل تعاطيـه علمـين، ومن يأخذ ثلاثة أرزاق لتعاطيه ثلاثة علوم، وكان من جملتهم عيسى الرقـي الـذي كان طبيباً جيداً وله كتب في المذهب وغيرها، وكان ينقل من السرياني إلى العربي ويأخذ أربعة أرزاق، رزقاً بسبب الطب ورزقاً بسبب الترجمـة، ورزقـين بـسبب علمين آخرين[558].

ومن أطباء الشام سعيد بن توفيل(ت299هـ/912م) وقد كان طبيبا نصرانيا متميزا في صناعة الطب وكان في خدمة أحمد بن طولون من الأطبـاء الخاصـين يصحبه في السفر والحضر ويروى انه تغير عليه قبل موته[559].

---

[554] ابيض، التربية، ص 214.

[555] ابن النديم، الفهرست، ج7، ص 356.

[556] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 603.

[557] القفطي، أخبار، ص 211.

[558] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 609.

[559] ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 541.

ومن أطباء بلاد الشام أبو السري جورجس النصراني المتطبب ويروي أبي محمد بن جميع: " أنه كان في أكثر أوقاته في الصيف لا يشرب المـاء ولا يريـده وإنما يشربه في الشتاء من حين إلى حين فوصف ذلك لأبي السري فقـال لـه: إن معدتك تشبه الآبار النبع باردة في الصيف حارة في الشتاء، ثم قال له: وحق المسيح أني أنصحك: اشرب الماء وإلا خفت على معدتك تحاز(أي تتقرح) فيقول: ابن جميع إن الزمت نفسي بشرب الماء فكنت اشربه كرها ثم تعودت ثم إنني صـرت كثيـر العلل[560].

ومن الأطباء المصنفين في علم الطب في بلاد الشام في العـصر العباسـي الثاني أبو حاتم البستي (ت354/965م) المعروف بابن حبان وكـان علـى قـضاء سمرقند مدة طويلة وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمـصار والأقطار عالما بالطب اشتهر إلى جانب ذلك بعلم النجوم وفنون العلوم وألف الكتب الكثيرة في كل فن[561].

وقد اخذ أطباء بلاد الشام النظريات الطبية عن الحضارات الأخرى، ومنهـا نظرية الاخلاط التي أخذوها عن اليونان والتي تنص على: أن هناك أربعة أخـلاط تكون العناصر الأساسية في جسم الإنسان، وأن في توازن هذه الاخلاط الصحة وفي انحراف توازنها وعدم توافقها تحدث الأمراض، وهذه الاخلاط بحسب تعريفهم: هي أجسام سيالة يستحيل إليها الغذاء وهي: الدم الذي يأتي من القلب، والبلغم والمفروض أن يأتي من الدماغ ثم ينتشر في جميع الجسم، والصفراء ويفرزها الكبد(المـرارة)، والسوداء وتأتي من الطحال والمعدة [562]، ومن أطباء بلاد الشام الذين اعتنوا بدراسة هذه الاخلاط ووضعوا فيها المصنفات قسطا بن لوقا البعلبكي (ت300هـ ـ /913م) وقد سبق ذكره ضمن الفلاسفة وكان متحققاً بالعلوم الطبيعية ماهراً في صناعة الطب وله تصانيف في علم الطب والصيدلة منها: كتاب " معرفة الخدر وأنواعـه وعللـه

---

[560] ابن عساكر، تاريخ، ج 13، ص 353.

[561] ابن عساكر، تاريخ، ج52، ص 251 .

[562] حسين، الموجز، ج1، ص 340.

وأسبابه وعلاجه " وكتاب " دفع ضرر السموم " [563] وكتاب " غلبة الدم " نسبة الاخلاط " وكتاب الفرق بين الحيوان الناطق والصامت "[564] وكتاب " موت الفجأة " وأربعة كتب فِي الأخلاط الأربعة وكتاب " العلة في اسوداد الحبش وغيرهم " وكتاب " قوانين الأغذية "، وله كتب غير ما ذكر، وقال بعض المؤرخين كان قسطا بن لوقا فاضلاً فِي العلوم مليح الطريقة في التصنيف[565].

ولقد بذل علماء الطب المسلمين جهود عظيمة في ترجمة كنوز الحضارات السابقة لهم من يونانية وفارسية وهندية، وقد أجادوا في كل فن من فنون الطب، وصححوا ما كان من أخطاء من علماء سابقين بعدما اطلعوا على ذلك من خلال الترجمة [566]، وقد كان من الأطباء الذين قاموا على الترجمة حبيش بن الحسن الدمشقي (ت300هـ/913م) وهو ابن أخت حنين بن إسحاق وتلميذه وشريكه في ترجمة عدد كبير من الكتب ولاسيما الكتب الطبية كما ذكر سابقا وقد أكمل تأليف كتاب في الطب لابن حنين وقد غمط حق هذا العالم بصورة عامة لأن بعض الترجمات التي قام بها نسبت إلى حنين[567].

وكانت مزاولة الطب حتى القرن الرابع الهجري لا تقتضي من صاحبها أكثر من قراءة كتب الطب على نفسه أو على غيره، فإذا وثق بنفسه بدأ بعلاج المرضى فإذا وثقوا به شاع اسمه، وقد شجع على ذلك عددا من المتطببين على الكسب السهل، ولكن في سنة 319هـ/931م بلغ الخليفة المقتدر أن رجلا من الأطباء غلط على رجل فمات فأمر بطيحة المحتسب بمنع جميع الأطباء إلا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة الحراني وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة، وبلغ عددهم من جانبي دجلة في بغداد أكثر من (860) طبيبا سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة ومن كان معه في خدمة السلطان، ودعا

---

[563] الكردي، دور، ص 124.

[564] ابن جلجل، طبقات، ص 76.

[565] القفطي، أخبار، ص 199.

[566] السرجاني، قصة، ص 33.

[567] القفطي، أخبار، ص 94؛ حسين، الموجز، ج1، ص 22.

الخليفة المقتدر سنان بن ثابت إلى إيفاد الأطباء للسجون، وابتعاث الأطباء إلى القرى والمواضع التي تكثر فيها الأمراض[568].

أما الصيدلة فقد كانت في بادئ الأمر تابعة لعلم الطب غير مستقلة عنـه إذ كان الطبيب في الوقت نفسه صيدلانيا وكان له أعوان يساعدونه في عمله فيجمعون له الأعشاب الطبيعية [569]، وقد كانت الأدوية في بداياتها عبـارة عـن الأعـشاب والنباتات التي عرفها الإنسان الأول، في بحثه عن غذائه بين الأشجار والحـشائش ولابد أنه تحاشى منها ما لم يستسغه وما ضره، وهكذا بدأت تتكون لديه المعلومات عن فوائدها الطبية أو مضارها[570].

وقد كانت الصيدلة من العلوم التي عرفها المسلمون وأسهموا فيها إسـهامات واضحة، فقد جعلوه علما تجريبيا قائما على الدراسة والملاحظة، وهي علم يبحـث في العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلق بها، وهي ذات اتصال وثيـق بعلمي النبات والحيوان، إذ أن معظم الأدوية ذات أصل نباتي أو حيواني، كما تكمل الصيدلة علم الطب الذي يشخص المرض ويصف العلاج ويحتاج إلى من يركـب الدواء ويصنعه[571].

ومن خلال الترجمة فقد استفاد الأطباء من كتب الصيدلة مـن الحـضارات السابقة ومن ذلك كتاب " المـادة الطبيـة فـي الحـشائش والأدويـة المفـردة " لديسقوريدس، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بالزيادة واستدراك ما فات من سبقهم، فبـدأ التأليف والتصنيف بغزارة في الصيدلة وعلم النبات وكان من ذلك كتـاب " معجـم النبات " لأبي حنيفة الدينوري(ت282هـ/895م)[572]، والذي يعد أول مـن ألـف

[568] الكردي، دور، ص 113؛ عيسى بك، تاريخ، ص 42.

[569] الخطيب, الطب, ص221.

[570] الكردي، دور، ص 40.

[571] السرجاني، قصة، ص 111.

[572] السرجاني، قصة، ص 114.

كتابا علميا متخصصا عن النبات، وفيه ما يربو على (1120) نباتا، وكان يـصف النبات وصفا دقيقا [573].

2.5 علم الفلك:

كان علم الفلك يعرف عند المسلمين بعلم الهيئة وكان يتناول تعيين الأشـكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلـك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحـد منهـا ومـن رجوعهـا واستقامتها وإقبالها وإدبارها[574].

كان للعرب قبل الإسلام معرفة فلكية انحدرت إليهم من تـراث أجـدادهم، بالإضافة إلى ما أخذوه من الأقوام المجاورين لهم كالكلدانيين والفرس والسريان، فقد ألموا بمواقع النجوم وسيرها التقريبي بالملاحظة اليومية واستدلوا بذلك على فصول السنة، وأطلقوا على الشهور أسماء مأخوذة من صفات هذه الفصول، كما عرفـوا عددا كبيرا من الكواكب والنجوم بأسمائها العربية أو الفارسـية أو الكلدانيـة مثـل المريخ الذي عربوه من الاسم الكلداني البابلي مردوخ، ثم في فترة لاحقة اسـتعاروا أسماء بعضها من الفارسية مثل كيوان، برجي، بهرام، أناهيد التي أطلقوهـا علـى زحل والمشتري والمريخ والزهرة على التوالي[575].

وينظر هذا العلم في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ويـستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفـلاك لازمـت عنهـا لهـذه الحركـات المحسوسة بطرق هندسية، كما يبرهن على أن مركز الأرض مباين لمركـز فلـك الشمس بوجود حركة الإقبال والإدبار وكما يستدل بالرجوع والاسـتقامة للكواكـب على وجود أفلاك صغيرة [576].

---

[573] السرجاني، قصة، ص 124.

[574] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 479.

[575] الموسوعة، ج16، ص 516.

[576] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 487.

وقد اهتم الأمراء في بلاد الشام بعلم الفلك وعلمائه فيلاحظ أن مجلس سـيف الدولة كان من ضمن العلماء فيه عالم فلك وهو أبو القاسم الرقي المنجم أصله مـن أهل الرقة وكان يعرف بـ(النجامة) ويقوم بالأحكام ويعلم علم الحوادث ويتحقـق بحل الزيج وعلم الهيئة وقد صحب الأمير سيف الدولة وخدمه واختص به وحـضر مجالسه [577].

ومن أشهر علماء بلاد الشام الفلكيين البتاني(ت317هـ/929م) أبو عبـد الله محمد بن جابر بن سنان الرقي، وكان أصله من حران صابيا وابتدأ الرصد على ما ذكر جعفر بن المكتفي أنه سأله فأخبره أنه ابتدأ في سنة 264هـ/878م إلى سـنة 306هـ/918م وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة 299هـ/912م، ورحل إلـى بغداد مع بني الزيات من أهل الرقة في ظلامات كانت لهم فلما رجع مات في طريقه بقصر الجص سنة 317هـ/929م، وله من الكتب: كتاب "الزيج" وكتاب "معرفـة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك" ورسالة في تحقيق أقدار الاتصالات[578].

ومن أهم انجازات علماء بلاد الشام في علم الفلك ما قام به البتاني حيث قـام بقياسات جنوح (سمت الشمس (Ekliptik))، وأوجد طرقاً جديدة لقيـاس عـرض الأماكن، التي أوجد لها أيضاً ابن الهيثم طرقاً جديدة أخرى منطلقـاً مـن نظريتـه الشهيرة في علم انعكاس الضوء [579].

ومنهم أيضا المسعودي (ت346هـ / 957م) صـاحب كتـاب "التنبيـه والإشراف" والذي تحدث فيه عن العديد من المواضـيع الفلكيـة ومنهـا الكواكـب المحيطة بالأرض: " فأولها كرة الأرض يحيط بها فلك القمر ويحيط بفلك القمر فلك عطارد، وبفلك عطارد فلك الزهرة، وبفلك الزهرة فلك الشمس، وبفلك الشمس فلـك المريخ، وبفلك المريخ فلك المشترى، وبفلك المشترى فلك زحل وبفلك زحـل فلـك

---

577 القفطي، أخبار، ص 314.

578 فروخ، تاريخ الفكر، ص 312.

579 هونكه، شمس، ص 146.

الكواكب الثابتة، وبفلك الكواكب الثابتة فلك البروج وبفلك البروج فلك الاستواء وهو المحيط بها والمحرك لها " [580].

وممن صنف في علم الفلك أبو حاتم البستي (ت965/354م) المعروف بابن حبان وكان في السابق على قضاء سمرقند مدة طويلة وكان من فقهاء الدين وحفـاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار عالما بالنجوم وفنون العلوم إلف الكتـب الكثيرة في كل فن [581].

ومن علماء الفلك أيضا قسطا بن لوقا البعلبكي وله تصانيف في علم الفلـك منها: كتاب "المدخل إلى الهيئة وحركات الأفـلاك والكواكـب" وكتـاب "المرايـا المحرقة" وكتاب "المروحة بالكرة النجومية"[582]، ومنهم أيـضا احمـد بـن جعفـر البغدادي وله كتاب " الحافظ لمعارف حركات الشمس والقمر والنجـوم وأوصـاف الأفلاك والأقاليم وأسماء بلدانها"[583].

ومن الآلات المستخدمة في علم الفلك كان الإسطرلاب وهو آلة فلكية قديمـة وأطلق عليه العرب ذات الصفائح، وقد كانت الإسطرلابات حواسيبا فلكية في وقتها، فقد كانت تحل المسائل المتعلقة بأماكن الأجرام السماوية، مثل الـشمس والنجـوم، والوقت أيضا، وهذا مكنهم من تقدير الوقت في النهار أو الليل، كمـا يمكـنهم مـن تحديد وقت بزوغ الشمس أو تكبد النجوم، وقد وصف لنا الإسطرلاب احد كتبة ابن طولون عندما اهدي له بقوله [584]:

" الإسطرلاب أجلّ الهدايا- يا سيدي أطال الله بقـاءك- موضـعا، وألطفهـا مـن الملاطف موقعا، ما لاءم الاختيار، ووافق الإيثار، وكان العقل أخص بفائدته، والفهم أحظى بيمن عائدته؛ ولما كنت- أيدك الله- ممن لا يتوصل المتوصل إليـه إلا بمـا تنصف العادة الحكمة عليه؛ آثرتك- وفقك الله- ببرهان الحكمـة ونـسبها، ومـدار

---

580 المسعودي، التنبيه، ص 9.

581 ابن عساكر، تاريخ، ج52، ص 251

582 القفطي، أخبار، ص 199.

583 ابن العديم، بغية، ج2، ص595-598.

584 العمري، مسالك، ج12، ص 45.

الفلسفة وقطبها، ومرشد الفكر ومناره، وميزان الحسن ومعياره، ونافي الشك ومزيله، وشاهد العالم ودليله، ومصور الهندسة وممثلها، ومقسم البروج ومعدلها، وموقف النّجوم ومثيرها، وجامع الأقاليم ومديرها؛ مرآة الحبك، وصورة الفلك، وأمين الكواكب، وحد المشارق والمغارب؛ مما اخترعت العقول تسطيحه، وأتقن الحساب تصحيحه، وتمارت الفطن في ترتيبه، واصطلحت الحكماء على تركيبه، فأوضحت باليقين تقسيمه، وأبانت بالكتابة قلمه ورسومه، إلى أن شافهنا بالارتفاع على بعد مسافته، وحصر متفرق الأنوار في مجرى عضادته، واحتوى على قطري الشمال والجنوب، وأطلع باللّطف على خفيات الغيوب؛ متّعك الله باستخدامه، وأسعدك بمواقع أحكامه، وأغناك بالتوفيق عما يستمده منه، وبالخيرة عن الاختبارات الصادرة عنه، وقد آنست وحشته من فهمك بسكنه، ورددته من ذكائك إلى وطنه، فإن رأيت أن تديله من الأفهام الصدئة بصفاء بصيرتك، وتقره في أمنع قرار من كنف فطنتك، فعلت إن شاء الله تعالى ".

3.5 علم الحساب وعلم الجبر:

الحساب علم الأعداد وفيه جانبان: جانب نظري(يعالج الأرقام والأعداد: مراتبها والنسب التي بينها وتكرارها على نسق معين)، ثم جانب عملي يتناول الحسبان (معرفة المطلوب، بالأعمال الأربعة: الجمع والتفريق والضرب والقسمة)، وتكثر الحاجة إلى الحساب في استخراج المطلوب من صلة بعض الأشياء ببعض (في البيع والشراء والقياس وتقسيم الإرث، الخ)، وأول الحساب العد، وهو إحصاء الأشياء الماثلة [585].

ومن العلوم التي ارتبطت بعلم الحساب علم الجبر والمقابلة وهو من فروع علم العدد وهو صناعة يستخرج بها العدد المجهول من العدد المعلوم إذا كان بينهما صلة تقتضي ذلك [586].

---

[585] فروخ، تاريخ العلوم، ص 19.

[586] فروخ، تاريخ العلوم، ص 140.

وقد برز في بلاد الشام خلال العصر العباسي الثاني عدة علماء في هذا المجال كان منهم القاضي عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي استقضاه المعتضد بالله على الشرقية سنة 283هـ/896م، وكان عالما بالفرائض والحساب والزرع والقسمة وعلم بالجبر والمقابلة وحساب الدور وغامض الوصايا والمناسخات قدوة في العلم بصناعة الحكم ومباشرة الخصوم وأحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات والإقرارات، أخذ العلم عن هلال بن يحيى الرأي[587].

ومنهم أيضا علي بن أحمد الأنطاكي أبو القاسم المجتبي من أهل أنطاكية، وصفه القفطي: " له في علم الحساب تصانيف جليلة وكان مشاركاً في علوم الأوائل مشاركة جميلة وكان فصيح اللسان عذب البيان إذا سئل أبان وأتى بالمعاني الحسان وله كتب : كتاب "التخت الكبير" في الحساب الهندي، وكتاب "الحساب على التخت بلا محو" وكتاب "تفسير الارتماطيقي" وكتاب "شرح إقليدس" وكتاب "استخراج التراجم" وكتاب "الموازين العددية" وكتاب "الحساب بلا تخت بل باليد"[588].

ومن علماء الحساب قسطا بن لوقا البعلبكي وكان متحققاً بعلم العدد والعلوم الطبيعية وله كتب مختصرة بارعة في علم الحساب منها: كتاب "المدخل إلى الهندسة" وكتاب "الأوزان المكاييل" وكتاب "استخراج المسائل العددية" وله كتب غير ما ذكر، وقال بعض المؤرخين: " كان قسطا بن لوقا فاضلاً في العلوم مليح الطريقة في التصنيف "[589].

4.5 حركة الترجمة:

عرف العرب قبل الإسلام شيئا من الترجمة، فان أشياء من التوراة والإنجيل كانت منذ الجاهلية معروفة في اللغة العربية، وكانت وفود العرب على كسرى

---

[587] ابن عساكر، تاريخ، ج 34، ص80.

[588] القفطي، أخبار، ص 180.

[589] القفطي، أخبار، ص 199.

وانتقال العرب بالتجارة بين فارس والعراق والشام ومصر والحبشة وذهاب امـرئ القيس إلى القسطنطينية تدل على وجود النقل أو الترجمة الشفوية على الأقل [590].

وقد كانت هناك عدة بواعث لترجمة كتب العلوم والفلسفة إلى اللغة العربيـة لعل أهمها: احتكاك العرب بغيرهم من الأمم أتاح للعرب الاطلاع على ثقافات جديدة فأحب العرب أن يوسعوا بهذه الثقافات آفاقهم الفكرية، إضافة إلى حاجة العرب إلى علوم ليست عندهم مما كانوا يحتاجون إليه في الطب ومعرفة الحساب، أضف إلـى ذلك القران الكريم وحثه على التفكير وطلب العلم، كـذلك لان العلـم مـن توابـع الحضارة[591].

وقد حدد علماء اللغة كالجاحظ خصائص وشروط المترجم، فلابد له مـن أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغـي أن يكـون اعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء [592].

وفي العصر العباسي فتحت الأبواب على مصاريعها لكل الثقافـات الوافـدة على الفكر العربي وقد أدت الترجمة دورها كاملا في صقل العقل وسـهلت لـه أن يستوعب كل ما يصادفه من علوم وآداب وثقافات خاصة، وقد تمت ترجمة التـراث اليوناني أولا إلى السريانية حيث انتقلت الثقافة اليونانية إلى جنديسابور والإسكندرية وعن السريانية تمت الترجمة إلى العربية، ثم بعد هذا ترجم التراث اليونـاني عـن اليونانية مباشرة إلى العربية، بالإضافة إلى ما ترجم عن الفارسية والهندية [593].

وقد أشتهر في الشام في العصر العباسي الثاني عدد من المترجمين كان منهم البلاذري (ت279هـ/892م) ذكره ابن النديم: "بأنه كان ناقلا من اللسان الفارسـي إلى العربي"[594].

---

[590] فروخ، تاريخ العلوم، ص 111.

[591] فروخ، تاريخ العلوم، ص 112.

[592] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 76.

[593] عبد العال، التربية، ص 67.

[594] ابن النديم، الفهرست، ص 305.

ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي، وهو يوناني الأصل ولـد فـي بعلبـك سـنة 205هـ/820 م ولما شب ذهب إلى بلاد الروم لطلب العلم ثم عاد إلى بغداد ومعه تصانيف يونانية كثيرة فنقلها إلى اللغة العربية[595]، وكان طبيبـا وفيلـسوفا وفلكيـا ورياضيا, قام بزيارة لبلاد الروم وجلب معه المخطوطـات اليونانيـة القديمـة ذات القيمة العالية، وترجم عددا من الكتب[596]، ولم يكن مترجمو العرب مجرد نقلة لتراث الأمم القديمة وإنما كانوا أصحاب أراء خاصة وأفكار مـستقلة واسـتنباطات حـرة وترجيحات مستقيمة[597]، فقد أصلح قسطا بن لوقا ترجمات أخرى كما كتب مؤلفات وعمل في تحسين بعض الأجهزة الفلكية[598]، وقد كان بارعا في اللغـات اليونانيـة والسريانية والعربية جيد النقل نقل كتبا كثيرة من اليونانية إلى العربية [599].

ومن المترجمين أيضا حبيش بن الحسن الدمشقي (ت 300هـ/913م) وهـو ابن أخت حنين بن إسحاق وتلميذه وشريكة في ترجمة عدد كبير من الكتب ولاسيما الكتب الطبية وقد أكمل تأليف كتاب في الطب لابن حنين وقد غمط حق هذا العـالم بصورة عامة لأن بعض الترجمات التي قام بها نسبت إلى حنين [600].

ومن المترجمين أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمـشقي (ت320هـ /932م) طبيب برز اسمه في خلافة المقتدر ترجم كتب في الطب والهندسـة والفلـسفة [601]، ومنهم هلال الحمصي (ت 270هـ/883م) ترجم كتبا في الهندسة لأحمد بن موسى بن شاكر[602].

---

595 فروخ، تاريخ العلوم، ص 118.

596 القفطي، أخبار، ص 199؛ ابيض، التربية، ص 213.

597 عبد العال، التربية، ص 72.

598 القفطي، أخبار، ص 199؛ ابيض، التربية، ص 213.

599 فروخ، تاريخ الفكر، ص 282.

600 القفطي، أخبار، ص 94؛ ابيض، التربية، ص 214.

601 ابيض، التربية، ص 214.

602 ابيض، التربية، ص213.

لقد كانت حركة الترجمة من العوامل الرافدة لتطور الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام فقد أتاحت الفرصة للعلماء العرب المسلمين الاطلاع على حضارات الأمم الأخرى والإفادة منها والبناء على النتائج التي توصلوا لها في بعض العلوم.

الخاتمة

من خلال الدراسة كانت المحاولة لتتبع التطور في الحياة العلمية والثقافية لبلاد الشام في العصر العباسي الثاني ورصد أبرز الإنجازات في هذا المجال من خلال ظهور المؤسسات التعليمية التي تمثلت في المساجد والكتاتيب ومجالس الأمراء والعلماء حيث كان لها الأثر الكبير في نشر العلوم في مختلف الجوانب والتي كان أبرزها العلوم الدينية وأهمها علوم القرآن الكريم حيث ضبطت القراءات وحددت في قراءات معينة اعتمدها قراء بلاد الشام ونشاطهم الكبير في هذا الجانب حتى أشتهر منهم الكثير، كذلك علم التفسير وبروز العديد من المفسرين ووضع المؤلفات في تفسير القرآن الكريم وعلم الحديث ومنهج علمائه الذي امتاز بالدقة العالية والضبط والحزم، كذلك الرحلة في طلب الحديث حيث ارتحل المحدثين من بلاد الشام إلى مختلف المناطق وقدم لهم المحدثين من البلاد الأخرى، وعلم الجرح والتعديل والوقوف في وجه الوضع في الحديث, وكذلك في علم الفقه وما ألف من مؤلفات وكذلك علم الكلام والعقيدة وتأصيلها والوقوف في وجه أهل البدع .

ويلاحظ ظهور العديد من العلماء المشاهير في اللغة والأدب وبروز مشاهير الأدباء والنحاة والشعراء من بلاد الشام والذين بلغت شهرتهم ليس في بلاد الشام فحسب بل في العالم الإسلامي أجمع وبرزت البلاغة وغيرها من فنون اللغة في الخطابة والرسائل كذلك القصائد التي تعددت أغراضها، كذلك الاهتمام بالنحو وقواعده وضبط اللحن .

كذلك ظهور العديد من العلماء في علم التاريخ والجغرافيا والفلـسفة والـذين كان لهم دور كبير في تأصيل هذه العلوم ووضع الأسس التي بنى عليهـا العلمـاء اللاحقين، فيلاحظ أن كبار المؤرخين والفلاسفة الذين عرفهم التاريخ الإسلامي كانوا في بلاد الشام في هذه العصر العباسي الثاني أمثال البلاذي والفارابي، وما تركـوا من مؤلفات رفدت المكتبة العربية الإسلامية.

وفي مجال العلوم التطبيقية يلاحظ أن علماء بلاد الشام لم يغفلوا علوم الأمـم السابقة فقد أفادوا من تراث الأمم السابقة بما قاموا به من ترجمه، وقـاموا بالبنـاء عليها وتصحيح الكثير منها وما كان لهم من انجازات في علـم الطـب والـصيدلة والفلك والجبر، وبما أسهموا بذلك برفد المكتبة العربية الإسلامية مـن خـلال مـا ترجموه وما أضافوا على ذلك من انجازات ومصنفات جديدة في شتى العلوم أيضا.

ويلاحظ أن الانجازات العلمية التي حققها العلماء في تلك الفترة قد أثنى عليها المستشرقين كزيغريد هونكه حيث أشارت إلى امتياز هذه المؤلفات علـى أنواعهـا المختلفة من كتب مختصرة إلى موسوعات ضخمة ومن جداول للطلاب في شـكل أسئلة وأجوبة إلى كتب تمهيدية ولوائح جامعة ضمت بـين دفتيهـا كـل معـارف العصور السابقة والعصور الحاضرة منظمة كأحسن ما يكون التنظـيم ومتسلـسلة كأحسن ما يكون التسلسل ومشروحة في تفصيل جعل منها ثمرة سائغة في متنـاول الجميع وكل من سعى وراء العلم.

فقد امتازت المؤلفات بروح علمي أصيل وعبرت عن موهبة منهجية نظامية رائعة وعبقرية خلاقة كانت توضح كل ما استغلق وتفسر كل ما غمض وتمعن فـي الوصف الدقيق لكل العوارض لها وتطورها.

كذلك يلمس المنهج العلمي الدقيق والأمانة العلمية وكم كان من السهل أثنـاء نقل مثل تلك العلوم من فم لآخر أن تسرق النظريات، والاكتشافات، ولكن الأمانـة العلمية الحقة منعت هذا، فلم يكن العالم يرضى أن يحرق فمه بأفكار سـرقها مـن

غيره، فمن يرغب من المعلمين أن يحاضر عن كتاب لغيره وجب عليه أن يحـصل أولاً على إجازة من مؤلف الكتاب.

المصادر

الأدنه وي، أحمد بن محمد (ت القرن 11هـ/القـرن 17م)، **طبقـات المفـسرين**، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبـة العلـوم والحكـم، ط1، الريـاض 1997م.

ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ/ 1246م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت.

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمـد (ت 429هـ ـ/1038 م)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، تحقيق محمد عثمان الخـشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة د.ت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبـوب (ت 255هـ ـ/869 م)، **البيـان والتبيين**، تحقيق حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبـرى، ط1، القـاهرة 1926م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ ـ/869 م)، **الحيـوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، د.م 1965م.

ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد(ت 614هـ/1217 م)، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف بـ: رحلة ابن جبير**، دار ومكتبة الهلال، ط2، بيروت 1986 م.

ابـــن الجـــزري، شـــمس الـــدين أبـــو الخيـــر محمـــد بـــن محمـــد بـــن يوسف(ت833هـ/1430م)، **غاية النهاية في طبقات القـراء**، ط1، مكتبـة ابن تيمية، د.م د.ت.

ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلـسي (ت 384هـ ـ/994م)، **طبقـات الأطباء والحكماء**، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت 1985م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن (ت 579هـ/1183م **)، تلبيس إبليس**، تحقيق ايمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة د.ت.

ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1406 م)، **العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الـسلطان الأكبـر**، دار إحياء التراث العربي، ط4، بيروت د.ت.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ/1272م)، **وفيـات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عبـاس، دار صـادر، بيـروت د.ت.

الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف (ت387هـ/997 م)، **مفاتيح العلوم**، تحقيق إبراهيم الابياري، وزارة الثقافة، عمان د.ت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت 311هـ/923 م)، **مختار الصحاح**، تدقيق عصام فارس الحرستاني، دار عمار، ط10، عمان 2008م.

سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن محمد (ت 884هـ/1479 م)، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، تحقيق شوقي شعث وفالح البكور، دار القلـم، ط1، حلـب 1996م.

ابن سحنون، محمد(ت 240هـ/854 م)، **آداب المعلمين**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد المطوي، دار الكتب الشرقية، ط2، تونس 1972م.

السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين (ت 412هـ/1021م) **، ذكر النـسوة المتعبدات من الصوفية**، تحقيق وتعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت 2003م.

السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بـن الحـسين (ت 412هـ ـ/1021م)، **طبقـات الصوفية**، تحقيق وتعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت 2003م.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/1167م)، **أدب الإملاء والإستملاء**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1981م.

السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد (ت 562هـ ـ/1167م)، **فـضائل الـشام**، تحقيق عمرو علي عمر، دار الثقافة العربية، ط1، دمشق 1992م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الـدين (ت 911هـ ـ/1505م)، **بغيـة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبـو الفـضل إبـراهيم، المكتبة العصرية، لبنان د.ت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت 911هـ/1505م)، **طبقـات المفسرين العشرين**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبـة، ط1، القـاهرة 1976م.

ابن طولون، شمس الدين (ت 953هـ/1546م)، **قضاة دمشق الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام**، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربـي، دمشق 1956م.

ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمـد (ت 660هـ ـ/1262م)، **بغيـة الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، د.م د.ت.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحـسن (ت 571هـ ـ/1175م)، **تـاريخ مدينـة دمشق**، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت 1995م.

العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت 749هـ/1348م)، **مـسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهـدي الـنجم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2010م.

الفاسي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت 291هـ/1376هـ)، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي**، اعتنى به ايمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1995م.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1414م)، **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، تحقيق حسان المصري، دار سعد الدين، ط1، د.م 2000م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 624هـ/ 1226م)، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2005م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 624هـ/ 1226م)، **المحمدون من الشعراء وأشعارهم**، تحقيق حسن معمري، مراجعة حمد الجاسر، دار اليمامة، د.م 1970م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت 774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، خرج أحاديثه احمد بن شعبان ومحمد بن عيادي، مكتبة الصفا، ط1، د.م 2002م.

المتنبي (ت 354هـ/965م)، **ديوان المتنبي**، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط4، بيروت 2007م.

ابن مجاهد(ت 324هـ/936م)، **السبعة في القراءات**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة د.ت.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت346هـ/957م)، **التنبيه والإشراف**، ليدن 1893م.

أبو المعالي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت1167هـ/1754م)، **ديوان الإسلام**، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1990م.

ابن المعتز العباسي، عبد الله بن محمد (ت 296هـ/909م)، **طبقات الشعراء**، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، ط3، القاهرة د.ت.

المقدسي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن احمد الحنبلي (ت 643هـ/1245م)، **فضائل بيت المقدس**، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط1، دمشق 1985م.

ابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي الشافعي المصري (ت 804هـ ـ/1402م)، **طبقات الأولياء**، تحقيق نور الدين شريبه، مكتبة الخـانجي، ط3، االقـاهرة 1994م .
ابن النديم، أبو الفرج محمد بـن أبـي يعقـوب الـوراق(ت 438هـ ـ/1047م)، **الفهرست**، تحقيق رضا، د.م د.ت.
النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف(ت 676هـ/1277م)، **رياض الصالحين مـن كلام سيد المرسلين**، مكتبة الصفا، ط2، القاهرة 2003م.

المراجع

ابيض، ملكة، **التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت1980م.
الأشقر، عمر سليمان، **الوضع في الحـديث النبـوي**، دار النفـائس، ط1، عمـان 2004م.
الاهواني، احمد فؤاد، **التربية في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة د.ت.
بدوي، عبد الرحمن، **مذاهب الإسلاميين**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1971م.
البستاني، بطرس، أدباء العرب في الأعصر العباسية، مؤسـسة هنـداوي للتعلـيم والثقافة، ط1، القاهرة 2014م.
تامر، عارف، **القرامطة**، دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت.
حسين، محمد كامل، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**، طرابلس د.ت.
حميدة، عبد الرحمن، **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**، دار الفكـر، د.م 1995م.

الحولي، ماهر حامد، **المكانة الدينية للمسجد الأقصى**، د.م 2009م.

الخطيب، حنيفة، **الطب عند العرب**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1986م.

دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، الشارقة 1998م.

الدلجي، احمد بن علي، **الفلاكة والمفلاوكون**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1993م.

الدوري، عبد العزيز، **نشأة علم التاريخ عند العرب**، مركز زايد للتاريخ والتراث، د.م 2000م.

الدوري، عبد العزيز، **النظم الإسلامية، بيت الحكمة**، بغداد 1988م.

الربيعي، فالح، **تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم**، ، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة 2001م.

الزبدة، عبلة المهتدي، **القدس تاريخ وحضارة**، دار نعمة للطباعة، ط1، بيروت 2000م.

زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، مراجعة شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة د.ت.

سالم، السيد عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب(تاريخ الدولة العربية)**، مؤسسة شباب الجامعة، د.م د.ت.

السباعي، مصطفى، **من روائع حضارتنا**، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط1، الرياض 1999م.

السرجاني، راغب، **قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية**، مؤسسة اقرأ، ط1، القاهرة 2009م.

سزكين، فؤاد، **تاريخ التراث العربي**، ترجمة محمود حجازي، مراجعة عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، الرياض 1991م.

سلقيني، ابراهيم، **أصول الفقه الاسلامي**، جامعة دمشق د.ت.

الطنطاوي، علي، **الجامع الأموي بدمشق**، مطبعة الكومة بدمشق، دمشق د.ت.

عبد العال، حسن، **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، دار الفكر العربي، د.م د.ت.

عبد الهادى وجمعة، جمال و وفاء، **ذريه إبراهيم عليه السلام والمسجد الأقـصى**، دار الوفاء، ط1، د.م 1986م.
عبدالهادي، يوسف، **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**، بيروت 1943م.
العثيمين، محمد بن صالح، **شرح العقيدة الواسطية**، تحقيق هاني الحـاج، المكتبـة التوفيقية، د.م د.ت.
علي، احمد إسماعيل، **تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي 132هـ - 463هـ/ 749م – 1070م**، ط1، دمشق 1984م.
عيسى بك، احمد، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربـي، ط1، د.م 1981م.
فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي (الاعصر العباسية)**، دار العلم للملايـين، ط4، بيروت 1981م.
فروخ، عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، ط4، بيروت 1984م.
فروخ، عمر، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، دار العلم للملايـين، ط 4، بيروت 1983م.
الكردي، اشرف، **دور العرب والمسلمين في العلوم العصبية**، وزارة الثقافة، عمان 2010م.
الكساسبة، حسين فلاح، **السلطة القضائية في العصر العباسي الأول**، مركـز زايـد للتراث والتاريخ، ط1، الإمارات العربية المتحدة 2001م.
الكساسبة، حسين فلاح، **المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين)**، منشورات جامعة مؤتة، عمان 1993م.
المازني، إسلام صبحي، **روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2006م.
مبارك، زكي، **النثر في القرن الرابع**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.م د.ت.
المرزوقي، جمال، **دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسـلامية**، ط1، دار الآفـاق العربية، القاهرة 2001م.
مصطفى، شاكر، **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، د.ت.

المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام (4-8 آذار 1990م)، **بلاد الشام في العصر العباسي (132هـ/750م – 451هـ / 1059م)،** القسم العربي، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام الجامعة الأردنية، عمان .

الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض 1999م.

ناصيف، اميل، **أروع ما قيل في الفخر والحماسة**، دار الجيل، ط1، بيروت د.ت.

ناصيف، اميل، **أروع ما قيل في الوصف**، دار الجيل، ط1، بيروت د.ت.

النجار، عامر، **علم الكلام،** مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة 2003م.

هونكه، زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت 1993م.

الرسائل الجامعية

التخاينة، راجح عبدالمهدي سلامة، **الحركة العلمية والثقافية في بغداد في العصر العباسي،** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة 2003م.

أبو رحمة، سعيد، **الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي حتى الغزو الصليبي (132- 491هـ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية – غزة 2006م.

الضمور، طالب حامد حسن، **التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول(132- 247هـ)**، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة مؤتة د.ت.

الضمور، هناء احمد محمد، **الحياة العلمية والثقافية في سامراء(221-279هـ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة 2001م.

الوافي، سمية محمد، **التعليم في الشام في العصر الأموي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى 2007م.

المقالات

الجارم، علي، "**سر نبوغ المتنبي**"، مجلة دار العلوم، السنة الثانية، ع4، 1936م.
جاسم والزبيدي، محمد جاسم ونصرة احميد، "**اللغة الحماسية في شعر أبي فراس"،** مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، ع1، 2009م.
العاني، خالد، "**البتاني"،** موقع الكتروني (منتدى جمعية هواة الفلك السورية)
العطار، رضا، "**الدولة الحمدانية"،** موقع الكتروني(islamicbooks).
الكعبي، ماجد عبد الحميد، "**الحركة النقدية حول شعري البحتري وابن الرومي"،** مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 18، ع2، 2010م.
مطـــران، خليـــل، "**أبـــو الطيـــب المتنبـــي كـــان عبقريـــاً**"، مجلةhttp://www.noormags.com/view/fa/magazinebycategory/12 الهلال، الـسنة الثالثـة والأربعون، الجزء 10، 1935م.

الاسم: أيمن عمر عبد الله البطوش

الكلية: العلوم الاجتماعية

التخصص: التاريخ

السنة:2015م

الهاتف: 0777847436

البريد الالكتروني: BTOOSH2@YAHOO.COM